الأعمال الشعرية الكاملة

معين بسيسو

دار العودة - بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

معين بسيسو

دار العودة - بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

معين بسيسو

يطلب من دار العودة / بيروت - لبنان
كورنيش المزرعة – بناية الريفيرا سنتر
هاتف : 01 818405
فاكس :01 818 406
Email : Daralawda@hotmail.com
ص.ب. :146284 بيروت - لبنان

الإهداء

إلى صَهباء

إلى دَالية

إلى تَوفيق

إلى مَليكة

معين بسيسو
بيروت ٩/٦/٧٩

هذه المجموعة
الشعرية الكاملة...؟

لا فائدة الآن من الاحتجاج على أسنان الآلة الكاتبة أيها الحوت. كل هذه النخلة من الماء المسنون – هذه القامة الطويلة من الشبابيك – هذا القطار الذي كان يحمل جرائد الصباح وفنجان القهوة إلى السفن – ها أنت الآن رسالة في زجاجة – ترفعها الصنارة من الماء إلى أسنان المطبعة.

حقيبة مليئة بالثلج تنتظر دمك. تنتظر الحبر الآتي – ساعة حائط، أو غزالاً أو كتاباً حينما يدقّون المسمار الأول في القلب، وتنتظر الحبر الذاهب – طائرة من الورق – متراساً – امرأة تمسح بورق الجريدة زجاج النافذة – منشوراً سرياً للغزالة التي تعلّم عند حافة البحيرة: القراءة والكتابة للماء.

* * *

روفائيل ألبرتي، لماذا يأتي الآن..؟ هذا الطائر الأشيب الذي يمشي كموجة، يفتح ذراعيه كشراعين، ويتقدم إلى الصف الأول – آنية زهور.. مفتوح فيها كسفينة:

- كتاب الشعر الإسباني.

في كنيسة يوغسلافية قديمة، في جمهورية مقدونيا اليوغسلافية رأيته – للمرة الأولى – وهو يتلقّى إكليل الغار الذهبي. لم تكن

يوغسلافيا قريبة مني، مثلما كانت بين يدي – روفائيل ألبرتي – هذا الذي قال لنا:

– الشعر هو الصداقة.

لم يجتمع ثلاثة من الشعراء العرب، إلاّ وكان الكبش المحشو بالكستناء هو: شاعر رابع. لنتركهم حول مائدتهم المشؤومة، وليأت الآن: روفائيل ألبرتي.

– فريدريكو غارسيا لوركا – شاعر من أجمل أطفال الكون، من أجمل ما أنجبه البرق والنسيم – فريدريكو غارسيا لوركا، مشى إلى الموت ومسدس وراء رأسه. هذا الشاعر الجميل الذي يأتي إليك مثل هبة من النسيم، جاءت من كوكب بعيد، أراد دمه أن يقول: الدم، الذي علّم إسبانيا قراءة الشعر:

– كيف يكون الشاعر محايداً... حينما ينحاز الوطن..؟

* * *

مثل طائر أشيب، يرتدي موجة رمادية، أخيراً عاد إلى إسبانيا.

انتصرت حرب الشعراء.

اشتروا إسبانيا بالمسدسات، وحينما عرضوها لقاء قصيدة، كان فرانكو يتمدد... تحت عشرين طنّاً من الإسمنت... بينما قمر لوركا، لا يزال يطير فوق التراب. مركبة فضائية حملت روفائيل ألبرتي إلى مدريد.

* * *

روفائيل ألبرتي، يرسم دائماً طائر حمام – ذكراً أو أنثى – كان يقدّم للصديق حمامة، وللمرأة الصديقة ذكراً من الحمام...؟

هذا هو سرّ روفائيل ألبرتي.

وها أنت الآن ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. من سوف يغنّي معك الآن...؟

هل هذا هو أنت..؟ وهل هذا هو هم أولئك الذين يكتبون...؟ ثلاثون أو عشرون عاماً من الكتابة والشطب، في تلك الزنزانة الجهنمية، حيث يتم السفر بالحقيبة التي ليس لها وجه، وفوق صهوة سمكة قرش.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق على امتداد عشرين أو ثلاثين عاماً، بين إلقاء القليل من القصائد في النافورة، كقطع النقود المعدنية التي تجلب السعد، وتحقق الأمنيات، وإلقاء الكثير من القصائد، كرسائل في زجاجات لن تصل أبداً.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. على امتداد عشرين أو ثلاثين عاماً من الكتابة، هل هذا هو بطاقتك الشخصية، أم وثيقة اتهامك التي تعلقها كالأيقونة حول عنقك، مقصلة صغيرة تتدلّى منها خواتم ومفاتيح لأصابع كثيرة ولنوافذ كثيرة أيضاً..؟

"الملائكة" الذين كتبوا قصيدة الكون في ستة أيام، واستراحوا بعد ذلك في اليوم السابع لم يقرأوا ولم يكتبوا، لن يغفروا لك أبداً، أنك واصلت الكتابة بعدهم... إلى عشرين أو ثلاثين عاماً. لا لكي تكتب قصيدة الكون... بل لكي تكتب وجودك في النافذة – في القصيدة – في الشارع الذي يسمح لك، أن تمشي فوق رصيفه.

الملائكة ضدّك والشياطين أيضاً. فالملائكة الذين قالوا: نعم، ليسوا ضد الشياطين الذين يقولون: لا. "فلا" الشياطين الجدد هي "نعم"...

الملائكة القدامى... الذئاب الجديدة تقدم أوراق اعتمادها للذئاب القديمة. فذلك الشيطان الجميل الذي قال:

- لا للقصيدة الواحدة التي تكتب خلال ستة أيام، ويتم تتويجها ملكة، لا يزال في زنزانة الملائكة... ونحن الذين نكتب الشعر باسمه، لم نقدم له ولو حبة إسبرين، على امتداد سنوات الكتابة.

حينما يقولون لك: تعال بكل قصائدك إلينا، تعال بكل ما كتبت إلى المطبعة، فهم يقولون لك:

- لقد حان الوقت أيها القط البرّي، أيها الأرنب الذي يرفض القبعة، أيها الغزال الشارد الذي لم يحمل مظلّة طول عمره. أيها النهر الذي يريد أن يمشي على الرصيف، أيها الحصان الذي لم يجر عربة طول حياته، ولم يضع على ظهره سرجاً، ولا في فمه حبلاً. تعالَ إلى الإسطبل، تعالَ إلى المطبعة.

وها أنت في المطبعة الآن...؟

مئات المرات، وعلى امتداد سقوط مئات الشهداء، كنت أمشي في جنازاتهم. إنني أعرف الطريق جيداً إلى مقبرة الشهداء. ذات مرة قال لي أحدهم:

- إن حارس مقبرة الشهداء، قام بتربية بعض الدجاج... في المقبرة... الدجاجات كانت تمشي بين القبور... وهذا لا يليق بقبور الشهداء.

لماذا يمنعون تلك الطيور الأليفة، من تأدية تحيتها للشهداء. هذه هي مأساتنا، حينما نقول:

- من مات مات...

ولكـن الشــهداء كـالطيور لم تـزل حواصـلهم مليئـة بـالقمح أيهـا الأصـدقاء... لمـاذا لا نتركهـم: لا يموتـون..؟ لمـاذا لا نتركهـم يعيشـون حتى في مناقير الطيور الصديقة..؟

* * *

ولكن هذا هو أنت، ثلاثون أو أربعون ملزمـة من الـورق. أعـرف أنـك بكيت كمـا لم تبك في حياتـك حينمـا قتلـوا أرنسـتو تشـي جيفـارا، في بوليفيا.

– منغيستو هيلا مريام، هـل تعـرف لمـاذا أحبك أيهـا الصـديق... لأن جيفـارا الأرجنتـيني الكـوبي الفلسـطيني كسـب حـرب – الشـعر – في أديس أبابا – الأفريقية.

والذين تاجروا بالعاج، لن نسمح لهم بأن يتاجروا الآن: بلحم الفيلة.

* * *

في المهرجان الذي تقيمه جريدة "الأومانيتيه" الفرنسية كل عام، كـان هناك شعار يقول:

– الشعر فمه ملـيء بالمستقبل.

قبل ذلك كتب الشاعر الأميركي جريجوري كورسو:

– الشعراء جواسيس المستقبل...

والمستقبل بالنسبة للشاعر شيء من الشعر، شـيء من الكهرباء ضد الذين يهينون شرف التماسيح كلمـا دعت المناسبة إلى ذلـك، ويحلمـون بمنديل مـن جلـدها، وهـو شـيء آخـر بالنسـبة للـذين يـرون أن المسـتقبل فمـه ملـيء بأسمـائهم، ومـن أجـل هـذه الأسمـاء فهـم يشـترون نُطـف الشعراء. إنـها نبيذهـم المعتّق.

الشاعر يبول فوق أرضهم – هذا هو كل مجدهم..؟

– المستقبل فمه مليء بالشعر.

– والمستقبل أيضاً فمه مليء بفلسطين.

والشاعر يمضي من حدّ السكّين إلى المستقبل.

* * *

أول طائر صغير اصطدته: اسمه "الكركز"، طائر في حجم يد طفل، طائر أسود صغير مشرب بالبياض، حول عنقه طوق أبيض...

كنّا نعدّ الفخّ له: نصف دائرة من السلك وبالذي يسمونه – الكرزم – الصنّارة بمعنى آخر، والتي توضع فيها دودة قصب البوص – كنا نستدرج ذلك الطائر.

الفخّ كلّه مدفون تحت التراب، الدودة فقط هي التي تظهر... تتمدد وتتقلّص... إنها كأس الطائر... وأنت الصياد على بعد أربعين أو خمسين خطوة من الفخ... وطائر الكركز أمامك. أنا لا أزال أذكر تلك الأغنية...

– آه يا الكركزْ...

إدحلْ واركزْ...

قدّامك.. دودْ...

لحم القاعودْ...

ويدرج الكركز... إلى الدودة... يدرج الشاعر إلى المقصلة...

لقد رأيته أحد الأصدقاء الصغار، حينما أطبق فخّه على طائر الكركز... عنق الطائر كان بين فكّي الفخّ... يبدو أنه مات... وحينما

عرف الصياد الصغير هذا الموت، قطع رقبته بيده... وحينما سقط الكركز على الأرض، كان يرتعش... إنه لم يمت بعد...

آه...

من يومها... كرهت تلك الكف من الحديد – تلك الكف التي وظيفتها: اصطياد طائر صغير.

* * *

ويجيئك صوت الشاعر يفتوشنكو:

– آه يا صديقي، هذه الزجاجة الرديئة من النبيذ، كانت عنقوداً طيباً ذات يوم... تعرّفت عليه في طشقند عام ١٩٦٨ – عاصمة جمهورية أوزبكستان السوفييتية – وكان أول من قدّمني إلى القارئ السوفييتي، من خلال قصيدة – الطبل – التي ترجمها للروسية...

ترتعش وأنت أمام ثلاثة أو أربعة آلاف مستمع... لقد اعتدنا مواجهة العشرات أو المئات...

– لا تخف. إنني ممثل كبير...

ولقد كان يفتوشنكو ممثلاً كبيراً، وصديقاً كبيراً أيضاً.

ممثّل ليبيا في ذلك الوقت كان الملحق العسكري الليبي في أنقرة، ماذا جاء يفعل في ندوة أدبية لكتاب آسيا وأفريقيا..؟

* * *

بعض الكتاب والشعراء العرب، الذين كانوا دائماً – عناقيد رديئة – ذهبوا يصرخون:

– لماذا أنت ويفتوشنكو...؟

كان قصيدة طويلة القامة... وكان يقول:

- الشعراء من قرية واحدة، وإن عاشوا في شوارع مختلفة...

يفتوشنكو... نافذة من الموسيقى ذات عينين زرقاوين... كتبت ذات مرّة له، ليكتب قصيدة عن دير ياسين، هو الذي كتب قصيدة "بابي يار"...

وكانت فرصة كل قصير القامة في الشعر العربي، أولئك الذين كرهوا يفتوشنكو، ذهبوا إليه لا لكي يحرّضوه على كتابة قصيدة فلسطينية، ولكن ذهبوا إليه بالأحجار، ورجموا النافذة التي كنّا نقف خلفها.

ولكن يفتوشنكو الذي أعطاني معطفه ذات يوم، أعطاني – جلده السوفييتي – سأضع ذات يوم قريب يذي في يده:

- لنذهب يا يفتوشنكو، بعيداً في الشعر.

* * *

ها هي البروفة الأولى. وها أنت مطرّز بالأخطاء.

في "فولجاجراد"، رأيت الكاتب المسرحي: بيتر فايس. كان يمشي كالنسمة المتلألئة. إنهم لم يعرفوا بعد، تعبئة النسيم في زجاجات.

بيتر فايس عرفته حينما أعلنوا اسمه ومضى إلى الميكروفون.

- إذا كانت الكهرباء هي فاكهة بسطاء الناس، فالمسرح هو خبزهم... وحينما لا يكون هنالك وطن، تكون هناك خشبة المسرح. أرجو أن تتذكّر هدية بيتر فايس.

ومضى بيتر فايس ومضيت. كل واحد منا إلى منفاه، إلى وطنه الآخر. إلى خشبة المسرح.

* * *

كانت الأيام الصعبة. والمجد الصعب للشعر... كان العطر المر، أيام حصار "تل الزعتر"...

الشعراء – ساعات الحائط – الذين رقصوا رقصة الهولاهوب طويلاً. بأطواق خيزران كل الجرائد والمجلات والأنظمة، هربوا.

لم أكن أعرف قبل حصار تل الزعتر، أن الشعر هو شيء عزيز جداً ومقدّس، جميل وشجاع يستحق أن تموت من أجله.

كان على الشعر أن يقول من هو، وحينما قال الشعر من هو، عرف المقاتلون الفلسطينيون من هم... فكتبوا الشعر على حيطان متاريسهم... فكان مجد الهواء المر للراديو:

– صوت فلسطين، صوت الثورة الفلسطينية... كل ما تحبه كان يدافع عن التل، وكنت تصحو ولهب الشمعة لا يزال يومض في الشمع الذي تجمّد على يدك... ولكن القصيدة تذهب بعيداً في الهواء المر، كانت النجدة التي تصل كل صباح ومساء إلى المقاتلين المحاصرين في التل...

يستطيع الشاعر أن يلقي بقفازه الآن، في وجه كل من يحاول توجيه إهانة للشعر.

"محمد عبد الوهاب" أصبح يحمل رتبة لواء بقرار من أنور السادات، حينما حوّل الخوذات الفولاذية للمقاتلين إلى طبول، وبنادقهم إلى أبواق، وقاد تلك الأوركسترا الملعونة، التي عزفت النشيد الوطني الإسرائيلي في مطار القاهرة.

في ذلك الوقت كان سيد درويش، يغنّي في الزنزانة.

* * *

ديوان الشعر الأول، كان اسمه المعركة، نشرته – دار الفكر الحديث – في القاهرة، وكانت صوت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني... ودفع العمال والفلاحون المصريون فاتورة المطبعة.

صدر ديوان – المعركة – في ٢٧ يناير ١٩٥٢، في اليوم الثاني لحريق القاهرة، كان في مطبعة لا أزال أذكر اسمها –مطبعة أورفند–.

ولقد دافع العمال المصريون عن مطبعتهم... ولم يحترق ديوان الشعر.

– يا مصر...

يا مصر...

يا مصر...

وتمّ تهريب ديوان المعركة، إلى مكتب شاعر مصري في جريدة الأهرام اسمه: "كامل الشنّاوي"، وإلى بيت مصّور مصري اسمه: "حسن التلمساني"، الذي قام برسم غلاف الديوان.

* * *

كانت هواية ومضت. كنت أحتفظ بمفتاح حجرة الفندق حينما أسافر. وكنت أضع مفتاح حجرة الفندق دائماً على طاولة في مقهى المطار الذي أمضي إليه... لعلّ شاعراً مسافراً لم يحجز له هذا النظام أو ذاك حجرة في فندق، يلتقط المفتاح ويمضي به...

كانت هواية ومضت.

* * *

كمن يلقي بحصان في زنزانة، ألقى أحد الرفاق المصريين بقصائد ديوان: "قصائد مصرية"...

لقد كتب الديوان في الزنازين المصرية، فخرج يحمل هذا العنوان.

في ذلك الوقت – كاتب من الصين – يبصق على وجه ناظم حكمت، ويبقى وجه – ناظم حكمت – مرصّعاً برذاذ النجمة الحمراء... أما ذلك – الكاتب من الصين – الذي بصق، فقد قتله أحد أفراد حرس الحدود الفيتناميين، وأنا أتخيّله الآن، وهو يضغط على الزناد ويصرخ:

– عاش ناظم حكمت.

* * *

إنهم يصطادون الغزلان بعربات الجيب التي تركض خلف السرب. البنزين في العربة، والدم في القلب وتستمر المطاردة.

يركض الغزال... يركض، ثم يسقط... ويذبحونه وهو يلهث... واللهاث يصعد كالبخار الأبيض النازف من القلب...

وهم يصطادون الشعراء أيضاً: بعربات الجيب، بالصنّارة، بالخطّاف الحديدي أو الذهبي، وبالمسدس الكاتم للصوت أيضاً...

* * *

إلى دمشق جاء الشاعر السوفييتي: قيسين كولييف، ذراعاه مثل مجدافين، تطوقانك... وفمه يعدك بالبحر. جاء من جمهورية سوفييتية صغيرة: جمهورية بلقاريا. ولكن قلبه كان يدق مع أبعد نجمة. كانت قصيدة ذات يوم.

* * *

في موسكو... يطبعون صور الشعراء... وصور روّاد الفضاء، وفي بلادنا، تظهر صورة الشاعر – من خلال مؤامرة – حينما يغتالونه، أو يوجّهون له الإهانة.

* * *

١ هل لا بدّ من المضيّ في كتابة هذه المقدمة، لما تسمّى بالمجموعة الكاملة؟ كيف يمكن شاعراً أن يقول إنه قد اكتمل البدر المكتمل ليذهب إلى جهنّم... وهو والشعراء الذين قد اكتملوا...؟

لقد كان الشعر دائماً وسيبقى... ضدّ كلّ ما – اكتمل – في كل ثانية، تولد امرأة، لن تحبها...

* * *

أناتولي سوفرونوف يقول:

– لقد ذهبت إلى مائة ألف بيت سوفييتي... كيف قمت بكل هذه الزيارة لمائة ألف بيت، في خمسة أيام...؟

مائة ألف نسخة، تزور مائة ألف بيت... من خمسة آلاف نسخة، إلى مائة ألف نسخة، قام الشاعر السوفييتي: أناتولي سوفرونوف، بترجمة الشعر الفلسطيني، أهدى نافذة فلسطينية للبيت السوفييتي... من يد الشاعر السوفييتي الصديق: – ميخائيل كورغانسيف، ذهب صوتي إلى الاتحاد السوفييتي.

هذا الشاعر الذي قلبه قصيدة... كان لي شرف تقديم درع الثورة الفلسطينية له. على خشبة مسرح في أديس أبابا...

* * *

البروفة الثانية... لقد تم تصحيح أخطاء كثيرة...

كيف ستظهر بلا أخطاء..؟ كيف سيقرأونك مثلما يقرأون ساعة حائط..؟ أو نشرة الطقس..؟

* * *

هذه القصيدة ضد جاويش... وتلك القصيدة ضد ضابط... وضد جنرال تجيء قصيدة ثالثة... لماذا حينما يأتي ذكر جنرال، يأتي الشاعر الباكستاني: "فايز أحمد فايز" حاملاً صوته الذي عليك أن تسمعه، كأنك تتسلّق جبلاً بكل الهبوط والصعود فيه.

– تصعد جبلاً بواسطة الحبال، من أجل أن تقف على غصن...

فايز أحمد فايز، يضحك مثل كأس، مثل قصيدة تنتظرك في السرير... مثل آنّا مارتينوفا، السوفييتية التي أهدتني بعض الحجارة الخضراء الداكنة، من براكين أديس أبابا...

لماذا تهدي امرأة سوفييتية... حجر بركان لشاعر فلسطيني..؟

* * *

ها أنت "مصحح تماماً"... بالفتحة والضمّة وبالتسكين... بالفاصلة وبالنقطة. وها أنت تخرج الآن... كسمكة إلى الصحن... لقد تمّ تنظيفك من العشب والرمل... ومن رائحة البحر أيضاً...

* * *

لا أنا أحببت ألبرتو مورافيا، ولا هو أحبّني، حتى الصور التي التقطناها معاً، كانت صوراً تخرج كالسمك الذي تجمّد في الثلاّجة...

كيف تضع صديقاً تحت الماء... لكي يذوب..؟ كان عليه أن يكتب الغلاف الأخير، لقصائدي الإيطالية... ولكنه أضاع الذي كتبه عنّي في مطار القاهرة... ذهب لأنور السادات.

حينما قابلته، كان لا يزال – في المنفضة – سجائر وطن عربي، دعاه لزيارته... ألبرتو مورافيا... والساقي في بار فندق ليوناردو دي فنشي في روما يقول:

- لماذا تأتي قصائدك إلينا من يده..؟

ولم أذهب من يده إلى روما... وخرجت قصائدي الفلسطينية المترجمة للغة الإيطالية... من يد أخرى...

* * *

حينما طردوني من المدرسة... كمدرس، ثم كناظر، كان عليَّ أن أفعل شيئاً... هذه المدينة، التي احتفظت بالتاريخ، داخل قرص من العسل، مغلّف بالشمع... هي مدينتي...

أول منشور سرّي كتبته وطبعته ووزعته كان لها... وحينما كنت لها... كانت لي...

وكان على المدينة التي احتفظت بالتاريخ، في قرص عسل مغلّف بالشمع، أن تحتفظ بالجغرافيا، داخل قرص من الدم...

التاريخ يتبع الجغرافيا... وحينما لا يكون هنالك بيت لك... كيف يمكنك أن تشعل النار وتتذكّر خواتم المطر... في أصابع الشوارع...

* * *

لا فائدة من المطر الذي يسقط الآن... فوق زجاج النافذة... ليكتب شيئاً ما، ولا جدوى من رفع ذنبك إلى أعلى أيها الحوت... لا جدوى من الاحتجاج... على الصنارة... على الخطّاف، على السكّين...

* * *

لن نعبر الجسر معاً...
لن نكتب الشعر معاً...
لن نركب السفينة التي فردنا فوقها الأشرعه...
لن نغنّي معاً...

فأجمل القراصنه...

يموت في حقيبة من المياه الآسنه...

* * *

كعلبة من الورق مختومة وطازجة، توشك أن تخرج من المطبعة...

كل تلك البحار... والشواطئ... والموانئ... التي مررت بها... موجة فوق صحن... تؤكل بالشوكة وبالسكين...

* * *

عاش محمد عبد الوهاب – زمن الخيانة – فأصبح لواء... ولو عاش أحمد شوقي – أمير الشعراء – لأصبح فريقاً...

محمد عبد الوهاب... ضد سيد درويش... وأحمد شوقي ضد المتنبي.

* * *

في هيكل قديم للعبادة... في ضواحي مانيلاّ – عاصمة الفيلبين – كانت ليلة للشعر. شعراء آسيا وأفريقيا، مشوا بين المشاعل... لكي يلقوا بقصائدهم...

– يا ريتا بلتزار... أيتها الفيليبينية... التي تظهر لمرّة واحدة فقط... تحت جناح طائرة... تدور محركاتها... أو فوق سرير... يتأهب للإقلاع...

ما هو رقم الحجرة، في فندق القرية، في مانيلا... حيث كان على الجزيرة، أن تتحوّل إلى صدفة، ثم إلى زورق...؟

– اضرب الأرض... حتى يتفجّر الماء...

يجيء صوت: ياسر عرفات...

وضربنا الأرض بأقدامنا العريانة، وتفجّر النفط... هنا وهناك...

- كل ما أملكه من هذا النفط الذي فجرته بقدمي... هو ثلاثمائة لترٍ من البنزين... يذهب للسيارة التي تمشي بي... لكي أصل إلى وطني... إلى حجرة مكتبي...

ولكن طائرة إسرائيلية واحدة... تقصف المخيم الفلسطيني، في صور، أو صيدا، أو النبطية، تقصف وفمها مليء بالنفط العربي... تعرف جيداً، أن أنور السادات لم يخن فجأة... على امتداد عامين، وهو يقول لهم: إنه سوف يخون...

كانوا يعرفون أنه سيخون ولكنهم كانوا ينتظرون.

كانوا يريدون من يخون باسمهم، بالنيابة عنهم... كانوا يريدون شخصاً ما ينكحهم من عيونهم... من آذانهم... كانوا يريدون من يبصق في فمهم... من يبول في خوذتهم الفولاذية...

في الوقت الذي تكتب فيه القصائد المصرية في الزنازين... يتم في استفتاء رسمي، طرد وجه مصر... من زجاج كل النوافذ... أبو الهول الذي لم يتكلم طول عمره... لم يذهب إلى صندوق الانتخاب... ولكنني أعرف أنه قال:

- لا...

إنهم يضربون التاريخ فوق أنفه، ولكنهم لن يستطيعوا أبداً، أن يجرّوه من قدميه لصندوق الانتخاب .. حيث عليه أن يقول:

- نعم...

* * *

- لقد ذهبت في الشعر أكثر مما يجب... لا حجرة لك في فندق... ولا كرسي لك في طائرة... وعليك أن تمضي إلى المطبعة الآن... سمكة في آنية زهور... فنجان من القهوة لسفينة تغرق في الصباح...

هذا الهواء المر... هذا العطر المر... هذه الكهرباء المرة، التي نشربها كل ليلة...

- لماذا رسول حمزاتوف يضع زجاجة من الكونياك الأرميني في قفل حجرتك..؟ ويدخل إليك. ويضع تحت وسادتك... زجاجة من الكهرباء المعتقة..؟

* * *

أمضيت سنة في عمّان – في مدرسة المطران – كنت أقطع جبلين لأصل في الوقت المحدّد. وتأخرت ذات صباح، الجبل يذهب بك بعيداً، إلى الدرجة التي تريد فيها أن تغطس فيه.

كان المدرس المناوب، في ساحة المدرسة، حينما نظر إلى ساعته وتطلّع إليّ، ولم يتكلّم... مضيت إلى ملعب كرة القدم، كان عقاب التلميذ الذي يتأخر، أن ينظّف ساحة ملعب الكرة من الحصى والحجارة والشوك، وفي رياح الشتاء.

تمضي بكفّين داميتين مسلّختين إلى حجرة الدراسة، وتحاول أن تمسك بالقلم. حاول أيها الصديق. الكراسة أصبحت مخضّبة.

* * *

تكبر، تذهب بعيداً أكثر في الجبل، أو تذهب بعيداً أكثر في البحر، وتتأخر ويكبر العقاب.

والذين تكتب لهم، لا يعاقبونك بتنظيف ملعب لكرة القدم من الحصى والحجارة والشوك، ولكن بتنظيف ملعب الوطن كله.

حذار أن تلعب بقلب الثورة، هذه المرأة العاشقة، التي كلما يطلقون عليها الرصاص تحبل. وتلد دائماً حينما تموت. والتي حينما تلمسك نارها يصبح فمك فراشة وفمها نجمة. وحينما تضع قطرة ماء وحبة رمل في سُرّتكَ، تصبح حصان الكون، الذي تتكسّر على عنقه الطويل، أمواج كل البحار.

* * *

ولقد عاقبوني...

عاقبوني وأنا تلميذ صغير، فجمعت الحصى والشوك والحجارة من ملعب لكرة القدم، وعاقبوني منذ أن بدأت أكتب الشعر، فرحت أنظّف ملعب الوطن، من ألغام الكتابة الرديئة – من الشعراء الألغام – الذين ينفجرون في وجهك، من بين أوراق كتاب، حينما لا يذهب الشهيد إليهم بزهرة قبره، ويضعها على عتبة بيتهم، ثم يمضي عائداً إلى قبره...

* * *

آه...

لم يكن تروتسكي يكره شيئاً اسمه: الشعر، كما كان يكره: مایاكوفسكي. شاعر الثورة، كان يعرف من هو: خائن الثورة.

في كل ثورة كبيرة، هناك شاعر كبير. إنه قلبه يكون – تكون فيه – وبعدها يكون – يكون فيها –.

وبين بطل الثورة، وبين شاعر الثورة، شجرة زيتون، تصعد أو تهبط الدرج. الثورة لا تستخدم المصعد الكهربائي. والبطل هو الفتيلة في القنديل، والشاعر هو الزيت.

عرفت جيداً من حاولوا استبدال الماء الرمادي بالزيت، وحين لم يأتهم الضوء، فجّروا كل قناديل – أضواء النيون – انفجروا... كالرماد الأبيض... انطفأوا...

* * *

لا جواز سفر يا مایاکوفسكي... ولا تأشيرة خروج...

مسدسك إلى جانبك وأنت تكتب...

قل لهم: إن الشعر هو رائد الفضاء الأول، ليس إلى كوكب قريب أو بعيد، بل إلى ذلك الإنسان الذي أراد أن يكون صديقاً للشعر... فلم يكن له غير صوت انفجار الرصاصة في رأسه.

* * *

الشعر والبندقية. قبل نزول البندقية الفلسطينية إلى البحر – سفينة – تحمل فوق سطحها: مطبعة. كانوا يعتقلونك بمسدس، ويترجمونك بكرباج، وكنت تذهب ودمك فوق وجهك إلى كل مكتبة دموية.

الآن فوق زجاج نافذة في بيت، هنا وهناك في أحد بيوت هذا العالم، تترجمك بندقيتك. والبندقية مثل المطبعة، ترتكب بعض الأخطاء، ولكنها... تعرف كيف تطبع عشرات الشعراء على الورق... على الزجاج، ولكنها تطبع شاعراً واحداً على كفّها... وتمضي... به وبها...

تنظر في تلك الكف... وتحلم أن تكون نقطة أو فاصلة، أو قطرة من الحبر، لو سقطت على كف الوطن، لتحولت إلى شامة...

وها هي ما يسمونها "بالمجموعة الشعرية الكاملة"... يسقط الدم ويسمونه حبر الشعراء...

وعليك أن تحافظ على تلك المحبرة. فما أكثر الذين يريدون قلبك – منفضة لسجائرهم – وأنت تريد أن تصرخ طول الوقت، وأنت ترى إلى قصائدك تصرخ – مع البحار – في أعلى السارية:

- جزيرة جديدة في الأفق.

- قصيدة جديدة.

معين بسيسو

بيروت – مايو – آيار – ١٩٧٩

المُسَافِر

نافذة الكهف

فيِ مكـانٍ ينهـارُ فيـهِ الجنـاحُ وتسـوقُ الزمـانَ فيـهِ الريـاحُ
ويفـوحُ النسـيانُ ألهثـهُ المـوتُ كـأفعى قـد ألهثـتها جـراحُ
ويخـافُ السـكونُ منـه كطفـلٍ علِقَـتْ فيِ ثيابـهِ الأشـباحُ
كوكـبٌ ترصـد النهايـةَ عينـاه ولا شـاطئٌ ولا مـلاّحُ
ليس فيه من الحياة سوى الليل ضـريراً يقـودهُ مصـباحُ
وصحارى من العواصفَ تلتفُ عليهـا مـن اللّظـى أدواحُ
وسمـاءٌ مـن الخرائـبِ تجتـاحُ سمـاءً نجومُهـا أرواحُ
صـورٌ مـن بـراعم المـوت فاحـتْ في عيـونٍ دموعُهـا أقـداحُ
لـيسَ تـدري آفاقهـا مـن شـذاها أينَ يهوى المجدافُ والإصباحُ
وهـي مـا أورقَ الفـراغُ دِلاءٌ وهـي مـا أجدب السكونُ رماحُ

* * *

أنـا فيِ النهـر صـورةٌ كسـرَتها يـدُ أعمـى خيالُـهُ لمّـاحُ
فتماسـكتُ عالقـاً بظلالـي وهـي تطفـو كأنهـا ألـواحُ
وتلفّـتُ والرجـاء غـرابٌ ضـلَّ، واليـأسُ طـائرٌ صـدّاحُ
والمصبُّ العملاق أعورُ كالشمس قـد اجتـاحَ رأسَـهُ مجتـاحُ
وحـرام علـى المصـبّ ابتلاعـي وأنـا منـهُ جـدولٌ فـوّاحُ
فنيـتْ قـوّتي ومـات خَريـري ودعـاني هـديرُهُ الصـيّاحُ

فتلعْثَـمتُ ثـمّ ناديـتُ لبّيـكَ وجـدَّفتُ والهـوى فضّـاحُ

وإذا النّهـرُ والرّيـاح دمـوعٌ في مآقيـهِ والخريـرُ نـواحُ

نَفَضَـتْهُ أعماقـهُ وتغشَّـى ضِفتيهِ مـن الضبابِ وشاحُ

فجرى عاصفاً وحوَّل مجراهُ شِـتاءٌ مزلـزلٌ وكفـاحُ

لمعة

أينَ عيناكِ تبصرانِ شموعي وهي تَذوي على رُكام دموعي
أينَ عيناكِ تبصران عصافيرَ شبابي في عنفوان الربيعِ
ظامئاتٍ تُنَقِّرُ الحجرَ الراشحَ ألقتهُ ثورةُ الينبوعِ
جائعاتٍ تلوك ما قطعَ الزارعُ منْ زهرهِ الهزيلِ الصريعِ
لاهثاتٍ كأنها نَفَسُ النجمِ وراءَ السّحاب قبلَ الطلوعِ
أينَ كفّاكِ تجمعانِ الذي يسقط من عقدِ عمريَ المقطوعِ
فهي قد جمّعَتْهُ من صدف الشا طئ أمّي ومن غريب الزُروعِ
أين عيناكِ أين قلبك يسترجعُ دقاتِ قلبيَ المَفْجوعِ
وهو كالطائر الرضيع وقد أصبح فوقَ الغصونِ غير رضيعِ
يبصرُ الريحَ وهي تعتصر النهرَ وتلقيهِ كومةً من نجيعِ
غير أني على الخرائبِ وحدي ساهراً أصطلي لهيبَ شموعي
أرقبُ النجمَ وهو نورٌ منيعٌ يترامى على الفضاء المنيعِ
وأشمُّ الأمواجَ وهي قرابينُ تُضحَّى للزورقِ المصدوعِ
وأحسُّ الطوفانَ وهو على القمةِ يتلو بصوتهِ المسموعِ
قصةَ اليأس وهو يمشي على الأر ضِ برأسٍ مكللٍ مرفوعِ

الجبل الزاني

عصا جَرَسي هذا هو الجبلُ الزاني ... وهذا هو الرجّامُ ذو النَفَسِ الفاني
فلا تَطرقي شُبّاكَهُ فهو شمعةٌ ... تُخبؤها الظلماءُ عن نجمكِ الداني
ولكن أضيئي خطوةً في طريقه ... فإن الضياءَ الحرَّ خطوة إنسانِ
فهذا سياجٌ لمْ يكنْ ظلّ طائرٍ ... ولكنّهُ ظلٌّ لصخرةِ سجّانِ
هو القفرُ لا يسقي وكم في دلائه ... من الجبلِ المرجومِ أنجمُ غدرانِ
عصا جرسي قد تسعد الطينَ زهرةٌ ... تفوح به أو يسعدُ الطللُ الباني
وما النّارُ إلاّ باصطلاءِ جذورها ... تعيش فكوني المُصْطَلي الساهر الحاني
وهذا ترابٌ لمْ تزلْ فيه نارهُ ... وإن ذاد عنها الريح مُطْفِئُها الجاني
فلمّي من الأحطاب تمثالَ غابةٍ ... ونادي له القاصي ونادي لهُ الداني
فقد كان ميناءَ الحياةِ رصيفُها ... وداعٌ لألوانٍ لقاءٌ لألوانِ
وحين يضيءُ اللّيلُ كلّ نُجومهِ ... وتعلو من الأمْواجِ صيحةُ طوفانِ
أريقي به النارَ التي لم تُرَقْ بهِ ... وإن سكبتها فيهِ قبلكِ عينانِ
ونادي لهُ الطفل الذي لم يزلْ لهُ ... ليحرقَ أحلامَ الحياةِ بأغصانِ
وقولي لهُ والسُحْبُ تهوي بجمرهِ ... وترسمُ ألواحاً بريشةِ ربّانِ
سلامٌ مجيرَ الطّفلِ من ثدي أمّه ... سلامَ غريقٍ لا يلوحُ بشطآنِ

النمــل

أتظمئُ عينيكِ السماءُ وتستسقي وأشربُ من نهر التراب وأستبقي

وتعلـو أعشــاشَ النجـومِ بنخلــة من الريح أعلوها بسـنبلةِ العُمْقِ

وتشــمخُ في قــشّ الفـراغِ منقّـراً سـحائبَ أنفاسي فيمطرُ بي خفقي

وأمخــرُ رايــاتِ الريــاحِ لخيمــةٍ مُعَشِشَةِ الأسـوارِ في جبلِ الرقِ

وأشرف من نجم السياجِ مُلوِّحاً إلى النملِ مطروف الحصاد على الأفْقِ

فرطت بمحراثي غصوني لنملةٍ وكم نملة شجراء تصفر في عرقي

تسامر عينيها قيودٌ من الحصى فتنعس والأصداء موغِلة الطرقِ

كجاريـةِ الأحــلامِ في بـرعمٍ خبــا بـهِ الليل أغفت كالحمامة في الطوقِ

حكايتهـا والشّـمسُ خيطٌ غزلتـهُ حكاية مصباحي المسافر في الشرقِ

تعلّــقَ في ثــوبي كمَــوءودَةٍ رأت ضـفائرها واللّيـل يبـزغُ للنطـقِ

إلى غُــدُرٍ أمشــي وطــيًّ عبــاءتي غديرٌ وقيدٌ صام فيهِ عن الحرقِ

أريق لهُ ناري على ساق شمعةٍ تقاذفهـا جَـزْرُ الهدير إلى عُنْقـي

وأنـت بمجداف السّماءِ تزورنـي تُكَحِّـلُ عـيني بـالزوابع والـبرقِ

وشمسكَ في ليلي فضـاءٌ سـلكته إليـكَ وأغلالــي تجـاذبني عَتقــي

ترابــيَ في كفّــي وريحــي وطــائرٌ أنـاخَ جناحيهِ وأغمضَ في أفْقـي

الميلاد...

هذهِ الريحُ وهذا الجبلُ وأنا والمنتَهى والأجلُ
والجناحانِ وليلي قَفَصٌ والسياجُ الأبيضُ المكتحلُ
أيُّ أنغامي الذي يسمعني قِممٌ تعزفُ فيها السّبُلُ
والذي تبصرُ عيني غُصُنٌ والذي يبصرُ عيني طللُ
هذه الريحُ وهذا الجبلُ وأنا والمنتهى والأجلُ
حطب يُبحر في النّهْر وفي صدره النّارُ التي تشتعلُ
نسي الرفشُ عليه أثراً ذكَر الحطّابَ فيهِ البلَلُ
فعلى أي ترابٍ تنحني هذه الشمسُ التي تبتهلُ
وعلى كلّ ترابٍ صنمٌ وعلى كلّ سماءٍ بطلُ
هذه الريح وهذا الجبلُ وأنا والمنتهى والأجلُ
والطريقانِ وحبّي أثرٌ أتخطّاهُ وسَيري ملَلُ
والتي قد رحلَت في أثري لم تعدْ منهُ وعادَ الأمَلُ
أشموعي والدّجى يذرفها فصباحي أنجمٌ تنهملُ
والنّدى الإنسان في سُنْبُلةٍ حلمهُ في ساقها يُقتتلُ
هذه الريحُ وهذا الجبلُ وأنا والمنتهى والأجلُ
وظلالي أدمعٌ يَسكُبُها وقيودٌ قد رماها الجبلُ
يومَ ميلادي الذي قد نزلت فيهِ أيّامي وأهلي نزلوا

نصَبُوا لــي شمعــةً تحرســني ومشــوا فيِ ضــوئها وارتحلــوا
فــإذا دقَّ بصـــدري نَفَـــسٌ قرعــوا أجراســـهم واعتزلــوا
هـــذه الـــريحُ وهـــذا الجبـــلُ وأنـــا والمنتهـــى والأجـــلُ
هـا هــي النــارُ مشـت صَـخْرَتُها فيِ التماثيـــلِ دمـــاً يشـــتعلُ
دَثــرِّي جرحـــي فـــلا تطفـــؤهُ كـــلُ ريـــحٍ جرحُهـــا منـــدملُ

الديك

أناخَ الغروبُ ظلالَ الرحيلِ   وعيني مسافرةٌ في الأثرْ
تُفَتشُ عن جرةٍ في الرمالِ   وتبحثُ عن جمرةٍ في الحَجرْ
وتسألُ ناطورةً في الرياحِ   عن الزرعِ والزارعِ المُنْتَظِرْ
عن الحاصدينَ وقد علّقوا   مناجلهمْ في سقوفِ الشّجرْ
وراحوا على النار يسترجعونَ   عهودَ الحصاد وعهدَ المطرْ
عن العاطلينَ عبيدِ الطريقِ   ومولاهمُ الفاتحُ المنتصرْ
ينادونَ نوحَ الشراعِ الكبيرِ   وطوفانُهُ نائمٌ في السُرُرْ
عنِ الضاربينَ خيامَ الحياةِ   بكلّ كثيبٍ قصيرِ العُمُرْ
تُباغتُهم ذكرياتُ الشروقِ   فَتَعْثُرُ في ظلماتِ الحفرْ...
كأنّهمُو حارسٌ في الطلولِ   يُنقّلُ سُلّمَهُ في الجُدُرْ
يُرَمِّمُ في صُوَرِ الهالكينَ   ويمسحُ عنها غبارَ السَّفرْ
فيذكر قافلةً في السّرابِ   وقافلةً في ظلالِ الغُدُرْ
وَدْيكاً عراهُ ذبولُ المشيبِ   وقد أمسكتهُ سطوحُ الحُجَرْ
لقد فاجَأتْهُ طيورُ الصبّاحِ   ينقّرُ في ريشِهِ المُنْتَثِرْ

المسافر

فــتحَ الإنســـانُ عينيـــهِ وقـــالْ لا أرى أثـــارَ طفلـــي فيِ الرمـــالْ
أيـنَ ولّـى أيـنَ يـا شمـسُ وهـلْ مـن لظـى عينيـكِ تحميـهِ الظـلالْ
أيـنَ ولّـى أيـنَ يـا ريـح وهـلْ حـين تشـتدّينَ تؤويـهِ الجبـالْ
أيـن ولّـى أيـنَ يـا سُـحْبُ قفـي واسمعـي منـهُ أغانيـهِ الطِـوالْ
فهو صوتُ البحر سهرانَ على شمعـة الأيـام تخبـو واللّيـالْ
وأنـينُ الغصـنِ سـهرانَ علـى صـرخة الطـائر تدميـهِ الحبـالْ
وارتعـاشُ القفـر مَسَّـتْ قلبـهُ نسـماتٌ مـن سـرابٍ وخيـالْ
واهتـزازُ الجبـل السـكران في قلبـه البركـان قـد غنَّـى ومـالْ
وانتفـاضُ الكوكـبِ النـائي رأى قـدم الكلـب علـى عُنْـقِ الغـزالْ
وصـراخُ العبـدِ في النـار هـوى حاضـناً أغلالَـهُ السـودَ الثـّقالْ
وغفـــا الإنســـانُ إلاّ شمعـــةً زادها الفجرُ اشتعالاً في اشتعالْ
وعلـى أضـوائها الحمـرِ مشـى ذلـك الطفـلُ السـماويُّ الجمـالْ
حـــاملاً إكليـــل زهـــرٍ لم يلـــدْ مثلَـه غصـنٌ علـى تلـكَ الـتّلالْ
وإذا مـــا اشـــتبكتْ أظلالـــهُ بظـــلالِ الفجـــرِ ألقـــاهُ وقـــالْ
حمـل النـاسُ الأمـاني مثلمـا حَمَلَـتْ عـوداً مـن القـشِّ النِمـالْ
أمطـري يـا هـذه السُـحْبُ فلـنْ تطمِسـي آثـارهمْ فـوقَ الرمـالْ

المَعْرَكَة

المعركة

أنا إنْ سَقَطتُ فخذْ مكاني يا رفيقي في الكفاحْ
واحملْ سلاحي لا يُخِفْكَ دَمي يسيلُ من السلاحْ
وانظرْ إلى شفتيَّ أُطبقتا على هُوجِ الرياحْ
وانظرْ إلى عَينيَّ أُغمضتا على نُورِ الصّباحْ
أنا لم أمُتْ! أنا لم أزلْ أدعوكَ من خلفِ الجراحْ

فاحملْ سِلاحَكَ يا رفيقي واتجهْ نحو القنالْ
واقرعْ طبولكَ يستجبْ لكَ كلُّ شَعْبِكَ للقتالْ
وارعدْ بصوتِك يا عبيدَ الأرضِ هُبُّوا للنضالْ
يا أيها المَوتى أفيقوا: إنّ عهدَ الموتِ زالْ
ولتَحمِلوا البُركانَ تقذفهُ لنا حُمرُ الجبالْ

هذا هُو اليومُ الذي قد حَددتْهُ لنَا الحياةْ
للثورةِ الكبرى على الغِيلانِ أعداءِ الحياةْ
فإذا سَقطنا يا رفيقي في جحيمِ المعركَهْ
فانظرْ تجدْ علَماً يرفرفُ فوقَ نارِ المعركهْ
ما زالَ يحملُهُ رِفاقُكَ يا رفيقَ المعركَهْ

المدينة المحاصرة

البحرُ يَحكي للنجومِ حكايةَ الوطنِ السجينْ
والليلُ كالشحاذ يَطرقُ بالدموعِ وبالأنينْ
أبوابَ غزةَ وهي مغلقةٌ على الشعبِ الحزينْ
فيحركُ الأحياءَ ناموا فوقَ أنقاضِ السنينْ
وكأنّهم قبرٌ تدقُّ عليهِ أيدي النابشينْ

وتكادُ أنوارُ الصَّباحِ تُطلُّ من فَرطِ العذابْ
وتطاردُ الليلَ الذي ما زالَ موفورَ الشبابْ
لكنّهُ ما حانَ مَوعدُها وما حانَ الذهابْ
الماردُ الجبّارُ غطّى رأسَهُ العالي الترابْ
كالبحرِ غَطّاهُ الضبابُ وليسَ يقتلهُ الضبابْ

ويخاطبُ الفجرُ المدينةَ وهي حيرى لا تجيبْ
قُدّامها البحرُ الأُجاجُ ومِلؤها الرملُ الجديبْ
وعلى جَوانِبِها تدبُّ خُطى العدوِّ المستريبْ
ماذا يقولُ الفجرُ هل فُتِحَتْ إلى الوطنِ الدروبْ
فنوَدِّعَ الصحراءَ حينَ نسيرُ للوادي الخصيبْ؟

لسنابلِ القمحِ التي نَضِجَتْ وتنتظرُ الحصادْ
فإذا بها للنّارِ والطيرِ المشرَّدِ والجرادْ...
ومَشى إليها الليلُ يُلبسُها السوادَ على السوادْ
والنّهرُ وهو السائحُ العَدَّاءُ في جبَلٍ ووادْ
ألقى عصاهُ على الخرائبِ واستحالَ إلى رمادْ

هذي هي الحسناءُ غزة في مآتِمِها تدورْ
ما بينَ جَوعى في الخيامِ وبينَ عَطشى في القبورْ
ومُعذَّبٍ يقتاتُ من دمِهِ ويعتصرُ الجذورْ
صوَرٌ مِنَ الإذلالِ فاغضبْ أيها الشعبُ الأسيرْ
فسياطُهمْ كتبتْ مصائِرنَا على تلكَ الظهورْ

أقرأتَ أمْ ما زلتَ بكّاءً على الوطنِ المُضاعْ؟
الخوفُ كَبَّلَ ساعديكَ فَرحتَ تجتنبُ الصِراعْ
وتقولُ إنّي قدْ غرِقتُ وشَقّتِ الريحُ الشراعْ
يا أيّها المدحورُ في أرضٍ يضجُّ بها الشعاعْ
أنشدْ أناشيدَ الكفاحِ وسرْ بقافلةِ الجياعْ

السيول

لمْ يتركِ السيلُ غيرَ الحبلِ والوتَدِ ... من ذلكَ الشعبِ أو من ذلكَ البلدِ
وغيرَ بعض العرايا الساحبينَ على ... تلكَ الوحولِ بقاياهُم منَ الولدِ
وغيرَ ما شاهدتْ عيناكَ من جثثٍ ... منفوخةٍ لمْ تَزَلْ مجهولةَ العددِ
هُنا حُطامٌ هنا موتٌ هنا غرقٌ ... هنا بقايا رغيفٍ عالقٍ بيدِ
هنا العُيونُ التي تصطكُ ميِّتةً ... هنا الشفاهُ التي تدعو لثأرِ غدِ

تلكَ البقيّةُ من شَعبي ومِن بلدي ... ما بينَ باكٍ ومجنونٍ ومُرتَعِدِ
تلكَ البقيةُ مِن شَعبي فذاكَ أبي ... وتلكَ أمّي وما في الخيشِ من أحدِ
إنْ جئتَ تسألُ عن أطفالها صرخَتْ ... وقَهْقَهَ السيلُ لمْ تحبلْ ولم تَلِدِ
يا مَنْ نصبتَ لهمْ سودَ الخيامِ على ... صُفرِ الرمالِ لقد غاصتْ إلى الأبدِ
الستَ جَلاّدَهمْ فاربطْ غَريقَهُمُ ... واسحبْهُ خلفكَ بالأمراسِ والزرَدِ
واتركْ لأطفالِهِ آثارَ جثتهِ ... دماً تَوهَّجَ فوقَ الرملِ والزَّبَدِ
ثمّ سترعشُ قلبَ الأرضِ صَرْخَتُهُ ... يا نارُ قد صَحتِ الأمواتُ فاتقدي

أنا لا أخافُ من السّلاسلِ فاربطوني بالسلاسلْ
منْ عاشَ في أرضِ الزلازلِ لا يخافُ منَ الزلازلْ
لـنِ المشانقَ تنصبونَ لـنْ تشدُّونَ المقاصلْ
لنْ تُطفِئوا مهما نفختمْ في الدُّجى هذي المشاعلْ
الشعبُ أوقَدها وسارَ بها قوافلَ في قوافلْ

أنا لا أخافُ منَ العواصفِ فاعصفي بي يا عواصفْ
أنا لي رفاقٌ في دمي تدوي رعودُهمُ القواصفْ
وتضيءُ في عينيَّ خاطفةً بُروقُهمُ الخواطفْ
وتسيلُ منْ كَفّيَّ جارفةً سيولُهُم الجوارفْ
أنا لا أخافُ ومن أخافُ ولي رفاقٌ يا عواصفْ؟

قد أقسموا والشّمسُ تُرخي فوقَهُمْ حُمْرَ الضفائرْ
أنْ يَطردوا من أرضِنا الخضراء تُجارَ المقابرْ
ويحرّروا الإنسانَ من قيدِ المذابحِ والمجازِرْ
ويُحرّروا التاريخَ من قلمِ المُغامرِ والمُقامرْ
فنحقّقَ الوطنَ الكبيرَ لنا ونزرعهُ مناثرْ

ها هُمْ هناكَ أخي هناكَ هَووا صواعقَ في صواعقْ
فـانظرْ لـمَنْ زرعَ المشـانقَ كيـفَ تحصـُدُهُ المشـانقْ
وانظـرْ لـمَنْ حفـرَ الخنـادقَ كيـفَ تدفنـهُ الخنـادقْ
هُمْ قادمونَ أخـي لقد ركَزوا على الفجرِ البيـارقْ
وَهــوى وراءهُـمُ الظـلامُ الميـتُ تأكلـهُ الحرائـقْ

دقة الساعة

لـيسَ ننـبي إنْ كـانَ للنّـورِ قـبرُ   في بـلادي وللمكـافحِ قـبرُ
وتفشـى الظـلامُ كالـداءِ لا يوقـفُ طوفانَـهُ المـدمِّرَ فجـرُ
إنـني أكتـبُ الحقيقـةَ لكـنْ   ثـورة الحـقّ في بـلاديَ كفـرُ
قلمـي في الحديـدِ في ظلمـةِ السـجنِ طـريحٌ مكبّـلٌ لا يصِـرُّ
نَفَسـي حـائمٌ يفـتّشُ في الظّلمـةِ عـن منفـذٍ ولا يسـتقرُّ
أبـداً أرفـعُ العيـونَ إلى البـابِ ولا حامـلٌ شـعاعاً يمـرُّ
وإذا مـا سمعـتُ دمدمـةَ الـريحِ تـدوّي قلـتُ العواصـف كثْـرُ
سـوفَ تجتـاحُ حـائطَ السـجنِ يومـاً   فـوراءَ القضـبانِ يلـهثُ حـرُّ
غـيرَ أنّ الأيـامَ تمضـي وتمضـي   وأنـا شمعـةٌ تـذوبُ وفكـرُ
وأمـدُّ الأنفـاسَ مَـدَّ غريـقٍ   أيـنَ مِـن موجـهِ الشـديد المفـرُّ
أيـنَ شـعبي لقـد تـذكرتُ أنّـي   لـيَ ديـنٌ في عنْقـهِ لـيَ عُمْـرُ
أيـنَ أنفاسُـهُ تُحطّـمُ قيـدي   أيـنَ ثاراتُـهُ أمـا لـيَ ثـأرُ؟
إنَّ شـعبي العمـلاقَ في القمقـمِ مثلـي وفوقَـهُ الليـلُ بحـرُ
ويُعـاني الـذي أعـاني وهـلْ يفـرحُ نسـرٌ وفي السلاسـلِ نسـرُ!
وهـوَ لا بـدّ حـاطمٌ قيـدَهُ الأسـودَ يومـاً والنصـرُ يتلـوه نصـرُ
فـإذا الصـرخةُ الكـبيرةُ تَـدوي   وإذا العـالمُ المقيَّـدُ حـرُّ

البســاطُ الكـبيرُ يفـرشُ للظــافرِ قــومي افرشــيهِ فــاليومَ خمــرُ
وغـدٌ نحــنُ مَــنْ صــنعنا غــدَ العــالمِ عُمْدانــهُ الأيــادي الحمــرُ
للملايــينِ يفرحــونَ بــهِ العمــرَ فمــا فيــهِ ظلمــةٌ أو قفْــرُ
قــد جعلنــا الإنســانَ أثمــنَ مــا فيــهِ لــهُ الأرضُ والســماءُ مقــرُّ
وجعلنــاهُ كالريــاحِ طليقــاً غــدُهُ في يديــهِ نــورٌ وزهــرُ
غــدُنا أيهــا القريــبُ لقــد أوشــكَ يمشــي علــى الطريــقِ الفجــرُ
نحــن لــن نــتركَ الســلاحَ وفي الأرضِ أســارى وآســرونَ وأســرُ

ســاومونا علــى الحيــاةِ كمــا شــاؤوا ومــا للحيــاةِ ســوقٌ وســعرُ
وإذا مــا صــلاهُمُ قلــمُ الحــرّ شــعاعاً يُلقيــهِ في الأرضِ فكــرُ
صــرخوا صــرخةَ الغــرابِ علــى الجيفــةِ واستنســروا وكــرّوا وفــرّوا
ثــمّ صــاحوا بالشــعبِ وهــو دمــوعٌ عُتِقّــتْ في كؤوسِــهمْ فهــي خَمــرُ
إنَّ تمثالــكَ المقــدَّسَ يــا شــعبُ حطــامٌ بكــلّ أرضٍ يُجَــرُّ
قتَلــوهُ فخُــذْ بثــأرِكَ يــا شــعبُ فللميّــتِ المقــدَّسِ ثــأرُ
غــيرَ أنَّ الــذي ينــادونَ ســدَّتْ أُذْنَــهُ الــريحُ والصّــباحُ الأغــرُّ
وعلــى ضــوئِهِ تــراءى لــهُ الــوحشُ وقدّامَــهُ الضــحايا الكُثْــرُ

أيهــا الشّــعبُ أيهــا الميــتُ الحــيُّ بــأرضٍ منهــا القبــورُ تفــرُّ
هكــذا تُصــنعُ النعــوش لكــي ترقــدَ فيهــا وأنــتَ يــا شــعبُ زهــرُ
خالــدُ العطــرِ مُثقــلٌ بنــدى الفجــرِ ولكــنْ لا يطــردُ الجــوعَ عطــرُ
هكــذا قــدَّروكَ ميتــاً علــى الأرضِ وأيــامُهُمْ لشمسِــكَ قــبرُ
يمضــغونَ السّــنينَ مــن عمــرِكَ النضــيرِ ويلقونهــا ومــا لــكَ عمــرُ

انظرِ الصينَ كيفَ ثارتْ على الموتِ وفي الصينِ للملايينِ نصرُ

كيفَ هدّتْ جدرانَ معبدِها الرحبِ وفيه الأصنامُ بيضٌ وصفرُ
صرخاتُ العبيدِ في أذنيها جُمعتْ فالعبيدُ بعثٌ ونشرُ
ورياحٌ تسوقُها مثلما ساقَ الدهورَ البطاءَ في الأرضِ دهرُ
ضربتْ موعداً لهُ أممُ الأرضِ فطارتْ بهِ الجيادُ الحُمْرُ

دقّتِ السّاعةُ الرهيبةُ وانشقَّ عنِ المارِدِ المخدَّرِ سترُ
أَسْنَدَتْهُ إلى الجدارِ الأعاصيرُ كسكرانَ نالَ منهُ السُّكرُ
وشظايا الكؤوسِ غائصةٌ فيهِ كما غاص في حشا الأرضِ جذرُ
نسماتُ الصباحِ يا حُلُمَ التائهِ يمشي والقفرُ شوكٌ وجمرُ
بلّلي وجهَهُ وشُدّي خطاهُ فطريقُ الكفاحِ صعبٌ ووعرُ
ملأتهُ الأشواكُ والدمُ والدمعُ ولكنّهُ الممرُّ المُرُّ

أيها الشرقُ كانَ ظلّكَ في الأرضِ سحاباً يمرُّ ما فيهِ قَطرُ
تشربُ البومُ من جداولِكَ الخضرِ وتُروى وليس ترويكَ بئرُ
أورثوكَ القيودَ عن صنمٍ ماتَ فأشقاكَ في حياتِكَ قبرُ
هُم لصوصُ التاريخِ كم سرقوا منهُ شعوباً مصّوا دماها وفرّوا
وهمُ المالئونَ أرضَ أمانيكَ ظلاماً يضلُّ فيهِ الفجرُ
غيرَ أنَّ الحياةَ أقوى منَ الموتِ ولنْ يهزمَ الحياةَ القبرُ
هي كالبحرِ مدُّها الأملُ الهادرُ طولَ السنينِ واليأسُ جزرُ
يكشفُ الصخرَ حينَ يرجعُ بالموجِ ولكنْ يُنجي الغريقَ الصخرُ

صليل الحبال

أخـــي مِـــنْ خـــلال حبـــالِ الســـياطِ ومـــن حلقـــاتِ القيـــودِ الثقـــالْ
تطلّـــعْ إلى وطـــنِ الكـــادحينَ وقـــد شـــنقوهُ بســـورِ الحبـــالْ
ولفّـــوهُ بـــالخِرَقِ الباليـــاتِ وألقـــوهُ في ظُلمـــاتِ الحُفَـــرْ
وهـــالوا عليـــهِ الـــترابَ الكثيـــفَ كـــأنْ لمْ يكـــنْ في ربيـــعِ العُمُـــرْ

أخـي مـنْ خـلالِ الجـدارِ الكئيـبِ ومـن فجـواتِ الـدُّجى والحطـامْ
تطلّـــعْ إلى الأعـــينِ الغـــائراتِ وقـــد عَلِقَـــتْ بســـقوفِ الخيـــامْ
هنـا يمضـغُ الجـائعونَ الـترابَ هنـا يعصـرُ الظـامئونَ الحجـرْ
هنـا تكتسـي بـالظلامِ العـراةُ أخـي مـن هنـا سـوفَ يمشـي الشـررْ

أخـي مـن هُنـا سـوفَ تجـري السـيولْ
فتجـــرفُ أغلالنـــا والوحـــولْ
ويثـــأرُ مـــن قاتليـــهِ القتيـــلْ
فتقـــرعُ أجراسَـــنا والطّبـــولْ

ولـــنْ نَحْـــرُثَ الأرضَ للمُرْتَـــوينْ
مـــن الـــدَّمِ يجـــري علـــى كـــلّ طـــينْ
ولكـــنْ لأطفالنـــا الجـــائعينْ
وقـــدْ مـــلأوا بـــالترابِ البطـــونْ

ولـــنْ نســـتقي قطـــراتِ المطـــرْ
ولـــنْ نكتفـــي بجـــذورِ الشّـــجَرْ
ولكـــنْ بكـــلّ شـــهيٍّ الثمـــرْ
ســـقيناهُ حتـــى ارتـــوى وازدهـــرْ

المهاجرون

أخي في الكفاحِ أخي في العذابْ   أتسمعُ مثلي عواءَ الذئابْ
تُفزِّعُ أطفالنا النائمينَ وتُنذرُ أحلامَهُمْ بالخرابْ
ويَفْتَحُ أعْيُنَهُمْ في الظلامِ دويٌّ الرصاصِ ولمعُ الحرابْ
وتخنُقُ صَرْخَاتِهِمْ كالنّجُومِ إذا خنَقتها حبالُ السحابْ
ولكنّهُ سوفَ يأتي الصباحُ ويكسرُ أبوابَ هذا الضبابْ
يضيءُ لنا أرضَ آبائنا   وأرضَ طفولتِنا والشبابْ
فتورقُ آمالُنا كالغصونِ وكانتْ جذوراً ببطنِ الترابْ
فقُمْ وادْعُ مثلي ليومِ الخلاصِ وميلادِ تلكَ الأماني العِذابْ
وانْ قيَّدوكَ وإنْ عذَّبوكَ وإنْ هدَّدوكَ بشرِّ العقابْ
فلا تستكنْ يا ابنَ هذا الترابِ أمامَ وحوشِ الحياةِ الغضابْ
بل اغرسْ قيودَكَ في صدرِها   كما غَرسَتْ فيكَ ظِفراً ونابْ
وإنَّ وراءكَ شعباً يصيحُ وإنَّ أمامكَ فجراً مُذاب
أخي يا ابنَ هذا الترابِ الحزينِ أتسمعُ مثلي أنينَ الترابْ
وقد ملأتهُ جيوشُ العُراةِ أسارى الرغيفِ سكارى العذابْ
يشدُّهُمُ الغاصبُ المستبدُّ كما شدّتِ العنكَبوتُ الذُّبابْ
يخدّرهُمْ بفتاتِ الرغيفِ ويُسكرهمْ ببقايا الشرابْ
وَيُسكِنُهُمْ هاوياتِ الخيامِ ويُلبسهمْ بالياتِ الثيابْ

طَـــريقُهُمُ ملأتهـــا القبـــورُ ورنّـــتْ بهـــا ضـــحكاتُ الغـــرابْ

ولكـــنَّ خلـــفَ دُجاهـــا الكئيـــبِ تطـــلُّ نَوافـــذُهمْ والقِبـــابْ

وهُـــمْ يرفعـــونَ إليهـــا العيـــونَ ولا يملكـــونَ إليهـــا الـــذَّهابْ

وَهُـــمْ والليـــالي تُنسِّـــي الغريـــبَ وتلقـــي علـــى الـــذكرياتِ الحجـــابْ

مضـــوا يحفـــرونَ بـــدمعِ العيـــونِ ودمـــعِ القلـــوبِ طريـــقَ الإيـــابْ

حطام القيود

أنـا المقَيَّـدُ لكنّـي سـأنطلقُ   وأتركُ السجنَ خلفي وهوَ يحترقُ
وأخلعُ الكَفَنَ الدامي وقد رشحَتْ   خيوطُـهُ بدمائي وهـيَ تَنْبَثِـقُ
وأهدِمُ الصنمَ المجنونَ صارخة   حُرِّيتي في يديهِ وهي تختنقُ...
هي الحياةُ تُناديني وملءُ دمي   أحسُّ أمواجَها الحمراءَ تندفقُ
ولنْ يَعيقَ خُطايَ الشوكُ مرتفعاً   ولن يخدّرَني مِنْ وَرْدِهِ العَبَقُ

هي الحياةُ ولا تُبقي على أثرٍ   لكلِّ من سارَ بالأكفانِ يستبقُ
كذلكَ البحرُ لا تَبقى بهِ رممٌ   ولا تحركُهُ أنفاسُ مَنْ غرقوا
الحيُّ حيٌّ بهِ، والميتُ تقذفُهُ   أمواجُهُ فهي للأحياءِ تصطفقُ
فانشِدْ نشيدكَ للشّعبِ الذي سرقوا   دماءَهُ وهيَ في أعراقِهِ مِزَقُ
وخلّفُوه وفأسُ العمرِ في يدهِ   جرداءٌ يرشَحُ منها الدمعُ والعرقُ

أنا المقيَّدُ لكنْ سوفَ أنحتُ منْ   أغلاليَ السورِ فئساً ليسَ تتكسرُ
وأهدمُ الحائطَ العالي الذي غُلقَتْ   فيهِ النّوافذُ لا شمسٌ ولا قمرُ
وأجمعُ الرّيحَ في كَفّي وأُطْلِقُها   على الذينَ بهذا الشعبِ قد كفروا
وجَمَّعُوهُ على أبوابِ مقبرةٍ   تكادُ من هولِها الأمواتُ تنتحرُ
وقيلَ هذا هوَ الروضُ الذي حلمتْ   بهِ عيونُكَ فيهِ الظلُّ والثمرُ
لكنَّهُ الفجرُ ذو الأنوارِ أدركهمْ   وهمْ قوافلُ بالظلماءِ تستَتِرُ

فأبصروا القبرَ والحفّارُ متكئٌ عليهِ للميّتِ الموعودِ ينتظرُ
إرادةُ النورِ أن يذوي الظلامُ ولا يَبقى على الأرضِ من آثارِهِ أثرُ
إرادةُ الفأسِ أنْ تهوي السجونُ ولا يبقى على الأرضِ من أحجارها حجرُ
فاشحذْ فؤوسكَ يا ابنَ الشعبِ مقتلعاً هذي القبورَ التي للشعبِ قد حفروا
وأنتَ لا بدَّ يا ابنَ النورِ تنتصرُ وأنتَ لا بدَّ يا ابنَ الشعبِ تنتصرُ

تاريخ

فَمُكَ المُكَبَّلُ بالحديدْ وفمي المُكبَّلُ بالنشيدْ
صوتانِ للحريّةِ الحمراءِ في وطَنِ العبيدْ
متكسِّرانِ تَكَسُّرَ الأمواجِ فوقَ الزورقِ
متعاظماً بحطامِهِ وكأنّهُ لم يَغْرَقِ

قيدانِ في هذي الطريقْ يتطلعانِ إلى الحريقْ
كالشاطئِ الراسي يحاوِلُ سَحبهُ نفسُ الغريقْ
متهافتانِ تهافتَ الظمآنِ فوقَ الجدولِ
مُتَحَصّناً بصخورِهِ حصنَ الظّلامِ بمشعَلِ

عينانِ في سَجْنِ الخريفْ تتحرّقانِ إلى الحفيفْ
كتحرُّقِ الحرِّ المقيَّدِ للنّسيمِ وللرصيفْ
منذورتانِ إلى الربيعِ استيقظي وتحرّري
يا هذهِ الأزهارُ منْ غصنِ الدُّجى المتحجَّرِ

جُرحـــانِ في خِـــرَقٍ وطـــينْ لا يعرفـــانِ مـــن السّـــنينْ
غـــيرَ السّـــياطِ الراشـــحاتِ حبالهـــا بـــدمِ الســـجينْ
كحمـــــامتينِ طـــــريحتينِ علـــــى جـــــدارٍ مُظلـــــمِ
تتنفّســـــانِ نســـــائمَ القفـــــصِ الملَطَّـــــخِ بالـــــدَّمِ

شـــعبانِ في الـــوادي الخصـــيبْ شُـــنقا بـــأمراسِ اللـــهيبْ
وتطوّحـــــا كتطـــــوُّحِ النّسَـــــماتِ في القَفْـــــرِ الجـــــديبْ
كشُـــــعاعتينِ رضـــــيعتينِ علـــــى ذراعـــــيْ كوكـــــبِ
نـــزلَ السّـــحابُ عليهمـــا بـــــالخنجرِ المتوثِّـــــبِ

جنازة الجلاد

اغسلوهُ بما جرى مِنْ دمائِهْ فترابُ العِطاشِ أَولى بمائِهْ
وارجموا نعشَهُ كما تُرجَمُ البومةُ بالباقياتِ من أشلائِهْ
وامنعوا الشّمسَ أن تُضيءَ على الخائنِ حتى في مهرجانِ فنائِهْ
وإذا سارتِ الجنازةُ والنّجمُ مُشيحٌ عن رَكْبِها بضيائِهْ
فاطردوا حافرَ القبورِ عن الأرضِ التي لُطِّخَتْ بوحلِ دمائِهْ
واحرقوا الجيفةَ الخبيثةَ وامشوا وأطلّوا بها على أبنائِهْ
ولتكُنْ كومةَ الرمادِ إلى الذئبِ فراشاً وللغرابِ التائِهْ

أيها الهالكُ المددَّدُ في الكهفِ يلوكُ الطريحَ من أنفاسِهْ
أنسيتَ الجلاّدَ لّما تزلْ ترعشُ عُنْقُ المشنوقِ في أمراسِهْ؟
أنسيتَ الجلاّدَ لّما تزلْ تسمعُ صوتَ الفناءِ من أجراسِهْ؟
والوحول التي شَرِبْتَ ألا تذكُرُ يا مَن نقشتَ جدرانَ كاسِهْ
أنتَ مَيْتٌ إنْ لمْ تَثُرْ ثورةَ الريحِ وتهوي بسقفِهِ وأساسِهْ
وتُعيدَ المَنْهوبَ من هذه الأرضِ التي تستغيثُ من أغراسِهْ
فتدبُّ الجياعُ تحرثُ بالكَفِّ ثراها المحرومَ من أعراسِهْ

حيَنما تُمطِرُ الأحجَار

ارفعوا الأيدي عن أرض القناة

يا سهيرْ
أنا في المنفى أغنّي للقطارْ
وأغنّي للمحطّهْ
أيّ هزّةْ
حينما تومضُ في عينيَّ غزهْ
حينما تلمعُ أصواتُ الرفاقْ
حينما تنمو كغابهْ
من بروقٍ ورياحْ
حينما يلمعُ برقُ الكلماتْ
كلماتٌ من حديدْ
تطرقُ البابَ الحديدْ
اطرقي يا قاهرهْ
واطرقي يا غزّتي
واطرقوا يا إخوتي
ولْتُضَأْ كلُّ شبابيكِ القطارْ
بعيونٍ كالنّجومْ
بعيونِ العائدينْ

لمتاريسِ الكفاحْ
في بلادي وبلادِ الآخرينْ
ولتكُنْ كلُّ الأيادي عائلهْ

* * *

أيّ أيامِ عذابْ
أن يكونَ الحُلْمُ دوري في الكفاحْ
وأنا أكتبُ دوري في الكفاحْ
وأنا أخشى الإطالهْ
في الرسالهْ
وأنا أكتبُ من أجلِ القناهْ
وأنا أحذرُ من همسِ القلمْ
وخطى السجّانِ فوق الورقهْ
وبقلبِ القاهرهْ
قصفُ رعدِ المطبعهْ
قصفُ رعدِ الكلمهْ
يا لمجدِ الكلمهْ
حينما تغدو عناقيدَ ضياءْ
في أيادي الشعراءْ

* * *

أيّ أيّامِ عذابْ
وهنا ظلُّ سماءٍ من حديدْ

وظلامٌ في الظّهيرهْ

وسماءُ القاهرهْ

السماءُ الظّافرهْ

بنجومِ الدَّمِ تزهو في النّهارْ

نجمةٌ تومضُ من كلِّ رصاصهْ

أطلَقتْها من يدِ التلّ الكبيرْ

يدُ فلاّحٍ شهيدْ

لمْ تزلْ تنبضُ في التلّ الكبيرْ

نجمةٌ من عَرَقِ الفلاّحِ حفارِ القناهْ

دَمُهُ الأبيضُ والنازفُ من نبعِ الجبينْ

دمُهُ الأبيض والنازفُ أمواهَ القناهْ

نجمةٌ من كلِّ فلاّحٍ وعاملْ

في العراقْ

رغمَ "نوري" والوثاقْ

نجمةٌ من كلّ ثائرْ

في الجزائرْ

نجمةٌ من كلّ أبناء السلامْ

فوقَ أسوارِ بكينْ

نجمةٌ من كلّ شَغّيلٍ على أرضِ لينينْ

نجمةٌ من قلبِ عُمالِ المحطات البعيده

فردوا الرايات مثل الأجنحهْ

لنْ تمرّ الأسلحهْ
نجمةٌ من قلبِ بكداشَ الصديقْ
نجمةٌ من قلبِ عمّان المجاهدْ
أبو خالدْ
نجمةٌ من كلّ جُرحٍ لمْ يُضمَّدْ
في بلادي لمشَرَّدْ
نجمةٌ من ثغرِكِ الزاهي النضيرْ
يا سُهيرْ
يا سُهيرْ
وخطى المستعمرينْ
تُفزِعُ الأرضَ ضجيجاً وجنونْ
تتهدَّدْ
تتوعَّدْ
بأساطيلِ ورقْ
عائماتٍ
في وحولِ القرصنهْ
الأساطيلُ التي سارتْ بريحْ القنبلهْ
وبريحِ السلبِ والنّهبِ وإعصارِ السَّمومْ
وإلى السّورِ العظيمْ
وبأفيونٍ حَشَتْهُ في القنابلْ
تفرضُ الوحلَ على الشعبِ العظيمْ

الأساطيلُ التي حطّتْ على الهند الرحالْ
وكأعاصير جرادْ
تنهشُ الأرضَ وتمتَّصُ الحياهْ
الأساطيلُ التي بَيَّضَتِ السهلَ الكبيرْ
بعظامِ الكادحينَ الأشقياءْ
الأساطيلُ التي جرّتْ شعوباً في المياهْ
خَلفها وهيَ تسيرْ
نحوَ أسواقِ الرقيقْ
وهُمُ أَجدادُ "روبسون"
وهمُو من يرعِشونْ
مثلَ أغصانِ الشجرْ
وهمُو من يبصرونْ
خَلفَ صُلبانْ اللهيبْ
نجمة سبارتاكوس المشتعلهْ
الأساطيلُ وما زالتْ شظايا القنبلهْ
بدماءِ الشهداءِ الأبرياءْ
وهَجاً يلمعُ في موجٍ ورملِ اسكندريَّهْ
وعلى أمواجِ بيروتَ الضَحيَّهْ
وهجاً يصرُخُ لن تُلقي الأيادي الهمجيهْ
بمراسيها على أرضِ القناهْ
فارفعوا الأيديَ عن أرضِ القناهْ

فبحارُ العالمِ المصطخبهْ
لم تعدْ أمواجُها للقرصنهْ
والأيادي العفنهْ
ليسَ هذا عصرُ توفيقِ الجبانْ
لا ولا عصرُ ديجولْ
مونتجومري والفلولْ
ليسَ هذا عصرُ نوري مندريسْ
عصرُ صيّادي الرؤوسْ
عصرُ سفّاحي الشعوبْ القتلهْ
عصرُ حُرّاسِ كُنوزِ القرصنهْ
ليسَ ذا عصرُ دالاسْ
الأبُ الوارثُ من صدرِ الوحوشْ
ما تبقّى مِن نفسْ
إنهُ عصرٌ جديدْ
عصرُ إنسانٍ جديدْ
ولدتهُ فوق أطلال "دين بين فو"
الخضابْ
ابتسامات جيابْ
عصرُ باندونجَ وأعراسُ الأملْ
عصرُ خبزٍ وعسلْ
عصرُ أطفالِ الجزائرْ

عصرُ أطفالِ أمٍّ صابرْ

عصرُ راياتِ عرابي العائدهْ

فوق أكتافِ حمامهْ

عصرُ غاباتِ الملايو اللامعهْ

وبومضاتِ الرصاصْ

وبأنوارِ الخلاصْ

* * *

إنهُ عَصْرُكِ مفتوحُ الذراعينِ يسيرْ

وينادي يا سُهيرْ

أنتِ لنْ تلعبَ أيامُكِ في ظلِّ المدافعْ

أنتِ لنْ تطغى على شَدْوِكِ رنّاتُ السّلاسلْ

وانفجاراتُ القنابلْ

فستنمينَ تحبينَ وتغدينَ عروسْ

وسَتَنْمو زهرةُ الحبِّ وتكبرْ

عمرُها تسعةُ أشهرْ

وستَهدينَ إلى العالمِ طفلهْ

أيّ طفلهْ

هيَ لنْ تدرجَ في ظُلمةِ خيمهْ

لا ولنْ يجرحها سِلكُ معسكرْ

فستنمو وعلى دربِ ربيعٍ ومسيرْ

وفلسطينُ ربيعٌ ومصيرْ

رسَمَتْهُ بالجناحينِ حمامةْ
حُلُمٌ تحرسُهُ كلّ الأيادي عائلةْ
إنّهُ عَصرُكِ مفتوحُ الذراعينِ يسيرْ
ويُنادي يا سهيرْ
إنّهُ عصرٌ يسيرْ
وأنا أيضاً أسيرْ
ومَعَ العصرِ الكبيرْ
رغمَ عَجْزي وأنا أبني المصيرْ
وأنادي يا سهيرْ
وتنادينَ أخي
وبصوتٍ كحفيفِ الأجنحةْ
وذراعايَ أخي مفتوحتانْ
منذُ عامٍ وشهورْ
وهما تنتظرانْ
وهُما تَشتعِلانْ
كلّما صَفَّرَ في الليلِ قِطارْ
كُلّما صاحَ مُشَرَّدْ
وهوَ يُلقي وعَلى منزِلنا المُطفأ نظرةْ
أيَّ نَظْرَهْ
في متاريسِ الكِفاحْ
وكَفى دَقّاً بكعبِ البندقيةْ

لشبابيكِ بيوت الأصدقاءْ

وأنا مثلكِ أغْلي كلّما مرَّ قِطارْ

وأنا ألعَنُ عجزي كلّما طارَ خبرْ

عَنْ أيارٍ صادقاتٍ كالشراشِرْ

لمْ تُصافِحْ منذُ أيّارَ الشراشرْ

طارَدوها لتُهاجِرْ

ولكي تعرقَ في أرضٍ غريبهْ

ولها أرضٌ خصيبهْ

ورَحيبَهْ

وأنا ألعنُ عجزي

كُلّما طارَ خبرْ

عن يدٍ خلفَ الحدودْ

أثقلتْ صدرَ المدينهْ

بدخان المَحْرَقَهْ

عن يدٍ خَلفَ الحدودْ

لمْ تزلْ تنهشُ في كنزِ عَرَقْ

لمْ تزَلْ تنهشُ في كنزِ دماءْ

لرجالٍ ونساءْ

في معسكرْ

ضرَبَتْ قبضةُ أيّارَ المعسكرْ

وأنا ألعنُ عجزي كلّما هبَّ ضيِاء

عن رجالٍ شُرَفاءْ

وعلى أبوابِ غَزَّةْ

ويَدٍ خلفَ الحدودْ

ورَنينِ القيدِ في كلّ رصاصةْ

أثقَلَتْ أصداؤهُ أرضَ العراقْ

وهيَ لنْ تثقلَ أمواهَ القناهْ

* * *

أهُنا معركتي خلفَ اللّهبْ

أهُنا أقتاتُ خُبزاً وغَضَبْ

ودروبُ المعركهْ

رحبةٌ تحضنُ كلَّ الخطواتْ

رحبةٌ ليستْ تَضيقْ

بصديقٍ أوْ رفيقْ

بأيادينا التي تبني الصداقهْ

وعلى أنقاضِ أسلاكٍ غريبهْ

بينَ شعبينِ على أرضٍ خضيبهْ

وعدوٍ يرتعشْ

وهوَ في رعشتِهِ يُطلقُ أنفاساً أخيرَهْ

لرصاصاتٍ أخيرهْ

لمْ يَعُدْ يملِكُ زاداً أو ذخيرهْ

لمْ يَعُدْ يملِكُ مِنْ أمرِ الحياهْ

غيرَ أشلاءٍ مياهْ
وَهْوَ يرميها على أرضِ القناهْ
وعلى كلِّ مكانْ
قَدْ غدا أرضَ القناهْ
وبلادي قَدْ غَدَتْ أرضَ القناهْ
أوَتَدرينَ عذابي يا سُهيرْ
وأنا أنهضُ في كلِّ صباحْ
ويَدي أيّ يدٍ جرداءَ من غيرِ سلاحْ
وهي لَنْ تخضرَّ إلاّ بالكفاحْ
وهيَ لنْ تخضرَّ إلاّ فوقَ أرضِ المعركهْ
حينما تضربُ جذراً مِنْ دماءْ
في تُرابِ المعركهْ
أوَتَدرينَ عذابي يا سُهيرْ
وأنا أنهضُ في كلّ صباحْ
وبعينيَّ شذى حُلْمِ الكفاحْ
أنا أمشي في دروبِ القاهرهْ
تحتَ أقواسِ ربيعِ الكبرياءْ
بينَ أغراسِ الدماءْ
أحضُنُ الأيدي التي تحرُسُ أمواهَ القناهْ
إنّني أملأ عينيَّ بأمواهِ القناهْ
بالظلالِ الراعشاتِ الساطعاتْ

ولحفَّاري القناهْ

وهُمو يستقبلون

وهُمو يحتضنونْ

كلًّ بحّارٍ على ظهرِ سفينهْ

لمْ يخُنْ مجدَ العَرَقْ

وهوَ وضّاءٌ على صدرِ القناهْ

صوتُهُ يلمعُ كالبرقِ بإصرارِ الحياهْ

ارفعوا الأيديَ عنْ أرضِ القناهْ

السجن الكبير

سـيظلُّ يحرسـهُ العـراقْ
سـيظلُّ يخفـقُ في العـراقْ
في ظـلّ أقـواسِ المشـانقِ والرصـاصْ
قلـبُ المقاومـةِ العنيـدةِ، والخـلاصْ
جنبـاً إلى جَنْـبٍ يـدقُّ مـعَ القلـوبْ
في جبهـةِ السِّـلْمِ العَريضـةِ والشـعوبْ
أتـرى إلى شَـعْبِ العـراقْ
يَعـدو بأشـلاءِ الوثـاقْ؟
وعلـى جَـواِدٍ مـن لَهَـبْ
في أرضِ معركـةِ الشـعوبْ
أتـرى سـنابكهُ الخّضـيبهْ
بـدما مخالبـكَ الرهيبـهْ
هُـوَ لـيسَ حُلمـاً مـا تـرى
أمْ أنـتَ أعمـى لا تـرى
إلاّ كَراتشـي أنقـرهْ؟
إلاّ كـلابَ المقـبرهْ
والأرجـلَ المتكسّـرهْ

أتــــرى إلى فَهْــــدِ الشــــهيدْ
قــدْ عــادَ يــا نــوري الســعيدْ
قـــدْ عـــادَ يركـــبُ مشـــنقهْ
أوَلَـــمْ يَعـــدكَ بمشـــنَقهْ
مــن صُــنعِ أيــدي الكــادحينْ
وجميعِ صرعى حكمكَ الدَّموي عادوا يركبونْ
ظَهْرَ المشانِقِ والبنادقِ والسّلاسلِ والسُّجونْ
احَسَبْتَهُمْ قُتلوا كما دبَّرتَ ذلكَ في الخفاءْ؟
لكَـــنّهُمْ عـــادوا ودلَّ علـــيهمُ زهـــرُ الـــدماءْ
يهدونَهُ الشعبَ الذي وقَفَتْ قواهُ بلا ركوعْ
وبـــلا فـــرارٍ أوْ رجـــوعْ
في وجهِ ما أسمَيته حلف الدفاعْ
وهْـــوَ الخيانـــةُ والضَّـــياعْ
وهـــوَ المُـــرورُ بـــلا انقطـــاعْ
مـــن تحـــتِ أقـــواسِ الســـجونْ
ولكي يظلّ النفطُ يدفقُ في فمِ المستعمرينْ
ولكي تظلّ وبالسياطِ تهزُّ للمسْتَثمِرينْ
أثمارَ أيدي الكادحينَ وإنَّ أيديهُمْ غصونْ
أنا لا أقولُ بأنَّ إمضاءَ الرصاصِ على الصدورْ
أنا لا أقولُ بأنَّ إمضاءَ السياطِ على الظهورْ
هُوَ ليسَ إمضاءَ الذينَ وراءَ ظهركَ يا أجيرْ

ولكـي يمـرّ الحلـفُ مختـالاً علـى ظهـرِ القبـورْ
لكنّــهُ كَــذِبٌ وتزويــرٌ إذا قُلْــتَ العــراقْ
أوْ أنَّ فلاحِّــــي وعمــــالَ العــــراقْ
أوْ أرضَــهُمْ وسمــاءَهُمْ ذات النّجُـومِ مـنَ الـدماءْ
قَــد طوّقــوا أوْ طُوّقَــتْ أوطــانُهمْ بالسّلسِــلهْ
وغـــدوا عبيـــدَ القُنْبلــــهْ
بلْ إنَّ صـدرَكَ وحـدَهُ هُـوَ مـوطنُ الحلـفِ الطريـدْ
وهْــوَ القواعِــدُ والخنــادقُ والمعســكرُ للجنـودْ
فيا عدوَّ المطبعَهْ
وعَدوَّ أشواق الوَرَقْ
وإلى حروفِ المطبَعهْ
إن كنتَ صادرْتَ الوَرَقْ
فَلَسوفَ نطبعُ بالعرقْ
فوقَ الأيادي والجباهْ
منشورَ حبٍّ للحياهْ
فانْشُرْ لُصوصَكَ في البلادْ
وهُمو المخالبُ في البلادْ
ليصادروا
كلَّ الأيادي والجباهْ
لنُصفِّ يا نوري الحسابْ
أو قبلَ تصفيةِ الحسابْ

فليسمعِ المتآمرونَ بلا التواءْ
هذا الكلامَ منَ الدّماءْ
لو يجرؤونَ ويدخلونْ
فسيركضُ الدمُ في الدروبْ
مُعلّقاً نيرانهُ
فليقرأوا نيرانهُ
فستستحيلُ إلى سيوفٍ، كلُّ أغصانِ السلامْ
ولطائراتٍ قاصفاتٍ كلُّ أسرابِ الحمامْ
وستقفزُ القضبانُ غضبى من زنارين السجونْ
ومنَ الجراحِ النابضاتِ الفاغرهْ
أفواهَها لقواكمُ المتآمرهْ
سنقيمُ متراساً ونحفرُ خندقاً للمعركهْ
ونمدُّ أسلاكاً من الدمِ شاهقاتٍ شائكهْ
وفمُ الدمِ الغالي يسيلُ وقد تعانقتِ الخنادقْ
لنْ تحلبوا إلاّ أياديَ من حديدٍ من حرائقْ
إنّي أُلوِّحُ بالقيودِ إليكَ يا نوري السعيدْ
أنا في عذابٍ لنْ تمرَّ بهِ فتدْركَ ما أريدْ
أنا في عذابٍ واشتعالي في صعودٍ في امتدادْ
هو ليسَ من تشريدِ عائلتي وفي شتّى البلادْ
هو ليسَ من شوقي وليسَ من الحنينِ إلى الرفاقْ
لكنْ لأنّي لستُ في أرضِ العراقِ معَ العراقْ

أو في الشوارعِ أينما كانَ انفجارٌ وانطلاقْ
أبدأتَ تعرفُ ما المصيرُ وما الجريمةُ والعقاب؟
أبدأتَ تلمَحُ ذلكَ الشررَ المهدّدَ في الضبابْ؟
وإلى ضحايا الحلفِ سوطُ الإضطهادِ والاغتصابْ
تمتدُ أيديهمْ دماً ولظىً ومن تحتِ الترابْ
أبدأتَ تُحصي إرثَ ما سَجَنتْ وما اغتالتْ يداك؟
إرثَ المشانقِ والمذابحِ والمنافي والهَلاكْ
ولكي يقسَّمَ بينَ أعداءِ الشّعوبِ قذًى وعارْ
أبدأتَ تحزمُ في الحقائِبِ أينَ أزمعتَ الفرارْ
ويدُ الجماهيرِ العريضةِ في الطريقِ وكالجدارْ
أينَ المفرُّ فلا طريقُ إلى القطارِ أو المطارْ

الصوت ما يزال

مدينتي، أقراطُها الزنابقُ البيضاءْ
وعِقْدُها حباتُهُ براعمُ الأنداءْ
يحبها علاءْ
أخي الذي يجوعُ والربيعُ في مدينتي ذراعْ
وبرتقالُهُ على الشجَرْ
أخي الذي يرشّهُ الرصاصُ والمطرْ
إليكِ من دمائهِ اللألاءةِ السّلامْ
ومِنْ مدينتي السلامْ
مدينتي الشاهرةِ السلاحَ والجراحْ
متراسُها الأمواجُ والنيرانُ والرياحْ
وخلفهُ تلألأتْ خوذتها الحمراءْ
سحابةٌ حمراءْ
من اللهيبِ والدماءْ
ومِنْ قيوديَ التي تهزُّني إلى النضالْ
إلى الخنادقِ البعيدةِ المنالْ
إلى البنادقِ الرفرافةِ الظلالْ
وفُوَّهاتِها العيونُ لا تنامْ

سهرانةٌ على السلامْ

ومنْ يدي التي تحنُّ للزنادْ

وضغطةٍ على الزنادْ

وصرخةِ الرصاصةِ الثاقبةِ الهواءْ

هواؤكِ المقاتل الغزاهْ

الهابطينَ بالأكفانْ

من مقابرِ الفضاءْ

مُصلَّبينَ كالدمى على الهواءْ

وصرخةِ القنبلةِ الثاقبةِ الأمواجْ

فتنهضُ الأمواجْ

أعماقُها المسنونةُ المياهْ

تحفرُ القبورَ في المياه

ووقفة في أرضِكِ المنبتةِ العنادْ

والحقدُ في النوافذِ المكسورةِ الزجاجْ

قناعهُ اللهيبُ والدخانْ

فوّهةٌ لبندقيةٍ بلا إصبعٍ على الزنادْ

تُقاتلُ الغزاهْ

ويحرسُ الحياهْ

رصاصُها المقاتلُ الغزاهْ

وتطلقُ المدافعُ الحارسةُ الفضاءْ

حمامةً من اللهيبِ والدخانْ

فيِ الفضاءِ تحرسُ الفضاءْ

والصوتُ ما يزالْ

صوتُ المقاتلِ العنيدِ ما يزالْ

صوتُ المدينةِ العنيدةِ النضالْ

يرنُّ في الأنقاضِ والدُّخانْ

يرنُّ في جدارنا هنا فنَلعنُ الجدارْ

هُنا ترفرفُ الشّجاعةُ المكسورةُ الجناحْ

هنا يدٌ بلا سلاحْ

هُنا دمٌ بلا جراحْ

وبينَنا وبينَ نارِكِ الصديقةِ اللّهيبْ

يا بور سعيد هذهِ الأسوارْ

لكنّها لم تَثنِنَا الأسوارْ

تطلّعي تري ظلالنا تهبُّ كالرياحْ

على خنادقِ الكفاحْ

تَسلّقتْ ظلالُنا القضبانَ والأسوارْ

ظلالُنا الشاهرةُ السلاحْ

ظلالُنا تقاتلُ الغزاهْ

وذكرياتُنا تقاتلُ الغزاهْ

والصوتُ ما يزالْ

صوتُ المقاتلِ العَنيدِ ما يزال

يهبُّ في المدينةِ العنيدةِ النضالْ

فتزهـــرُ الرجـــالُ في الأنقـــاضِ والـــدروبْ
وتــــومضُ الأنفـــــاسُ في الصـــــدورْ
ويَنـــــبضُ السّـــــلاحُ مـــــن جديـــــدْ
في يـــــــدِ المقاتـــــــلِ الشّـــــــهيدْ
وتشهرُ النيرانُ في النوافذِ المكسورةِ الزجاجْ
قبضاتها لتُلهبَ الغزاهْ
وتعصفُ الرياحُ كالمُدَى
تسمِّرُ الغزاهْ
على مسالكِ الدروبْ
وفي مدينتي التي تهزُّها
عواصفُ الكفاحْ
تهزُّها من الجذورْ
مدينتي التي نهارُها رصاصْ
وليلُها رصاصْ
وأرضُها التي تعضُّ في خطى الغزاهْ
الصوتُ ما يزالْ
صوتُ المقاتلِ العنيدِ ما يزالْ
يرنُّ في المعسكراتِ والتلالْ
وفي خُطى النساءِ والأطفالِ والرجالْ
إلى الأمـامِ، والسـلامُ يـا ابتسـامةَ الكفـاحْ
إلى الأمـامِ، والسـلامُ يـا يـداً بـلا سـلاحْ

إلى الأمـامِ، والسّـلامُ يـا رصاصـةً تَطـيشْ
مــن رعْشَـــةِ الحقــدِ علـــى الوحــوشْ
إلى الأمـامِ، والسـلامُ يـا رصاصـةً تُصـيبْ
ســـلامنا لخنـــدقٍ يشـــمخُ بـــالمتراسْ
ســـلامُنا لخنـــدقٍ عـــارٍ بـــلا مـــتراسْ
سلامُنا إليكِ يا فراشةً،
قد رفرفتْ على غزالْ
ومَنْ حموا إشراقَةَ النضالْ
ومَنْ حَمَوْا جمالْ
وأقبلوا عليكِ بابتسامةِ السلامِ والسلاحْ
وبابتسامةِ الكفاحْ

مَـارِدٌ مِـنَ السَّـنَابل

قد أقبلوا فلا مُساومهْ
المجدُ للمقاوِمَهْ
لرايةِ الإصرارِ شاهقهْ
للموجةِ الحمراءِ من صَيحاتنا المعلّقهْ
على الشوارعِ الممزَّقهْ
ولليدِ المكبَّلهْ
ولليدِ الطّليقةِ المناضلهْ
المجدُ للجريحِ والمثقوبِ قَلبُهُ وللمطاردْ
مدينتي! قد أقبلوا ليلاً من الأظفارِ والخناجرْ
وكنتِ نجمةً تقاتلْ
أضواؤها العريانةُ السلاسلْ
وكانت الذئابُ تقتفي خطى الجداولْ
وكنتِ مارداً من السنابلْ
يداهُ منجلانِ والجرادُ زاحفٌ قوافلْ
يريدُ أن يجرَ للطاحونِ ماردَ السنابلْ

* * *

مدينتي يا أدمعَ البركانِ قد جَرَتْ مشاعلْ

ويا ابتسامَةَ الزلازلْ
مطبوعةً سيفاً على جبينِ شعبيَ المكافحْ
مدينتي زنبقةٌ خضراءُ لم تنمْ على سريرِ فاتحْ
ولمْ تصبَّ الزيتَ في مصباحِ خائنْ
رموشُهُ بساطُ كلّ مقبلٍ ورائحْ
من صانعي المذابحْ
ولم تَهَبْ ضفيرةً أسلاكَ معتقلْ
ولم تُقبّلْ سوطَ طاغيهْ
كجاريهْ
مدينتي! رأيتُ كيفَ تنسجُ الأملْ
خُطى حَبيبِكِ البطلْ
وكيفَ قد نشرتِ من دمائِكِ الشراعَ
يمخرُ الحرائقْ
النارُ لا تمسهُ ولا الصواعقْ
ولا الرصاصُ طائراً حصىً من البنادقْ
مدينتي! واحسرةَ القيثارةِ الخرساءْ
للغناءِ والبلابلْ

تَشدُو إلى الأبطالِ، واعذابَ شاعرْ
في السلاسِلْ
وأنتِ في السلاسلْ

ولم تكنْ تناضلْ

غيرُ الحروفِ من شريانهِ جرت قصائدْ

* * *

مدينتي! وأيُّ رعشةٍ تهزني وأيُّ عاصفْ!!

من ذكرياتكِ العواصفْ

من ذكرياتِ السجنِ والسّجانِ والأبطالِ والمعاركْ!

وخائنٍ تهالكْ

وفوقَ صرخةِ القتيلِ

والمعَذَّبينَ في انتظارِ

الموتِ سارْ،

وحشاً يُشَدُّ للرَّحى السوداء،

كي تدورَ تطحنُ الدماءْ

يداهُ حبلا كل خانقْ،

عيناهُ شبَّاكانِ للعدوّ منهما أطلَّ بالبنادقْ

على الخيامِ والمنازلْ

يصيدُ إخوتي،

أبناءَ شعبيَ البواسِلْ

* * *

الآنَ يرفعُ الستارُ يا مدينتي عن المجازِرْ

عن وجهِ كلّ ثائِرْ

عن الرياحِ كيفَ أصبحَتْ تحاربْ

رايةَ العدوِّ في فضائِنا مسنونةَ المخالبْ

وكيفَ قد هَوَتْ كحيةٍ
تَعَضُّ فيِ جراحِها السواكبْ
عن اسمكَ المهيبِ يا جمالُ،
كيفَ ينسجُ الغرائبْ
والمعجزاتِ والعجائبْ
وكيفَ كانَ شمسنا الخضراءَ فيِ الدياجرْ
ووردة حمراءَ فيِ ضفائرْ
أختي، وفيِ شباكها سرباً من البلابلْ
وكيفَ كانَ بور سعيدَ،
صخرةً من اللهيبِ، غابةً من السواعدْ
يا فارسَ الفوارسْ
صغنا لكَ الجوادَ من صَباحنا
وشعبُنا أهداكَ بيرقَ البيارقْ
خُضنا به الرصاصَ
موجةً منَ الزنابقْ
والنارَ موجةً من النسائمْ
وكانت القيودُ فيِ المعاصمْ
كعنكبوتٍ فيِ جُنونِ جوعها،
رمتْ خيوطَها على العواصفْ
وفتّحَ الإصرارُ زهرةً،
صدَّاحةَ البراعمْ

وعضٌّ فيِ جراحهِ العدو، والمتراسُ شاهقْ
وبورسعيدُ بندقيةُ البنادقْ
وخندقُ الخنادقْ
شمسٌ من الجراحِ قد تسمّرتْ في الليلِ،
فوقَ جبهةِ المحاربْ
يا بور سعيد... الفجرُ طالعْ،
هذا صياحُ الديكِ يوقظُ الرصاصَ فيِ البنادقْ
والرياحَ فيِ الحرائِقْ
وأوشكَ الصباحُ أن يَمَسَّ رايةَ المحاربْ
يا بورسعيد ليسَ سيفُ روحكِ الوهاجِ،
وحدَهُ يقاتلْ
ولا مدينتي وحيدةً تقاتلْ
لكَ الشعوبُ رفْرَفت بنادقْ
وسرَّجتْ لكِ البحارَ والسحائِبْ
وصرخةُ الأنصارِ حجّرَتْ
رصاصَ ذلكَ المغتالِ فيِ البنادقْ،
وحجّرَتْ نيرانَهُ فلم تعدْ قواطعْ
أنيابُها القواطعْ
وفيِ عيونِهِ تَسَمَّرَ الدخانُ كالحصى،
كالشّوكِ كالأظافِرْ
* * *

مدينتي تطلّعتْ إلى الجرارِ وهو راحلٌ
فرفرت بها الشوارعْ
مدينتي تحبُّ،
أوِ يا سليلةَ الأصدافِ
يا زيتونَةَ الأمواجِ
يا حوريّةَ الخنادقْ
يا وردةَ الوردِ في حديقةِ الحدائقْ
يا نجمةً مجنّحَهْ
يا زهرةً مسلّحَهْ
مَنْ قالَ إنَّ الفارسَ الحبيبَ ماتَ في الطريقْ
فجاءَ راكباً جوادَهُ
ولابساً دروعَهُ صديقْ
كي – يا حبيبي – ترمي بخاتمِ الحبيبْ
في خوذةِ الغريبْ
ولستِ يا مدينتي غمداً لكلِ سيفِ
كرمةً لكلّ قاطفْ
قيثارةً لكلّ عازفْ
فلنْ تكوني غيرَ شعبٍ قد توهَجّتْ
خطاهُ خلفَ قائدْ
مزغردِ الجراحِ صامدْ
مدينتي! عروسُ شعبيَ التي تغارُ

من إكليلها العرائسْ

قد أقبلوا فيالِقْ

الحيّةُ الرقطاءُ والحمامةُ البيضاءُ

والغِربانُ والعنادلْ...

وجاءَ أصدقاؤكِ الهنودُ بالمغازِلْ

ومن على أكتافهم ترفرفُ المطارقُ الحمراءُ والمناجلْ

وتضحكُ السّنابلْ

مَنْ لم تبلَّ خُبْزَهُمْ دماءُ ثائرْ.

وجاءكِ الذينَ خَبَّأوا القيودَ،

في الخوذاتِ والبيارقْ

وفي معاطفٍ من الزجاجْ،

طُرّزَتْ بأعينِ الثعالبْ

الحالمينَ بالحرائِقْ

بغابةٍ منَ المشانِقْ

الطامعينَ أن تكوني حانةً ومخدعاً وقنطرهْ

وأن تكوني يا مدينتي مؤامرهْ

وأن يكفَّ القلبُ عن خفوقهِ إلى جمالْ

وأن تموتَ في الوحولِ رايةُ النضالْ

إليكِ عن أجفاننا الخضراءْ،

يا أحلامَ زارعي الجرائمْ

وناصبي الخيامَ للمأتمْ.

وأقبلي وفي ظلام القَحطِ

مِشعلاً من السنابل،

ورَفرفي على رِمالنا جداولْ

تقَدَّمي إلى الأمامِ بالغبارِ بالدماءِ

بالبيارقِ المغَبّرَهْ

بالخوذَةِ المعفّرَهْ

بالبندقيةِ المزمجرهْ

بأغنياتِ النصرِ كالبراعمِ المنوّرَهْ...

تقَدَّمي بكُلّ ما قدْ ألبستْكِ أُمّكِ الحريةُ المظفّرهْ

في بورسعيد في المدينةِ الملوّحَهْ

بزهرةِ انتصارنا على المدَى مفتّحهْ...

تقدَّمي يا – مصرنا – المجنحهْ

حمامةً مسلحهْ....

تقَدَّمي؛ ففي الطريقِ ماردٌ

قد أطلقَتْهُ منْ أحشائها العواصِفْ

ومَنْ يُقِلْ عِثارَ ماردْ

كَبَتْ به الجراحُ غيرُ ماردْ...

فليحتشدْ فلاّحُنا الهمامُ بالمحراثِ والشراشرْ

وليأتِ كلّ غائبْ

ليأتِ عاملُ النسيجِ والمشرَّدُ الطريدْ

والجائعُ المسافرُ الذي غدا خبزَ الطريقْ
ليأتِ صيادُوكِ يا أمواجَنا المهجورةَ الهوادرْ
ليقطفوا ثمارَكِ النواضرْ
الآنَ في سمائنا أسرابُ أنجمِ الشعوبْ
تَزرعُ السلاحَ والسّنابلْ
فلنرمِ إخوتي البواسلْ
شِبَاكَنَا على السلاسلْ

* * *

يا إخوتي وطائرُ الحصادْ
لا يَبرحُ الأسلاكَ والحدودْ
رغمَ غزوةِ الجرادِ والرمادْ
وأنهُ من غير زادْ
ورغمِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ من السهادْ
في الصباحِ حينما جَرتْ، جداولُ الصباحْ
أبصرتُهُ مورّدَ الجناحْ
في عُنفوانِ سكْرَةِ الأحلامْ
... إن مارداً من صُلْبِ بورسعيدْ
من صُلبِ بندقيةٍ سوريةٍ على الحدودْ
يحملهُ في هودجٍ من السنابلْ
وأن ألفَ ألفِ ماردِ
يشيّدونَ حولهُ وهمْ يُغردُونْ

قصراً من السنابلْ

وأن منها مارداً قد طارَ ثم عادَ

من معسكرِ الجياعْ

من الخيام

الراعشاتِ في مشانِقِ الظلامْ

قد طارَ ثمّ عادْ

على الجناحْ

هودجُ الفلاحْ

لعرشكَ المجيدِ يا أخي المجيدْ

يا سلطانْ...

ففي الركابِ ألفُ ألفِ شمعدانْ

وألفُ ألفِ صولجانْ

* * *

هذا الذي رآهُ طائرُ الأملْ

أوحى لهُ بأن يطيرَ في الصباحْ

لخيمةِ الفلاحْ

وأن يقولَ ما رأى...

يا إخوتي فلنفرُد الخُطى

على الطريقِ أشرعهْ

ولنمخرِ الحدودْ

الدربُ لا تقلْ طويل

وزادُنا قليلْ

قنديلُنا بلا فَتيلْ

فخُبزنا من موسمِ السنابلِ الجديدْ

ومن بعيدْ

ترفرفُ الميناءْ

حَمامةٌ بيضاءْ

في مِنقارها غصنٌ من الضياءْ

الأُرْدُن عَلى الصَّليبْ

الأردن على الصليب

أنا مصلوبٌ أغرّدْ
ولعمانَ ونابلسَ وإربدْ
وإلى الليلِ الصديقْ
صارَ بيتاً للمطاردْ
لمْ يُجِبْ شبُّاكُهُ طَرْقَةَ كعبِ البندقيّهْ
وإلى شبّاكِ ثائرْ
في جحيمِ "الجفرِ" مفتوح على أقواسِ نصرِ
وعلى فردوسِ فجرِ
ليسَ ما تبصرُ عيناكَ سرابْ
يا أخي المثقلُ بالأثمارِ في ريحِ الخريفْ
يا أخي البازغُ في ليلِ العذابْ
فالسرابْ
حُلُمُ سجّانكَ أن يجني من الأغلالِ أقراصَ العسلْ
وبأنْ يجلدَ بالقشّ أعاصيرَ الأملْ
وبأن يغرسَ حتى المقبض الخنجرَ في قبرِ "رجاءْ"
إن سجّانكَ ما كفَّ العُواءْ
طارقاً أبوابكَ الخُضرَ الشهيدهْ

"افتحوا يا أصدقائي الطيبينْ"!
"واللصوصُ الأربعونْ"
في حصانٍ من ذهبْ
في تماثيلِ مآذنْ
خائنٌ مرتعشٌ يزحفُ في أعقابِ خائنْ
يَلدونَ العارَ في ضوءِ النهارْ
ويقيمونَ الصليبْ
سمّروا الشارعَ ما ضمتْ ذراعاه ظلالَ اللقطاءْ
وبكفّيهِ لَقَدْ دقّوا السلاسلْ
غيرَ أنَّ الشارعَ المصلوبَ ما كَفَّ يقاتلْ
والمناشيرُ تُقاتلْ
ويدٌ من "نُقرة السلمان" "للجَفْرِ" تُلوّحْ:
"سيُفَتَّحْ"
"برعمُ الزلزالِ لا بدَّ يُفتّحْ".
إيهِ يا أيتامَ "لورنسَ" و "شاهاً" قَدْ ترعرعْ
تحتَ اقدامِ "أبي حنيكَ" ترعرعْ
يا ثعابينُ من الخوذةِ تظهرْ
كُلّما الحاويَ في "واشنطن" الشوهاءَ صفّرْ
يا خَفافيشُ بلا أجنحةٍ ترفعُ راياتِ الجريمهْ
امضغي جمرَ الهزيمهْ
فعلى أبوابِ عمّانَ أياديناً تُرفرفْ

بأكاليل الدّماءْ

ويدي صوت يُرفرفْ

"يا أفاعي. يا أفاعي

"سنصبّ السمّ يغلي، وعلى جحر الأفاعي

"وسنمضي في الصراعِ

"كشراعٍ في رياح الدم نمضي كشراعِ

"وسأمضي شامخَ الصوت أغردْ

"والملايينُ تغرّدْ

"ولعمان ونابلس وإربدْ"

حكاية لأطفال عمان

فيِ الحكايهْ
ينسجُ الجاني من الدمعِ قِناعْ
واليدُ السوداءُ خنجرْ
بدمِ العصفورِ يَبكي
يا صغيري سوفَ أحكي
لكَ عن وحشٍ هو الآخرُ يَبكي
لكَ عن ذئبٍ بشبابةِ راعِ
فيِ الدروبِ الدمويهْ
تحتَ شُبَّاكِكَ قد راحَ يُغَنِّي
أغنياتٍ عربيّهْ
وجنودٍ بضفائرْ
مثل أمراسِ المشانقْ
تَتلوَّى كالأفاعي
تلدغُ الأطفالَ فيِ ليلِ النهارْ
هكذا أبطالُ عمانَ الصغارْ
فيِ اللّيالي يحلمُونْ
بذئابٍ تتجوّلْ

فيِ الدروبِ الدمويهْ

وبشبابةِ راعِ

وأغانٍ عربيهْ؟

* * *

افتحوا أطفالَ عمان العيونْ

تحتَ شبُاككمو فجرٌ من الأرضِ ينوِّرْ

وعلى البابِ "فؤادْ"

صَرَعَ الذئبَ وعادْ

من دروبٍ راسفاتٍ بظلالِ البندقيهْ

يحملُ البُشرى هديّهْ

يطرقُ البابَ بنجمَهْ

ينثرُ الريشَ بيارقْ

وزنابقْ

للسلامْ

قد طوى ريحَ سهامْ

ورمارٍ وظلامْ

كانَ قضبانَ قفصْ

أغنية إلى جبل النار

جبلَ النّارْ
يا خيمةَ دمْ
في ريحِ الثورةِ منصوبةْ
ما زالَ وراءَ المتراسِ الثائرْ
ومِنَ الوطنِ الهادرْ
وطنِ الزنبقْ
والأفقِ الأزرقْ
والأيدي المسنونةِ كالصخرِ الأحمرْ
في ليلِ الخنجرْ
في الليلِ الأصفرْ
من كلِّ معسكرْ
يُهديكَ ضحايانا قمصان الدمْ
والفجرَ الأحمرَ أنشودةْ
جبلَ النارْ
والصيحةُ في القلبْ
يا شعلةَ وردْ
تَتوهّجُ في أشواقي

ويضيءُ شذَاها القلبْ
فترفرفُ في عينيَّ الدربْ
وترفرفُ أصواتُ رفاقي
أسرابَ رعودْ
في آفاقي
جبلَ النارْ
يا صوتَ الزيتونِ الأخضرْ
يا صوتَ "زيادينَ" الهدَّارْ
يا ظلَّ السيفِ على عنقِ الخائنْ
لبيكَ أضأتُ لكَ البَيرقْ
وأنا في الدربْ

البـبـغاء والأفيون

البيغاءْ
طليقةٌ بلا قفصْ
تنقرُ في الأفيونْ
وتشـهرُ الجناحْ
كالسـلاحْ
لكي تـحاربَ البلاشفَهْ
والعاصفَهْ!!
البيغاءْ
في اللّيلِ والنـهارْ
في غيبوبةِ اسطوانةٍ تدورْ
مِنقارها يُشيرْ
كما أراد أن يشيرْ
السيد الكبيرْ
لنجمةِ البلاشفَهْ!
فوقَ جبينِ العاصفَهْ!
الببغاءُ في غَيبوبةِ المصيرْ
في نَزْعها الأخيرْ

ترتجفْ

في مصفّحَةْ

الببغاءُ في الخريفْ

صوتُها هَرِمْ

وريشها استحالْ

إلى رَمادْ

والببغاءُ حينما يذبلُ في منقارها الكلامْ

يا أيها الأقزامْ

يَنبُذُها أسيادُها الكبارُ في قفصْ

قضبانُهُ خيوطُ عنكبوتْ

تنقرُ في الأفيونْ

حتى تموتْ

المخلِّص الكذَّاب
المستر جون فوستر دلاس

على صليبْ

من ورقِ الزيتونْ

تمدَّدَ المخلّصُ الكذّابْ

كالغرابْ

على بساطِ نورْ

"ابكينْ يا جواري"

"بأدمعِ الحواري"

يا كلَّ فرسانِ الوحولْ

حوِّطوا عجْلَ الذهبْ

من قبلُ في عشائِه الأخيرْ

قالَ لَنْ يخونَني منكمْ أحدْ

يا إخوتي لحمي لكم قرصُ عسلْ

خمرٌ دَمي لكم كفرحةِ الحياةْ

كذَّابتانْ

عيناهُ تَغمضانْ

المخلَصُ الكذّابُ قامْ

كسارقٍ بينَ النيامْ
بخنجرٍ من اللهيبْ
قد راحَ يقطعُ المسعورْ
لحمَ إخوتي خبزَ بنادقْ
دماءَ إخوتي بها يسقي المشانقْ

في الأردن جلَّاد يحلم

فِي الأردنِ جلاّدٌ يحلمْ
بربيعِ الفجرِ وبالشعبِ الأخضرْ
غُصْناً يُكْسَرْ
فِي حبلِ المشنقةِ الأصفرْ
بالأردنِ يمسخُهُ ضفدعْ
فِي مستنقعْ
فِي الوحلِ الأبيضِ
والوحلِ الأزرقْ
مقصلَتُكَ لن تصبحَ ذاك الزورقْ
فالأردن والشّعْبُ الأخْضَرْ
كفراشةِ إعصارٍ تبرقْ

* * *

فِي الأردنِ جلاّدٌ يحلمْ
بالأردنِ يحلمُ فِي قُمْقُمْ
سِجْنٌ أبديٌّ لا يُحطمْ
سجنٌ كجهنّمْ
لا النارُ تموتُ ولا تهرمْ

وأنا أحلَمْ

بالريشِ سينمو كالغابَهْ

بالماردِ طارْ

بالزنزانَهْ

ويدُ السجّانْ

تُدمي مفتاحَ الزنزانَهْ

وفمُ السجّانْ

من جوعٍ يمضغُ قضبانَهْ

في الأردنِ جلاّدٌ يحلَمْ

ميتٌ يحلمْ

ويجوعُ ويمضغُ أكفانَهْ

لتقرع الأجراس لبلادي

تحجّري يا صيحةَ الخناجرِ العريانهْ
ورايةَ الخيانهْ
فلنْ تُجرَّ بالسلاسل الخيامُ والمعسكراتْ
لنْ تُجرَّ أمهاتْ
شعبي ومن شعورهنّ من عُروقهنَّ
في يديكِ كالحبالْ
إلى مسيرةِ الفناءْ
مخالبُ البنادقِ التي أطلقْتها كالوحوشْ
على ربيعنا الذي يعيشْ
في الصدور لؤلؤاً في الصدفْ
أتحلمينْ!
وأنتِ في إغماءةِ المطافْ
أنْ تَكسري الأصدافْ
وتقطُفي من الصدورِ لؤلؤ الربيعْ
لكي تُزيّني بهِ صقيعْ
نيرانِ "شاهك" القزمْ
أتحلمينْ!
أن تَسحبي نابلسنا حديقةَ الثوارْ

وزَهرَها الذي يذودُ نحلَكِ المزيَّفَ المشؤومْ
في قلبهِ شذاهُ لا يفوحْ
أتحلمينْ؟
أن تَسحبي نابلسنا حديقةَ الثوارْ
أن تسحبي سلفيتْ
بما غزلتِ من خيوطِ عنكبوتْ
أن تَكنُسي الشرَرْ
تقدحَهُ أقدامُنا العريانةُ العَطشى على الطريقْ
أن تُحرقي أحلامَ إخوتي الذينَ يحلمونْ
في "الجفر" بالخيانهْ
راكعةً عُريانَهْ
معصوبةَ العيونْ
وظهرُها إلى الجدارْ
وحولَها دماؤها وحَولْ
من قلبها تَسيلْ
أخي وصيحةُ الخلاصْ
قد أوشكتْ تضيءُ والأغلالْ
على معاصمِ الثوارِ تحتضرْ
والرصاصُ،
في بنادق العصابةِ السوداءِ ينتحرْ
فلتُشرق الرياحْ
في أجراسِ شَعبنا، لشعبنا فلتُقرع الأجراسْ

إلى عيني غزة
في منتصف ليل الاحتلال الإسرائيلي

حينما أرسُفُ بالأسوارِ في كلّ مساءْ
ولكمْ مرَّ مساءٌ ومساءْ
ويحومُ الليلُ كالطائرِ في منقارهِ خيطُ ضياءْ
لنجومٍ لا أراها في السماءْ
يفرد القلبُ جناحيهِ بعيداً ويطيرْ
لبساتينك يا غزّتي الخضراءَ في ليلِ الجحيمْ
ولجدرانكِ تغلي كالصدورْ
جَرَحُوها بالرصاصْ
والمناشيرُ عليها كالقناديلِ تقولْ
يا جدار المستحيلْ
خافقـــاً في كـــلّ صـــدرٍ ثقبـــوهْ
وهـــو شُـــبَّاكي الـــذي قـــد فتَحـــوهْ
لأرى شعبي الذي لمْ يُخضعوهْ
خافقـــاً في شـــفتيْ مـــن عـــذّبوهْ
أحرقوهُ ليَفوهْ
غـيرَ أن القلـبَ خفـاقٌ ولكـنْ لا يَفـوهْ

خافقاً في ظلكَ الشامخِ يا منْ طاردوهْ
وعلى دربٍ كحدِّ السيفِ قد راحَ يسيرْ
كيفَ يكبو والجماهيرُ أبوهْ
يَدُها في يدِهِ أنَّى يسيرْ
ويهوذا ورَنينُ الفضةِ الدّاجي الرهيبْ
قد مضتْ تنهشُ عيناهُ الدروبْ
واقفٌ يحلمُ فيها بمسيحٍ وصليبْ

* * *

غزتي أنا لمْ يَصدأ دمي في الظُّلماتْ
قدمي النيرانُ في قشِّ الغزاهْ
وشراراتُ دمي في الريحِ طارتْ كلماتْ
كعصافيركَ يا قوس قُزَحْ
أنتَ يا إكليلَ شعبي وهو يدمي في القيودْ
إننا سوفَ نعودْ
وعلى دربٍ كألوانكَ يا قوس قُزَحْ
وستَذْرو الريحُ أشلاءَ الشَبَحْ

شهيد من الأنصار

هو في الظّلامِ جناحُ ريحْ
ودمٌ يفوحْ
ويدٌ من الكلماتِ في الصمتِ الرهيبْ
تَنمُو
فيا أجراسَ أزهارِ المصيرْ
دُقّي إلى يدهِ المطرزةِ الشرارْ
على الظّلامِ، على الجدارْ

* * *

ودوى الرصاصْ
وهو يعانقُ أرضهُ الحُبلى.
بطفلٍ اسمهُ الغالي "خلاصْ"
وخُطَى مُطَارِدِهِ تُوارِيها الحدودْ
وسؤالكَ الدامي يعودْ.

يا أيادي
ارفعي عن أرضيَ الخضراءِ ظلَّ السلسلهْ
واحصدي من حقلِ شَعبي سُنبلهْ
فأنا لمْ أحضنِ الخبزَ ومن قمحِ بلادي
منذُ أنْ هبّتْ رياحٌ مثقلاتٌ بالجرادِ
نَهَشَتْ أرضَ بلادي
وجماهيرَ بلادي
منذ أن شدّوا ليَ اللقمةَ في ساقِ غزالِ
وعدا ملءَ الرمالِ
وهُمو قد غصبوا قوسي وسَهمي ونِصالي
وهُمو قد قَطَفوا زهرَ دمائي
غيرَ أني في نماءِ
فجذوري تتحدّى الفأسَ في أرضِ بلادي
وهي خضراءُ تُنادي:
يا أيادي
"ارفعي عن أرضيَ الخضراءِ أغلالَ الجرادِ
وحَصادي، لي حَصادي"

إله أورشليم

لتنسني يميني
لتنسني عيونْ
حَبيبتي
لينسني أخي
لينسني صديقيَ الوحيدْ
لينسني الكَرى
على سرير سهادْ
مثلما السلاحْ
في عنفوانِ المعركهْ
ينسى يدَ المحاربْ
ومثلما الناطورْ
ينسى على كرومِهِ الثعالبْ
إذا نسيتْ
أنَّ بينَ ثديّيْ أرضنا يبيتْ
إلهُ أورشليمْ
وأنَّ من قطوفْ
دَمِنا يَعتصرْ

الشهدَ واللّبنْ

وخمرةَ السّنينْ

لكي يعيشْ

ويُفرخَ الوحوشْ

وكي أشيدْ

من الدموعْ

جدارَ مَبكى وكي أُحيلْ

خيمتي منديلْ

للعويلْ

على الذهابْ

بلا إيابْ

* * *

لتَنسني يميني

لتنسني عيونُ شعبيَ المغردهْ

إذا نسيتْ

أن أغرسَ الطريقْ

لصدر بَيّاراتنا وللكرومْ

سيفاً منَ الجَحيمْ

في عينيْ إلهِ أورشليمْ

شهرزاد وفارس الأمل
جمال عبد الناصر

يا شهرزادْ –
على جناحِ السيفِ كانَ "أبو الليالي" شهريارْ
يهوي إليكِ وفي الركابْ
النَّطعُ والسيَّافُ –
يا أم اللّيالي والحكايهْ
غيرُ الحكايةِ والجراحْ
غير الجراحْ
فلقدْ مضى عصرُ القصائدِ ببغاوات تطيرْ
في روضةِ الملكِ السعيدْ
فالشرقُ في قِمم النّهارْ
الشرقُ نجمٌ فوقَ جبهةِ مِصرَ فارسنا جمالْ
ولهُ غناءْ
أشواقُ أجنحةِ الدماءِ لكي تطيرْ
وكفى ترفرفُ خلفَ قضبانٍ وسورْ
وغرامُ عينيَّ اللتينِ تغردانْ
للفجرِ أغنيةَ السماءِ بلا حديدْ

للدَّربِ أغنيةَ الخُطى العَطشى إلى نبعِ الدروبْ
وإلى الرفاقِ مع الشوارعِ في عِناقْ
وبلا فِراقْ
ولحلمِ فَلاحٍ بشمسٍ من سنابل لا تغيبْ
للبلبلِ الصدّاحِ في شفتيْ حبيبْ
ومُغرّداً بالقبلةِ الأولى التي تَلدُ الحبيبةَ والحبيبْ
ولبحرِ غزّةَ والهديرْ
من قلبِ صَيّادٍ هناكَ يهبُّ كالريحِ الهديرْ
وحنينيَ الخفّاقُ في شفتيَّ حينَ ترفرفانْ
وتُطرزان وبالقبلْ
البابَ والشبّاكَ في بيتي الصغيرْ
بيتي الذي ما كفَّ ينبضُ في نوافذهِ الضياءْ
فَمنْ يقولْ
في بيتنا الخالي، النوافذُ مطفأهْ
وبصدرِ شعبي لؤلؤهْ
لنْ تستحيلَ إلى رمادْ
يا شهرزادْ

الشرارة في الهشيم

أنْ أطيرْ
على جوادْ
مجنّحٍ عُريانْ
وأن تكوني لي وأن نطيرْ
معاً على أمواجنا البيضاءْ
وخَلفَنا تطيرُ موجةٌ مزغردهْ
وتقدحُ السنابكُ الخضراءْ
شرارةَ انطلاقِنا العظيمْ
في هشيمْ
مَنْ يُشهِرونْ
في فجرنا الصليبْ
كالخنجرِ المسنونْ
أنْ نطيرْ
على جَوادنا المجنّحِ العُريانْ
يا وردتي التي تفوحُ في أصفادْ
عجزها الرهيبْ
حلمي وحلمكِ الجريحُ أن يذوبْ
نجمةً وبلبلاً في مهْدِ حُبنا الصليبْ

بلابل الدموع

الانتظارْ
بلا رسالةٍ ولا حبيبةٍ ولا قطارْ
والنهارْ
ممددٌ معي على الأسوارْ
وقلبيَ المغروسُ في السّحابْ
بلا ثمارْ
كنحلةٍ في قفصِ الأشواكْ
تدمي إلى الفكاكْ
وحولها الظلالْ
في منديلها الزهورْ
على شفاهِها المخضَّباتِ بالعبيرْ
براعمُ القبلْ
بلابلَ الدموعِ يا بلابلَ الدموعْ
عينايَ أطلقتاكِ في الإعصارْ
بلا رجاءْ
أن تَنفذي من قفصِ الإعصارْ
أن تُسمعي غناءْ
قلبي المكبَّلِ الجريحْ

فلينثرِ الإعصارُ يا بلابلَ الدموعْ
قلوبكِ الخضراءْ
نسيمَ نورْ
على خدودْ
أبطالِنا الذينَ يحضنونْ
وهمْ ممزَّقونْ
فرحةَ الحياةِ صاعقهْ
وعلى أمواجْ
جراحِ شعبي الخضيبةِ الهديرْ
وعلى زجاجْ
شبَّاكِ بيتنا الوحيدْ
ينتظرُ الشريدْ
أنا هُنا في العزلةِ الخَرساءْ
أوقدُ الشموعَ للمأساةْ
وأرسمُ الحنينَ لؤلؤهْ
على جبينِ الريحْ
متى مِنَ الصحراءْ
تطيرُ بي أجنحةُ الينبوعْ
يا شعبيَ الذي يطيرْ
على بساطِ الدموعْ
لخيمةِ الربيعْ

من مذكرة الليل

على جدارِ ليليَ الرهيبْ
رسمتُ صوتَكِ الحبيبْ
واسمكِ الحبيبَ زنبقهْ
من شَطِّ بحرنا وموجةٍ مؤرَّقهْ
على رمالِ سُهدِها الطويلِ تنتظرْ
من الغيومِ فارسَ القمرْ
رسمتُ صوتَكِ الحبيبْ
واسمكِ الحبيبْ
بُرعُماً من النسيمْ
مُنوِّراً في جحيمْ
صحراءِ عزلتي وليليَ الرهيبْ

فلسطِين في القلَب

"وُضِعَ الشاعرُ في الجنة
فَصَرَخَ قائلاً:
آه يا وطني..."

"ناظم حكمت"

استمعوا لي

استمعُوا لي،
اسمعني يا وطني،
فالآنَ خريفُ الأغلالِ يولّي،
والآنَ سأحرقُ ظِلّي
كي لا أتمدَّدَ فيَّ ظِلّي،
صَمْتاً، صَمتاً، يا حملةَ أبواقِ
– الخفَاش الخَشبي –
يا أكَلَةَ قُربانِ – العجلِ الذهبي –
صمتاً، ولترفعْ بَيرقَها
العاصفةُ السرّيةُ، والبرقُ السرّي،
ولتفردْ أجنحةَ صليبكَ،
يا قَلبي،
طِرْ بي، طِرْ بي،
فهنالِكَ نافذَةٌ لم تُصبَغْ
بالبرقِ الأسودِ فيَّ وَطني،
نافذَةٌ تذكُرني،
داليةٌ تَحلمُ بي

أن أقطفها،

أن تقطفني...

يا وَطني، مَنْ لي،

مَنْ لي،

وبجرعةِ برقٍ من سُحْبكَ،

وبكسرةِ رعدٍ؟

لو جَمَعوا كلَّ الأنهارِ بكأسي

لصرَختُ، وألقيتُ بنفسي

من عَطشي لعيونكَ في الشمسِ

كأس الخل

واقترعُوا يا شَعبي
مَن يأخذُ ثوبي
بعدَ الصلبِ...

* * *

كأسُ الخلِّ بيُمنايَ
وإكليلُ الشوكِ على رأسي،
باراباسُ ابنُ السكينِ طليقٌ،
وابنُكَ يا شَعبي
ساقُوهُ إلى الصلبِ وللرجمِ...
يا شَعبي...
أنْ أصرُخَ لا تُدخِلني
في تجربةٍ، لا يا شَعبي،
أَدخلني في تجربةِ الصلبِ،
وجرِّعْنيَ كأسَ الصَّلبِ،
لن أهربَ من دربي،
لن أهربَ من كأسِ الخلِّ
وإكليلِ الشّوكِ،

وسأنحَتُ من عَظمي...

مسمارَ صليبي وسأمضي

أزرع حبَّاتِ دمائي في الأرضِ،

إن لمْ أتمزّقْ كيفَ ستولدُ من قَلبي

كيفَ سأولدُ من قلبكَ،

يا شَعبي...

كلُّ الرّاياتِ المنفيّةِ قد عادتْ،
يا وَطني...
إلاّ رايتَكَ المنفيّةَ من أفقٍ
ترتحلُ إلى أفقٍ،
في سوقِ – لصوصِ الرّاياتِ –،
تُباعُ بلا ثمنٍ،
صاحَ – النخّاسُ – تقدَّمْ، بالحنجرةِ الملعونةِ،
والمحشوَّةِ بالخُطَبِ،
خُذها لا تخجَلْ
خُذْ رايةَ وَطني،
ما أرخَصها بجناحٍ من – ورقٍ –،
أو سيفٍ من خشبٍ،
ضفِّرْ منها إكليلاً مِنْ ريشٍ
لتزيِّنْ رأسَ – الدّيكِ الهرِمِ –
الصائحِ في كلّ الأسطحِ
والرّاقدِ في كلّ السُرُرِ
لكنْ من يتبعُ في وطني؟

خُطواتِ السيفِ الخشبي؟
مَن يُلقي
سُنبلةً واحدةً في طاحونٍ من ورقٍ؟
ألقوا بأكاليلِ الرّيشِ،
وألقُوا بالسيفِ الخشبي،
ما زالَ من الرّايَةِ خيطٌ،
ينمو في ريحِكَ... يا وَطني

لصوص الصلبان

أحبابي،

ألواحُ صَلَيبي ليستْ

أرجوحة جلاّدي

فلتُقرعْ أجراسُ الأصفارِ

لَسنا نخلاً من رملٍ تُحنيهِ الريحُ

ليلثمَ ظلَّ السجّانِ

لسنا ربّاناً قد نحرَ الأشرعةَ

على الشطآنِ

قُرباناً للقرصانِ

فلقد ولّتْ كدخانٍ

ملءَ مناقيرِ الغربانِ

أيامُ لصُوصِ الصلبانِ...

* * *

كعِطاشٍ كنّا

نتعثّرُ بخريرِ الأنهارِ،

كنّا كنهارٍ

يتعثّرُ بالأنوارِ

سنبلةٌ للهِ وسنبلةٌ للقيصرِ
أمّا قبضُ الريحِ فللحصّادِ
أحبابي:
أن نحملَ هودجَ سلطانِ
أن نُصلبَ كي يتسلّقَ
ألواحَ الصلبانِ
لصوصُ الصلبانِ...
أن تُصبحَ أعلامي...
أقنعة نوافذِ سجّاني...
لا، أحبابي،
قد كفَّ الجرحُ يغرّدُ
لسياطِ الجلاّدِ...
أحبابي:
إنْ ضلَّ الجدولُ عن مَنْبَعِهِ
تمضُغهُ أشداقُ الكثبانِ،
فحَذارِ، حَذارِ
أن نخطفَ مَوجاً من بحرٍ،
أن نزرعَهُ في صحراءَ
أن نَحْلُمَ أن يصبحَ
حقلَ بحارِ،
وحَذارِ، حَذارِ

من حَصّارِ أفّاقِ

من فرطِ الخوفِ الكذّابِ

من لصٍّ الحقلِ

حماهُ، بسياجِ جرارِ...

أحبابي:

لا يبني الطائرُ عُشّاً

في جُحرِ الثّعبانِ...

الطائرُ لا يَدفأُ

تحتَ جناح الحدأةِ، أحبابي

فَكفاكمْ، وكفَاني

نَفْخاً في الأكفانِ،

ليسَ يُضَمِّدُ جُرحَ البركانِ

أكوامٌ من حطبٍ ودخانِ.

لنضمّدْ جُرحَ البركانِ

بنارِ البركانِ،

أحبابي:

والفأسُ المدفونةُ في الجدرانِ

تستيقظُ،

فليستيقظْ حُرّاسُ الجدرانِ

قصيدة إلى الأسلاك الشائكة

لو قُدّرَ ألاّ يلدغ
كلماتي ثعبانْ
لو قُدِّرَ ألاّ تتفجَّر
أوراقي ينبوعَ رمادْ،
لو قُدِّرَ أن تتسلّق
كلماتي جبلَ الأصفادْ
لو قدِّر أن ترسُو
فوقَ ضفافْ
كفّكِ كالمجدافْ،
كاللؤلؤةِ الهاربةِ
تُطاردُها الأصدافْ...
لو قُدِّرَ أن تنهارْ
كجدارِ أفاعٍ
وكأعمدةٍ من أظفارْ،
تلكَ الأسوارْ...
لو قُدِّرَ يا وطني
أنْ ألقاكْ

كالأرضِ البكرِ المولودةِ
من قُبلةِ زلزالْ،
كشراعٍ قد تاهَ
وعادَ به الإعصارْ،
لسقَطتُ على سيفكَ،
يتمزَّقُ قَلبي
من قُبلةِ سَيفكَ، وأراكْ

البحّار العائد من الشطآن المحتلة

"...وعاد من شطآنه، وقد تعلّقت
موجةٌ على شراعه..."

لو أنَّ يا حبيبتي أشعاري
تعيشُ كالزيتونِ كالأنهارِ...
لو أنَّ يا حبيبتي الدَّوالي
في العامِ مرتين تثمرُ الدوالي
لو أنَّ يا حبيبتي أشجاري
تعيشُ في بستانِ سندبادِ
تُثْمِرُ الطيورَ كالأوراقِ
وتثمرُ الأطفالَ كالأثمارِ

* * *

لو أنَّ يا حبيبتي ملاّحي
يعودُ من جزيرةِ الرياحِ
يعودُ يَرتمي على الضفافِ
بالجُرحِ والشِّراعِ والمجذافِ
في صدرِه عجائبُ البحارِ
يعودُ فوقَ ظهره شراعي
وسلةُ الهديرِ والثّمارِ...

والعشبِ والأسماكِ والمحارِ

وحزمةٍ من السّحابِ والرمالِ

من شَطِّنا المشرَّدِ الظّلالِ...

يا عاصرَ الشراعِ في أقداحي

موجةٌ قد أمسكتْ شِراعي

من بحرنا كقطرةِ الشّعاعِ

لم تُرخهِ ومخلبُ الرياحِ

في قَلبها، يا عاصرَ الشراعِ

في قَلبي العطشان في جِراحي

لتُبقِ قطرتينِ للمصباحِ

الأغنية المعصوبة العينين

أينَ القمرُ المعصوبُ العينينِ يساقْ...؟
وسْطَ السُّحبِ الفاغرةِ الأشداقْ،
أسوارٌ تفتحُ وظلالٌ عاريةٌ
تركضُ، أبوابُ
تُذْبَحُ خلف الأبوابِ،
الصرخةُ عَلَمٌ خفّاقُ
الصرخةُ... أوراقُ
تسقطُ من شَجَرِ اللّحمِ،
غُصونٌ... وثِمارُ

* * *

يا وَطني أينَ الأغنيةُ تساقُ؟
خَيطٌ من دَمكَ الخفّاقِ يراقُ
من أجلكَ شلاّلُ مرايا صفرٍ،
يتكسّرُ في وَجهي،
شلاّلُ مَرايا سوداء،
من أجلِكَ اقحَمُ أسواري...
من أجلكَ أُرجمُ بالنّارِ...

من أجلكَ أحملُ أغلالي

فيِ مَنفى الأرضِ كجوّالِ

من أجلكَ خُبزي بدمائي...

مَعجونٌ، خُبزي بدمائي

والوجهُ المشحوذُ كنابِ

فيِ ظلّي غُرِزَ وأشعاري...

الطابور

"إلى ص. ب"

عادَ الطابورْ...

صحِّي أجراسَ مدينتنا، عادَ الطابورْ،

ليدقَّ بكفِّكَ مفتاحَ مدينتنا،

عادَ الطابورْ...

والكعبُ الحجريةُ عادتْ،

والشارعُ كشراعٍ إله مكسورْ

صَحّي إسمي تتساقطُ أحرفُهُ،

أجنحةَ نسورْ،

درعاً لعيونكِ، لا تجرحها

أظفارُ عيونِ الطابورْ،

صَحّي كلَّ قصيدةِ حبٍّ فوقَ سريركِ،

تخفقُ كالعَلَمِ المنشورْ

صَحّي البرقَ النائمَ فوقَ ذراعكِ كالعصفورْ

في ريحِ الصيادِ يطيرْ

يفرطُ أغنيتي عُنقوداً من جمرٍ،

في شَفتي ناطورْ

مدينتِنا المخمورْ...

* * *

أنا أسمعُ صيحةَ شبُّاكِكِ

تطعنهُ عينُ الطابورْ،

كغديرٍ،

تطعنهُ عينُ الذئبِ العطشانِ المسعورْ

وكنارٍ ألقتْ معطفَها فوقَ الشجرِ المقرورْ،

وكموجٍ ألقى معطفهُ فوقَ غريقٍ

أوشكَ أن يمسكَ بصخورْ،

قد ألقى الطابورْ

معطفَهُ الحجريَّ،

على عَظْمِ مدينتنا المكسورْ

مَن يَجْبُرُ عَظْمَ مدينتنا المكسورْ؟

أينَ شِراعُكِ؟

في منقارِ الحدأةِ عصفورْ

تمضغهُ والريشُ يطيرْ،

أعلاماً، أعلاماً، الريشُ يطيرْ

إلى طفلتي دالية

وكمصلوبٍ يحلمُ،
لو تلمسُ قدماهْ...
الأرضَ النائيةَ كنجمٍ،
لو يَمشي،
لو يسمعُ وقْعَ خطاهْ...
أنا أحلمُ أن نمشيَ،
كفُّكِ شعلة برقٍ،
فيِ كفّي شعلة أزهارْ،
تحتَ الأمطارْ...
وورائي أعلامُ الدُّميةِ،
أمراسُ جليدٍ
تتلوَّى فوقَ الأسوارْ

* * *

ألفُ شتاءٍ قد مرَّ وما زالْ
مَصلوبُكَ يا وطني يَحلمُ،
لو تلمسُ قدماهْ،
الأرضَ النائيةَ كنجمٍ،
لو يَمشي،
لو يسمَعُ وقْعَ خطاهْ...

جراح بلا أجراس

"إلى الـذين يقـاتلون ولا يعلقـون الأجـراس في جراحهم..."

طاحونتي لا تطحنُ الدموعْ

كَفى كَفى تدورْ

طاحونةُ الفراشِ والشموعْ

* * *

كفى جراحُنَا على أكُفِّنَا تَسيرْ

ونلعنُ الصباحَ، من جراحِنا يطيرْ

وغامتِ السماءُ والطريقْ

لم يُشْعلِ القنديلْ...

والسحْبُ ظلُّ دربِنا،

والجُرحُ في شراعِنا،

لم يُلقِ بالمنديلْ...

ونلعنُ الأنهارَ من عُروقِنا تسيلْ...

لم تنحرِ الأمواجَ كالنذورْ

لم تُحرقِ الرذاذَ كالبخورْ

لم تملأ الكؤوسَ بالخريرْ

* * *

تَعلّموا تَعلّموا من الجذورْ...

يا إخوتي لا تنهشُ الجذورْ

أحشاءَها، إن جاعَتِ الجذورْ

* * *

كفى على مرآتنا، نُطَرِّزُ الصليبْ

كفى على درُوبنا، نُطَرِّزُ العيونْ

* * *

تطلّعوا لا ترفعُ الجذورْ

كبيرقٍ، جراحَها على الغصونْ

* * *

كَفى كَفى تدورْ

طاحونةُ الفراشِ والدموعْ

في طريق الأنهار

عطشانْ،
واحُرقةَ سُحْبكِ يا عمّانْ،
في الصيفِ الناعقِ كالغِربانْ،
لم تمطرْ قطرَهْ،
واحسرةَ موجكَ يا دجله
يا بَرَدى يا راوي الغلّهْ
واحسرةَ صيحَهْ
كاللّمحَهْ...
كالجرحِ الفاغرِ وانيلاه
والنيل صدَاها يا وَلَداهْ
قد ذبحوا البلبلْ
بجنَاح غرابْ
وأهانوا كأسَ جميعِ الأنهارْ
قد طَفحتْ خلْفَ الأسوارْ

* * *

يا طفلَ السُّحْبِ العطشانْ
هي ذي أغنيةُ الأسطورهْ...

هي ذي لعنتُنا المحفورهْ
أن يسقطَ قلبُ الجلاّدْ،
قُفّازاً، قلبُ الجلاّدْ...
في كَفّ جميعِ الأنهارْ

المصباح والطاحون

لم تزلْ أنتَ،
ومِصباحي على جُرحكَ أنتْ،
واسمُكَ الطائرُ كالخنجرِ
قدّامك أيّانَ ارتحلتْ...
صاحِ، محفورٌ على كلّ المرّات الكبيرهْ
والمرآتِ الصغيرهْ،
ويدٌ تُدفنُ في ظَهركَ كالفأسِ،
وفي كلِّ مسيرهْ...
والثعابينُ لها البوابةُ الكُبرى
وأفراخَ الشياطينِ وقُطعانٌ كثيره
غير مصباحك، لا الليلُ يواريه
وعُبّاد المرايا لنْ تجيرهْ
صاحِ، والمصباحُ لا يأكلُ نورَهْ
أوِ لو أعتصرُ اللّيلَ،
ولو قطرةَ زيتٍ، للمصابيحِ الصغيرهْ
لم تزلْ أنتَ
ومِصباحي على جُرحِكَ أنتْ،
حَرثوا الأرضَ، حرثتْ،

زرعوا الأرضَ، زَرعتْ،
غابةُ الزيتون لم تعطكَ
ما يملأ مصباحَكَ زَيتا،
لَعنوا الغابةَ والأرضَ
ولكنْ ما لعنتْ
فامضِ كي تَغرُسَ غاباتٍ
وأشجاراً جديدهْ...
فلعلَّ اللّيلَ لا يهبطُ
في وهْجِ الظّهيرهْ،
والطواحينُ التي عاشتْ
على قمحكَ أجيالاً طويلهْ
أطعمتْ كلَّ جرادِ الأرضِ
لم تُعطِكَ مثقالَ فتيلهْ،
لستَ شمشون
ومن أحببتها ليستْ دليلهْ
خَلِّها تطحنُ، ولتمضِ لكي تَنحتَ
أحجاراً لكي تَبني طواحينَ جديدهْ
ليسَ في أرضٍ جديدهْ
أنتَ لم تَنزفْ كقرصِ الشمسِ
كي تبحثَ عن أرضٍ جديدهْ
فالبراكينُ التي تخمدُ
لا تهجُرها النارُ الكبيرهْ

جزيرة الشعارات القديمة

هوذا أنتَ، وأجراسُكَ
أعشاشُ العصافيرِ الطريدهْ،
صاحِ، من أي جزيرهْ
عدتَ لا تحملُ
صُلبانَ الشعاراتِ القديمهْ
عضّةَ الأسوارِ للأسوارِ خلّفتَ
وللشوكِ الجراحاتِ الحزينهْ...
قال لي الراوي، وفي الأوتارِ
جُرحُ المقطعِ الفاجعِ من تلكَ القصيدهْ،
يا بحارَ الرملِ،
يا خبزَ الأعاصيرِ الشريدهْ
شاعري، قد كانَ في تلكَ الجزيرهْ،
كانَ في حَقلِ الشعاراتِ القديمهْ
كانَ مُلقى وسْطَ راياتٍ وأجراسٍ طعينهْ
قَلبُهُ قرصٌ من الشّهْدِ
وجاعتهُ سفينهْ...
أوِ لم يُشعلْ لها قُمصانَه ناراً

ولم يُحرقْ قصيدهْ...

وبكى يسترجعُ الراوي

جِراحَ المقطعِ الفاجعِ من تلكَ القصيدهْ:

حملتهُ، أثقلتْ ظَهرَ السفينهْ

أثقلتهُ، آهِ يا صاحِ الشعاراتُ القديمهْ

ألقِ للأسماكِ يا صاح الشعاراتِ القديمهْ

ألقِ فالأسماكُ لا تقرأُ

والأعماقُ خرساءُ كَتومهْ...

* * *

عضَّةُ الزلزال والصّحوةُ يا صاحِ،

وأنسامُ الأعاصيرِ الجديدهْ...

والطّواويسُ الدميمهْ

ريشُها يسقطُ أشواكاً صغيرهْ

طابع بريد إلى القاهرة

حلفتُ بالقصيدهْ...
بطابعِ البريدِ وهو شُرفتي الوحيدهْ
حلفتُ، قد عَشقتها صغيرهْ
وحينما تفجَّرتْ،
وأرخَتِ الضفيرهْ...
ذَكرتُ وردةً وريشةً صغيرهْ...
لبلبلٍ قد ماتَ في الظهيرَهْ...
ألقيتُها في البركةِ الصغيرهْ...
والأعينُ الكسيحةُ القعيدهْ
تمدُّ في الظهيرهْ
سُلَّماً،
تمدُّهُ للشرفةِ النضيرهْ
قَصائدي تراكضتْ
حُروفُها الصغيرهْ...
فالدّارُ يا حَبيبتي بعيدهْ
سَلاسلي ثقيلهْ
سَلاسلي طويلَهْ

بَلابلي تموتُ في الظهيرهْ...

حَبيبتي... حبيبتي البعيدهْ...

لا تقتلُ الثعالبَ الضريرهْ

ككرمةٍ تضاحكتْ

قُطوفُها النضيرهْ...

لا تُسدلي الضفائرَ الطويلهْ

فالأعينُ الأثيمةُ الشرّيرَهْ

تجدِّلُ الحبالَ في الظهيرَهْ...

* * *

أتحلفينَ بالقصيدَهْ...

بطابعِ البريدِ وهو شُرفتي الوحيدهْ

بوردةٍ، بشمعةٍ صغيرهْ...

أوقدْتُها في الليلةِ الضريرهْ...

أنَ تكسري سَلاسلي الثقيلهْ

بريشةٍ، بوردةٍ صغيرهْ...

* * *

أتحلفينَ، قد حَلفتُ بالقصيدهْ...

بطابعِ البريدِ، وهو شُرفتي الوحيدهْ...

طائر من الرماد

الشاعرُ الذي مضى كغيمةٍ،
وغابَ ثُمَّ عادْ...
كطائرٍ من الرمادْ
كحزمةٍ من الدُخانْ
يَعضُّ في عيون مُلْهمِيهِ
في كِتابْ،
قصائدِ الزمانِ يا حبيبتي،
وعبرةِ الزمانْ...
ويُطعمُ الفراشَ للجرادْ
والدرَّ للخنزيرِ، والورودَ للكلابْ
الشاعرُ الذي مَضى على ضفائرِ الرياحْ
وكانَ تحتَ قُبّةِ الظّلام،
في وداعهِ الصباحْ
الشاعرُ الذي مضى محارباً
وعادَ يسحبُ الجناحْ
الشاعرُ الذي رمى على المقابرِ السّلاحْ
وعادَ يُلقي الشوكَ في عيونِ ملهميهِ،

يلعقُ المدادْ...

ويمضغُ الأوراقْ

ويغمدُ الحروفَ في الأحداقْ

الشاعرُ الذي مضى كغيمةٍ،

وغابَ ثمَّ عادْ

كطائرٍ من الرمادْ

تذودهُ الأشجارُ عن غصونها،

ويبصقُ الصيَّادْ...

أجراس من طين

النجدةُ يا وادي عبقرْ
قد هَجموا بالقمر الأخضرْ
واختَطفوا نيرانَ الهيكلْ
واعطشي للمجرى الأوَّلْ
ولخيطٍ في ذاكَ المغزلْ

* * *

فتعالوا زمراً فالمذبحْ
من غيرِ دماءٍ والجدوَلْ
ما زالَ على كفٍّ المنبعْ

* * *

أجراسٌ من زبدٍ تلمعْ
أجراسٌ من طينٍ تدمعْ
تَستجدي الريحَ لكي تقرعْ
وصلاةٌ في وادي عبقرْ...
وسجينُ القافية الملجمْ
كالطائرِ بالريشةِ يلجمْ
يَدمى، يتمزّقُ، لا يَحْلُمْ

وبراقُ القافيةِ المُعْلَمْ
من قدْحِ سنابكه الأنجمْ
قد طارَ بهِ الطفلُ المُلْهَمْ
وسنزرعُ نهراً لن نقلعْ
ظلاً أو حرفاً يتضوّعْ
في روض المتنبي الأخضرْ
وستَجري الأحرفُ كالأشرعْ
في بحرٍ مفتوحِ الأذرعْ
* * *
أجراسٌ من زبدٍ تلمعْ
أجراسٌ من طينٍ تدمعْ
تستجدي الريحَ لكي تقرعْ
وصلاةٌ في وادي عبقرْ...

أغنية إلى زنجي أميركي

هل يَصدأُ هل يذبلْ
ظلُّ المصلوبِ وينطفئُ البلبلْ...؟
لا يا جيمي ولسونْ
قَمري لن يَسقطَ كالجمرةِ،
في قاعِ الجدولْ...
لؤلؤتي لنْ تتعفَّنْ
في الصدفةِ، تتعفّنْ
عالَمُنا لنْ يجبنْ.
لنْ يأكلَ ساعدَهُ.
لنْ يوقدْ
رايتَهُ، كي يَرْقُدْ
في الدفءِ الوحشُ،
ولنْ يَفْرِدْ
في مستنقعْ...
سجّانِكِ أشرعْ...
يا جيمي ولسونْ...
ما أسماءْ

أطفالِكَ، ما اسمُ يمامتكَ البيضاءْ
ما عنوانْ
بيتك إن كانْ
لكَ بيتٌ أو عنوانْ
يا جيمي ولسونْ؟
أنا أعلمْ
أنكَ تلعنْ
آلهةَ الخبزِ الأبيضِ والأسودْ
أنكَ تتمزَّقْ
هل تُحرقُ في سجنكَ
أم تشنقْ
لكنكَ تَحلُمْ،
فوقَ صليبكَ تحلمْ
بذراعِ سبارتاكوس تلمعْ
والعالمُ يولدْ
منها سنبلة فوقَ جبينِ
الأبيضِ والأسودْ

المصلوب على ناطحة سحاب

... لا ليستْ روما،

قدْ سقَطتْ فوقَ السّيفِ الخافقِ كالرايةِ،

روما،

والقيصرُ قد ماتْ،

والبابا ما عادْ

يبيعُ صُكوكَ الغفرانْ

يا وطنَ جميعِ الألوانْ

إلاّ لون الإنسانْ

كذّابْ....،

حتى الحبرُ الصخّابْ

في شريانِ المطبعةِ،

وحتى الشبّاكْ

في البيتِ الأبيضِ كذّابْ

فأبو الأطفالْ

ما زالَ على ناطحةِ سَحابْ

مصلوباً ما زالْ

والقاتلُ ما زالْ

كإلهِ الأجراسْ

أمطارٌ... أمطارْ

أعلامٌ...أزهارْ

وهدايا تكساس

قُفّازٌ من ماسْ

وقِناعٌ من ماسْ

دُقِّي يا أجراس الكومون

"باريس قبيل انتصار ثورة الجزائر والكعوب الحديدية لمنظمة الجيش الفرنسي السرية تعضّ شوارعها"

باريسُ... النّارْ
ستُضرمُ في لوحاتْ
بيكاسو في أبياتْ
إيلوارَ وفي حدقاتْ
عُيونِ العمّالْ
قد عادَ إلى الساحاتْ
من وُلدوا من خُطواتْ
"بيتان" براية "بيتانْ"
رِنِّْ يا قيصرَ "عائلةِ الغيلان"
أجنحةَ الطاووسِ المنتوفهْ
بالصلبانِ المعقوفهْ...
ما أقصرَ خُطواتِ الطاووسْ
في ساحاتكِ يا باريسْ
قد عادَ إلى الخفَقانْ
قلبُ "بيريه" المثقوبْ

دُقّي يا أجراسَ الكومونْ

وإلى المتراسْ

رِفاقي الحرّاسْ،

ما زالَ هناكَ نهارْ

بلا أسوارْ

يا بدرَ قصائدِ "إيلوارْ"

في ليلِ الفاشيّهْ

ابزغْ من شفتيْ "أراجونْ"

أُغنيَّهْ

للحُريَّهْ.

أسطورة غيلان الثلج

غيلانٌ من ثلجْ،
يدفعها الموجْ،
للشاطئِ صيّادٌ يصرخْ:
أينَ الشّمسْ؟...
- لا تفزعْ...
أنا لمْ أسمعْ
عن أيٍّ سماءْ،
يتخشَّبُ فيها الغيمْ،
عن قطرةِ ثلجٍ،
صارتْ لؤلؤةً حمراءْ
لم أسمعْ نجمهْ،
قد سقطتْ فحمهْ،
في نارِ المرتعشِ، سجينِ القِمَّهْ...
هي ليستْ أسطورهْ
غيلانُ الثلجِ المقرورهْ
بعيونٍ من زلفٍ،
ومخالب من رملْ،

تعدو في الظلِّ
الأسودِ كاللّيلْ،
لا تسألْ أينَ الشّمسْ،
شمسُكَ في أضلعِ غيلانِ الثلجْ
أطْلِعْهَا بالفأسْ،
تتفجَّرُ والغيلانْ،
تتكسَّرُ كالعيدانْ،
من زبدٍ ودخانْ

الموت في العام العاشر

"...وكانت العادة في تلك البلاد، أن ترجم العاقر، في الشهر التاسع من العام العاشر لعقمها حتى الموت، ولو كانت العاقر هي الملكة..."

الشهرُ السابعُ والثامنْ
في العامِ المرصودِ العاشرْ
قد ولّى والملْكةُ عاقرْ
ما شفعَ الكاهنُ والساحرْ
والملكُ المحزونُ الناحلْ
قد جرَّ من الشّوكِ سلاسلْ
يَطوي الأسواقَ بلا طائلْ...
من يُعطي الثَمرةَ للعاقرْ...؟
كي تلدَ ولو ريشةَ طائرْ!
العامُ الموعودُ العاشرْ
والملْكةُ كإلهٍ خائفْ
من ضوءِ المصباحِ الراجفْ
تخشى المكتوبَ ولا دافعْ
لقضاءِ اللّوحِ ولا شافعْ
أنْ تُرجَم في الشهرِ التاسعْ
في العامِ المرصودِ العاشرْ

أن تُرجَم للموتِ العاقرْ"...

* * *

الليلةُ ثعبانٌ زاحفْ
والملْكةُ كالشبحِ الطائفْ
كالكرمةِ تنتظرُ القاطفْ
والديكُ على الشرفةِ ساهرْ
والحجرُ العطشانُ الحالمْ
بجبينِ الملْكةِ والراجمْ
في مللٍ ينظرُ للراجمْ

* * *

النورُ خُيوطٌ تتسابقْ
كي تَغزلَ للموتِ بيارقْ
الملْكةُ في الشهرِ التاسعْ
الملْكةُ كالقدحِ الطافحْ
شهَقَاتٌ في القصرِ وصائحْ
والديكُ على الشرفةِ صائحْ
والملكةُ قد ولَدتْ طائرْ...
مَن ألقى في بطنِ العاقرْ
بالريشةِ، من كانَ الساحرْ؟
والحجرُ العطشانُ الحالمْ:
يصحو، يتفتَّت والراجمْ
قد سقَطَ على ظلِّ الراجمْ

قبل أن يصيح الديك

أحبابنا وقَبلَ أن يلوحْ،
الفجرُ، قبلَ أن يصيحْ،
الديكُ، واحدٌ من الذينَ يغمِسونْ
سَنابلي بضوءِ شمعتي ويأكلونْ
مرةً ومرتينِ،
يا أحبابنا يخونْ...
ويتبعُ الذين يشعلونْ
النارَ في اسمي،
والذين يرجمونْ
قَصائدي ويُنكرونْ
سيفَها مُسمَّراً على الصليبْ

* * *

أحبابَنا وبعد أنْ يلوحْ
الفجرُ، بعد أن يصيحْ
الديكُ، من ذريِّتي رفيقْ...
أضاءَ منْ ضلوعْ
صليبيَ المزروعْ.

فيِ أرضكمْ، يقودكم إليَّ

حيثُ صارْ

للصليبِ يا أحبابَنا جذورْ

وحيثُ فوقَهُ، سيفُ قصيدتي قطوفْ

من السيوفْ

أنـا لـنْ أراكَ، ولـنْ تَرانـي فـالموانئُ والبـواخرْ
والطـائراتُ وكـلُّ مـا هـو للحقائـب، والمسـافرْ
مسـدودةٌ إلاّ المسـالك، للسّـجونِ أو المقـابرْ

أنـا لـنْ يطـيرَ إليـكَ صـوتي فالإذاعـةُ والمطـابعْ
والبرلمـانُ وكـلُّ أبـراجِ المصـانِعْ والمـزارعْ
للمـانعينَ سِوى الكـلامِ، مـع البنـادقِ في الشـوارعْ

أنـا لـنْ أَخُـطَّ رسـالةً لـك لا طوابـعَ لا رسـائلْ
تصـلُ الرصاصـةَ بالرصاصـةِ والمقاتـلَ بالمقاتـلْ
فهنـا يخـافونَ الأغـاني والطّوابـعَ والرّسـائلْ

عَبَثـاً تفـتّشُ في الخَـرائِطِ والمعـارضِ والمراسـمْ
لا لـنْ تراهـا أو تَرانـي، لـنْ تَـرى غـيرَ العواصـمْ
غـيرَ المتـوّجِ بالحديـدِ علـى الطّوابـعِ والـدراهمْ

وأنـا وهـذي الأذرعُ الحُبْلـى ومـا ولـدتْ رهـائنْ
من شارعٍ قذَفَ الرئاتِ على الوجوهِ على المساكنْ

أو ثـــائرينَ معلَّقـــينَ علـــى المطـــاحنِ والمكـــائنْ

لكنهـــا نُقِشَـــتْ علـــى يـــدِ كـــلِّ كادحـــةٍ وكـــادحْ
يتقاسمـانِ المـوتَ في مسـتنقعاتِ "الشـيخِ رايـحْ"...
علَـــمٌ عباءَتُـــهُ تُظَلِّـــلُ، كـــلَّ مـــذبوحٍ وذابـــحْ

أنـــا لـــنْ أراكَ وربمـــا ذابَـــتْ ثلوجُـكَ في الخنـــادقْ
فـذكرتَ دجلـةَ والفـرات وخفـق أشـرعةِ المشـــانقْ
فهنـــاكَ نهـــرٌ لـــيسَ تـــذكرُهُ الخـــرائِطُ والوثـــائقْ

مـن "نقـرةِ السّـلمانِ" ينبـعُ والسّـجونُ لـهُ روافـدْ
أنـا لسـتُ أملِكُ غـيرَ قيثـاري وصُـلبانِ القصـائدْ
واشَـوقَ رايـاتي الحبيسـةِ للشّـوارِعِ والسّـواعدْ

سواعد من بارود

قاسٍ كسواعد من بارودْ
كعطرِ رعودْ،
كبيارق من ريشِ جناحِ الإعصارْ
كقصائد عمَّدَها الشاعرُ في النارْ
مُرٍ كرمادِ دموعِ الأطفالْ
قاسٍ كظلالِ العمَّالْ،
قد كانَ يرفرفُ صوتكِ يا بغدادْ،
مَن راحَ يرشُّ دماءك في كلّ طريقْ
ويصيحُ الأرضُ المخمورةُ، ليس تفيقْ،
وجراحكِ، ودماؤكِ قبضُ الريحْ
وصليبكِ لنْ يولدَ منهُ مسيحْ...
يا رمشاً يضحكُ في سوطِ الجلاّدْ،
يا وَحشاً من زَبدٍ.
قد مدَّ المخلبَ والنابْ
في وجهِ الإعصارْ،
وغُراباً من حَطَبٍ، قد جُنَّ
فمدَّ المنقارْ،

يلتقطُ الجمرَ من النارْ
هي ذي راياتُ الأسوارِ
تطعمُها الريحُ إلى النارِ
وأنا العطشانُ الصدّاحْ
أشربُ من كأسِ الأرضِ وقد حَبلتْ
من قُبلةِ فلاحْ،
نخبكُمو، نخبَ الأغلالِ
ولدتْ أجراسَ الزلزالِ...

لمن الشارع

لمنِ الشارِعُ، مَنْ يملكهُ:
نحنُ أم مَنْ يملكُ الجيشَ الكبيرْ
طُرِدتْ منهُ الجماهيرُ التي
خَفقتْ من قلبها فيهِ القصورْ
لم تعُدْ تدوي به صيحاتُها
وهي في هَبَّتها الكُبرى تَسيرْ
أعينُ الأطفالِ لنْ أزرعها
في حُقولي، لستُ حصَّادَ قبورْ

* * *

لمنِ الشارعُ لا ظلَّ بهِ
يا رفيقي، غيرُ أشباحِ الجنودْ
غير "قفْ، من أنتَ" تدوي كلما
ملأ الشارعَ ظلٌّ لشهيدْ
غيرَ أنَّ الشارعَ الدَّامي لنا
رغمَ ما رشّوا عليهِ من جُنودْ
آهِ من ألسنةِ النيرانِ ما
أعذبَ الزنبقَ نجني والورودْ

السيف على العنق

أخـــي، لــو شَـحذوا السّـيفَ علــى عُنُقــي فلــنْ أركــعْ
ولـــو فِي فمــــي الـــدّامي حبــالُ سِــياطهمْ تُنقَـــعْ
فلـــنْ أرجــعَ عـــن فَجـــري، لـــن أرجـــعَ، لـــنْ أرجِـــعْ
وقـــد أوشَــــكَ أن يطلــــعَ، قـــد أوشـــكَ أن يطلــــعْ
مـــن الأرضِ الـــتي مـــن ثـــديها بركائُنَـــا يرضـــعْ

* * *

أخـــــي، لـــو جَرّنـــــي الجـــلاّدُ قـــدّامكَ للمـــذبحْ
لكـــي تركـــعَ، ترجـــوهُ بـــأنْ يعفـــو وأنْ يصـــفحْ
أخـــي، ارفـــعْ رأسـكَ الشّــامخَ كــي تشــهدَني أذبـحْ
لكـــي تشْـــهدَ جـــلاّدي، والسّـــيفَ الـــذي يَرشـــحْ
أخـــي، مـــن يفضــحُ الجـلاّدَ، غــيرُ دِمائِنـا تَفضـــحْ

* * *

لقـــد خَطفتْـــهُ فِي اللّيـــلِ بنـــادقُهمْ مـــن الخنـــدقْ
وفِي ليــــلِ الزنـــــازين رَمـــــوهُ رايـــــةً تخفِـــقْ
علـــى الأغـــلالِ نُوقِـدُها مشـــاعلَ فِي الـدُّجى تُحـرقْ
وفـــوقَ رَمادهــــا نُصـــغي إلى المُســـتَقبَلِ المُشـــرقْ
تَصـــرُّ خطـــاهُ كالمفتـــاحِ فِي ســـجْنِ الـــدّمِ المُغلـــقْ

إلى المناريس

ارسمي من دمي ومن أصفادي ... يــا أيــادي، خريطــة لــبلادي
واحصــدي مــن جبالهــا زَهَــراتٍ ... نــامَ عنهــا الثــوّارُ قبــلَ الحصــار
قــدّميها لكــلّ مــن رفَــع الرايــةَ ... رغـــم العـــذابِ والاضـــطهار
مــن يَــداهُ في القيــدِ لكــنّ عينيــهِ ... بفجـــرِ الحريّـــةِ الوقّـــار
أيهــا الرافعــونَ أعيــنَهمْ تبحــثُ ... عنـــهُ في قـــوّةٍ وعنـــار
إن رأيــتمْ ســحائبنا مــثقلاتٍ ... بــدماءٍ فــالفجرِ لا بــدَّ بــادي
وعــدَتنا أنــوارهُ صــدقَ الفجــرُ ... فمــا كــانَ ىخلــفَ الميعــار
الضــحايا قد عانقتهــا الضــحايا ... والأيــادي تشــابكتْ بالأيــاديْ
فنهوضــاً إلى النّضــالِ نهوضــاً ... لا يعــيشُ البركــانُ تحــتَ الرمــار
ولــنغطّ الســماءَ بــالعَلَمِ الــدامي ... فــأعلامُ شــعبنا في ازديــار...
ولنســرْ تحتهــا خطــىً ولــدتها ... أمّهــاتُ الحبــالِ والأصـــفار

لـكِ الجمـاهيرُ أبنـاءٌ بـلا عَـددِ   فَلسـتِ وحـدكِ يـا أمـاً بـلا ولـدِ
إنْ يُغْلِقوا بَيتنا الدامي فقد فتحوا   لنـا الزَنـازينَ بيتـاً شـامخَ الـزردِ
من خلفِ قضبانهِ نرمي الدماءَ على   مُكَبِّلينـا رَصاصـاً مـن فـمٍ ويـدِ
إنّــا جَعلنــا "طوابيــه" منابرَنــا   وفي "العنابرِ" حيثَ اصطفّ جيشُ غدِ
قد أقسمت هذه الأيدي وما كذبتْ   بالشعبِ لم تنحرفْ عنهُ ولم تحدِ
بــأن سترشــحُ في أغلالِنــا لهبــاً   حتّـى تحرّرنـا مـن عَيشـنا النّكدِ
من عَيشك المرِ، يا أمي وهل سنةٌ   تمرُّ من غير أن نُنفى من البلدِ
من غيرِ أن ينقعوا في القيدِ كلَّ فمٍ   أبـى يسـاومُ في حـقٍّ ومعْتَقَـدِ
مَشى الطريقَ ولم يرهَبْ وُعورَتها   وليس غير أيادي الشّعبِ من سَندِ
أمامَـهُ كـلُّ مـن لم يُلـقِ رايتـهُ   وخلفـهُ كـلُّ منهـارٍ ومرتعـدِ
هـو الكفـاحُ فخطّـي يـا مطارقَـهُ   بقيـدِ مضْـطَهِدٌ تـاريخَ مضْـطَهَدِ
إن يمنعوا نَشْرَهُ فلتطبعيهِ على   نـور الـدماءِ وفي حقـدٍ وفي جلـدِ
وعندَ أسماء من عاشوا الكفاحَ وهمْ   مطـاردونَ بـلا أسمـاءَ فاتئـدي
وقبِّلي أحرفاً قد رسّخَتْ قدماً   للشعبِ كالجذرِ كالشريانِ في الجسدِ
خطّتْ تقاليدَ شعبٍ عاشَ مجرمهُ   رغمَ المشانِقِ والإرهابِ في سهدِ
محاصرٌ بالدمِ المسفوحِ قد زَحفتْ   سيولهُ فتطلّعْ ليسَ من مدَدِ
هي الحقيقةُ يا أمّاهُ تُدفِئُنا   بغيرها القلبُ لم يَدفأ ويتّقِدِ

لنْ يخدعَ الشعبَ من لو فُتِّشتْ يدهُ سوى مفاتيح سجنِ الشعبِ لم تجدِ
أُمّاهُ إن عادَ أبطالُ الكفاحِ على موجِ الكفاحِ الذي يعلو ولم نعدِ
ويسألُ الشارعُ الولهانُ: أينَ مضوا ما بينَ مُختَطَفٍ ليلاً ومُفْتَقَدِ
أُمّاهُ مهما احتواني القيدُ منفرداً فإنني بنضالي غير منفردِ
إنْ كانَ قلبيَ خفّاقاً إلى أمدٍ قلبُ الجماهيرُ خفّاقٌ بلا أمدِ
برايةِ الشعبِ يكسوكِ الرفاقُ إذا عَريتِ فامشي بثوبٍ بالدماءِ نَدي
وإنْ يعضَّكِ نابُ الجوعِ مفترساً فقد عجنّا رَغيفاً من ضياءِ غدِ
منْ لمْ تودِّعْ بنيها بابتسامتها إلى الزنازينِ لم تَحبَلْ ولم تَلِدِ

الأشجَارُ تمُوت وَاقِفَة

الكراسة الأولى

كإلهٍ من غيرِ يدينْ
تَتْبَعُني يا وطني وغُرابُ البينْ
يعرجُ قُدّامي ويصيحُ إلى أينْ؟
يا طالبَ رأسِ القيصرِ،
يا حافيَ القدمينْ
مَنْ يَشربُ من كأسيَ مَنْ؟
النهرُ الواقفُ كالشجرةِ، لا يتبعُ نجمينْ
السيفُ انكسرَ وما ضاجعَ غِمدينْ
مُتْ بينَ الجبلينْ
لم تُشعلْ نارينِ، ولم تَسلُكْ دربينْ
لم تَطرُقْ بابينْ
طائِرُكَ الميِّتُ في كفِّكَ
ما غَرَسَ المنقارَ بكفّينْ
فإلى أينَ إلى أينَ
إلى أينْ
يا طالبَ رأسِ القيصرِ
يا حافيَ القدمينْ!

ثلاث كؤوس لأهل الكهف

(١)

الكأسُ الأولى آهْ

سَقَطَ الأسدُ وجرَّ النخّاسُ الأشبالْ

والمخلبُ كالزهرةِ، والنابُ كعودِ الريحانْ

يا مَنْ يُرسلُ في اللّيلِ الموّالْ

الكرملُ ما زالَ بعيداً،

والخِنجَرُ في ظهرِ القمرِ الجوَّالْ

قَلبي انفطرَ على جبلِ النارْ

هُزَّ التينةَ، هُزَّ الزيتونَةَ،

لا تقربْ شَجَرَ البارودْ

قَرأوا حتى ابيضّتْ أعينُهُمْ،

وانسَكَبَ مع اللّيلِ الموّالْ

كَبُرَتْ في القفصِ الأشبالْ

والغابةُ تحتَ بساط الشاهْ

الكأس الأولى آهْ

(٢)

والكأسُ الثانيةُ المنقوشةُ

فيِ لوحِ الكرمةِ آه
سرَقوا مِصباحَ علاءِ الدينِ
وأصبحَ عبدَ الأشرارْ
يا ولدي الجنيَّ الطيّبَ
وصديقَ الفقراءْ
اغرسْ نايَكَ فيِ قلبي
فالآهُ على الجُرحِ دواءْ
واحملْ مجدافَكَ واتبعني،
ما قُدِّرَ كانْ
يافا ترحلُ، قد هربَ،
بمفتاحِ البحرِ الربّانْ
آهِ منَ قلبِ البحرِ
ومن قلبي آهْ

(٣)

والكأسُ الثالثةُ المشؤومةُ
آه
قد أقبلَ آذارْ
واستيقظَ أهلُ الكهفِ
وأرخى أذنيهِ الطبلُ
وفتّحَ عينيهِ المزمارْ
الشارعُ فيِ قدميهِ الأغلالْ

يمشي يا وَلَدي ألفُ شعارْ
يرجُمُهُ التاجرُ واللّصُّ
وعمرُ المختارْ
مَشنوقاً يتدلّى،
قارورةَ طيب،
يَكسرُ في قدميهِ الأشرارْ

العندليب في البئر

للثعابينِ جحورٌ، للعصافيرِ فَنَنْ
أو للميتِ كفنْ
ولكلّ الناس في الأرضِ وطنْ
ذلكَ الوشمُ على صَدركِ
يا حُبلى لمنْ؟
أرضعي للوائدِ الأنثى
وللسبي الذكَرْ
وضعوا الفأسَ على أصلِ الشجرْ
فمتى تنطقُ يا بوقَ الحَجَرْ؟
أنتَ يا رمحَ الخشبْ
أبداً تنبحُ في وجهيَ يا رمحَ الخشبْ
سَقَطَ الفارسُ في السركِ
وأعياهُ التعبْ
أكلَ الضبعُ على الدرعِ طويلاً وشربْ
إيهِ يا قافلةَ السبي،
لقد طالَ السّفَرْ
سَقَطَ الظلُّ على الظلِّ

وضيّعتُ الأثرْ

ودليلي قتلتهُ الريحُ

ألقتهُ على البئرِ حجرْ

سألوني كيفَ فيِ السبي

أغنّي ولمنْ؟

أوِ علّقْتها على ذاكَ الوترْ

سمكاتِ الساحرِ الأسودِ

في ضوءِ القمرْ

لم يَزلْ يوسفُ فيِ البئرِ وَمَنْ

أوِ قد ألقى لهُ الحبلَ هَلَكْ

مُدَّ ألوانكَ يا قوسَ قُزَحْ

مُدَّ ألوانك فالحبلُ انقطعْ

يافا في بطن الحوت

النّسرُ من تابوتهِ الحجريّ
بالمصباحِ طارْ
بجناحِهِ شقَّ الجدارْ
سمٌّ ولؤلؤةٌ بكأسكَ،
أيها الأعمى حَذارْ...
ودمٌ ومعجزةٌ بلا قمرٍ
تسيرُ بلا حجابْ
قمصانُ عثمانَ التي بليتْ على الأيدي،
وَمُصْحَفُهُ المخضَّبُ بالدماءْ
في كلّ ساريةٍ قميصٌ خافقٌ
وفمٌ على بوقٍ مُعارْ
يافا ببطنِ الحوتِ ما زالتْ
يجوبُ بها البحارْ
الحوتُ تاهْ
من ذا يدلُّ الحوتَ يا طفلي
ويطويهِ العبابْ؟
من ذا يعلّقُ في رِقابْ
هذي الذئابِ السّودِ
أجراساً،
ويطمعُ في الإيابْ؟

غصن ليمون

إلى إسماعيل شموط

العينُ المخلبُ في الغابْ
تبحثُ عن صيدٍ والحدأهْ
شاختْ، راحتْ تتوكأ فوقَ جناحيها
نَخَرَ السوسُ المنقارْ
يا مَن يسكبُ في الكأسِ
خَريرَ الألوانْ
الشمسُ اللبؤةُ قد شَهِقَتْ فحذارْ
من نرجسِ عَينيها، من سُررِ الزنبقِ،
من بَرقِ اللّونِ القتّالْ
يا غصنَ الليمونِ الجوَّالْ
دارتْ كالطاحونِ،
على الأجنحةِ الأيامْ
وانتحبَ البلبلُ،
فتَّحَ عينيهِ، الطفلُ الميّتُ
في البستانْ
رَقَدَ على تابوتِ الثلجِ البركانْ
بَصَقَ على وجهِ القمرِ الثعبانْ

أنتنَ فوقَ الجبلِ القربانْ

سَكَتَ العودْ

واحترقَ العنقودْ

أجراس ورودْ

يَقرعُها طفلٌ قد عَصبوا عينيه،

أجراسَ ورودْ

واللّدُّ على ظهركَ،

والنارُ بساطٌ ممدودْ

وجرادٌ قد حَطَّ على حقلِ جليدْ

والريشةُ عَطشى،

قد بَسَطَ جَنَاحَيهِ التنّينْ

فوقَ الينبوعِ المختومْ

جواز سفر فلسطيني

للسائحِ العجوزِ، للطاووسِ،
للمهرّبِ السعيدْ
نوافذُ القطارِ، صولجانُ البحرِ
ريشةُ العنقاءِ للأميرْ
شُبَّاكُ هذي الأرضِ، بابُها،
بطاقةُ المرورْ
يا هذهِ الأخشابُ سُنِّدتْ
يا هذهِ الحدودْ
طرقتُ بابَ من أحبُّ،
ردّني ناطورُ بيتهِ الشرّيرْ
وقد أتيتُ حاملاً متراسي الصغيرْ
أكلتُ ما في جُعبتي،
شربتُ ما في قِربتي
ولم أزلْ أسيرْ
جواديَ الوحيدُ قد نَحَرْتُهُ،
أكلتهُ مع الوحوشِ والصقورْ
حتى السرابُ، لا يؤمّلُ العطشانَ

لا يلوحْ
والريح سِرُّهَا في صَدرها،
فلا تبوحْ
والنبعُ تحتَ هذه الصخورِ،
من يزحزحُ الصخورْ
وكل ما اشتهيتُ في مخالبِ السباعِ
في مخالبِ النسورْ
أتممتُ ألفَ دورةٍ، ولم أزلْ أدورْ
وهذه الوحوشُ حولَ خَيمتي تدورْ
متى أراكِ، إنني أموتْ،
أموتُ في مغارةِ الضباعِ
في خيوطِ عنكبوتْ
أموتُ لا يمرُّ نَعشي الصغيرْ
تحتَ قوسكَ الكبيرْ

أرخصُ من مياهِ ذلكَ المستنقعِ النتنْ
أرخصُ من زجاجةٍ من العَرَقْ
دماؤُنا،
أرخصُ من منديلِ مومسٍ،
من قطعةِ الصابونِ،
لحمُنا،
من كِسرةٍ من الحطبْ
أرخصُ من لجامِ بغلةٍ،
شريانُنَا،
أذلُّ من وتَدْ
بَيَرقُنَا، يا ناظمَ القصائدِ العجبْ
يا راجمَ الخُطَبْ
فيٍ وَجهنا، يا آكلَ اللّهبْ
تعال واصطحبْ
سلطانةَ الغناءِ والطربْ
فقبرُ مَنْ تُحبُّ مرَّتينِ يحفرونَ،
قبر مَنْ تُحِبْ

ناري بلا لهبْ

ونجمتي بلا ذنَبْ

وحدوةُ الحصانِ كلُّ ما كَنَزْتُ،

لا تغبْ

يا أيها العصفورُ في السُّحُبْ

ما زلتُ فوقَ نعشكَ الملعونِ أنتحبْ

وكيفَ هذهِ الإوزَّةُ الخشبْ

تُعطي لمنْ ينوحُ،

بيضةً مِنَ الذَّهبْ؟

القمر بعد ثمانية عشر عاما

هنا توقّفَ الأثرْ
هنا القمَرْ
خَلفَ الصخورِ والخيامِ والشّجرْ
يضاجِعُ الذئابَ والكلابَ والحجرْ
هُنا القَمرْ
يبيعُ وجههُ، في كلّ ليلةٍ،
بخنجرٍ، بشمعةٍ، بخصلةٍ من المطرْ
لا تُلقِ في نيرانهم حجرْ
لا تَسْرِقِ الخواتمَ الزُّجاجَ،
من أصابعِ الغجَرْ
ناموا، ونامتِ الأسماكُ والنجومُ والشجرْ
هنا توقّفَ الأثرْ
هنا المخاضُ جاءَ للقمرْ
فلتعطهِ خواتمَ الزّجاجِ،
والأساورَ الزرقاءَ،
يا قبيلةَ الغجَرْ

المومس وزهرة عباد الشمس

تلكَ المومسُ ذائعةُ الصيتْ
من كنتَ تحبُّ،
وما زلتَ تحبْ،
خَاتَمها في غصنِ الزيتونةِ،
خَاتمُها في القلبْ
سقطتْ زهرةُ عَبّاد الشمسْ
طَفحتْ يا وطني الكأسْ،
باسمكَ قد سدّوا الدربْ
وانطلقَ من القفصِ الذئبْ
باسمكَ تلكَ المومسُ،
ترقصُ بقناعِ الرَّبْ
باسمكَ يتدحرجُ
رأسُ الرَّبْ

ثلاثة رابعهم كلبهم

... وجاءَ عَاوياً مِن الذئابِ
أعورُ الذئابْ
ألثعلبُ المقطوعُ ذَيْلُهُ
وآكلُ الديدانِ والذُّبابْ
وتاجرُ الأجراسِ والضَّبابْ
دعوتَهم إلى كتابِ اللهِ والكفاحْ
فمشّطوا اللّحى وأقبلوا،
أعلامُهم، على أسنّةِ الرماحْ
أيديهُمُ على مَقابضِ السيوفْ
أيديهمُ التي عَرَفْتَها،
برأسِ كلِّ ثائرٍ تطوفْ
الماءُ في فمي: لكنّما الكلامْ
إن لم تَقلهُ مثلُ عَضَّةِ الثعبانِ،
يَقتلُ الكَلامْ
قد شَمّرتْ عن ساقها،
يا فارسي الأيامْ
ثلاثةٌ، وكلبُهم مَضوا،

والآخرونَ سرَّجوا الخيولْ

ماذا أقولُ للذينَ يسألونْ؟

الماءُ فيِ فمي لكنّما فيِ الجرحِ،

لا تبيضُ هذه السكّينْ

مصباح علاء الدين إلى صهباء

أُعطيكِ طيرَ الرخِّ، يا حبيبتي،
أعطيكِ خاتمَ الطَلَبْ
أعطيكِ كنزَ المارد المخبوء في السُّحُبْ
وكلَّ ما أعطانيَ العدوُّ والصديقْ
وكلَّ ما جمعتُهُ، من بيضِ هذه الحيَّاتِ،
في الطريقْ
وما التقطتُ من أساورِ الثعالبِ الخضراءِ،
والطيورْ،
لو عادَ من جزيرةِ الغيلانِ،
ذلكَ المحاربُ الصغيرْ...
لكنَّ طيرَ الرُّخِّ طارَ،
ريشةً لم يُعطني،
وهاجرتْ بكنزها السُّحُبْ
واسترجَعَ الجنّيُّ خاتمَ الطلبْ...
ما زلتُ أنتظرْ
فلتعطِ صخرةُ العذابِ،
كلَّ ما في قَلبها من الزَّهَرْ

ولتعطِ هذهِ الأشواكُ،

آخَرَ الثمرْ...

ما زالَ في العُنقودِ حبَّةٌ،

وفي السّحابِ،

قطرةٌ منَ المَطَرْ،

ما زالَ في المصباحِ،

شهقةٌ من الزبدْ...

مَنْ قالَ طيرُ الرخّ عاقرٌ

وهذهِ الأمواجُ لنْ تَلِدْ؟

الكراسة الثانية

من أوراق أبي ذر الغفاري

(١)

وسارَ وحدهُ وماتَ وحدَهُ وعادْ،
يصيحُ متُّ لم تزلْ،
بقيّةٌ منَ الكلامِ في فَمي
نُفيتُ مرَّتينْ، مرَّةً هُنا،
ومرَّةً هُناكَ في الحديقةِ المُعلَّقهْ
بَلوتُ صُحبةَ الملائكهْ
بَلوتُها، سَئِمْتُها،
ضَجِرتُ من وِلْدَانها المخلَّدينَ، حورِها المزوَّقَهْ
وخَمرِها المُعتَّقهْ
وعدتُ يا معاويهْ
أُلقي بشعرةِ الذئاب،
في مغازلِ العناكبِ المشرَّدهْ

(٢)

السيفُ ليسَ مِثلما تُصوِرونَ والكتابْ
يا أيها الذئابْ،
قسمتُمُ الأسلابْ

فللمهاجرينَ حفنةٌ من الزقّومِ،

جرعةٌ من الغِسلينِ للأنصارْ،

بلالُ لم يزلْ مؤذّناً

في ثُقبِ إبرةٍ، بلالْ

ولم يزلْ عثمانْ،

يداهُ تُقْطِعانِ أرضَ الله،

وهو خاشعٌ يرتِّلُ القرآنْ

(٣)

لِمنْ ثمارُ هذهِ السيوفْ

قاتلتُ في البحارِ والقفارْ

وساقتِ الرَياحُ والرّماحُ للخليفةِ القعيدِ

ألفَ مركبٍ وهودجٍ من الذهبْ

وصارَ للولاةِ، ألف قينةٍ،

وألف قصرْ،

وألف بئرِ خمرْ

وألف فمْ...

(٤)

في كلِّ ليلةٍ يدقُّ بابيَ السيّافْ

كيسُ النُضارِ في يمينهِ،

والنطعُ في يسراهْ

يقولُ لي أثقلتَ بالكلامِ،

كفّةَ الميزانْ

يقولُ كانِزُ الدماءِ في العروقْ

معانقُ الخُيولِ في نهايةِ الطريقْ

يا صاحبي حَذارْ

من سقطةِ اللّسانْ

فَبغلةُ الأَميرِ خَلْفَ هذه الجدرانِ

تسمعُ الكلامْ

أميرُنا حِبالهُ طويلةٌ،

وسيفُهُ قصيرْ...

(٥)

مَنْ سَوفَ يُعطي غِمدهُ،

للسيفِ كي يموتْ؟

مَنْ سوفَ يُعطي جِلدهُ

مَنْ هذهِ الحيّاتِ لي كفنْ؟

مَنْ سوفَ يكسُو الريحَ في القفارْ

ثوبَهُ الوحيدْ؟

لو تَهتدي إليَّ أيها الصديقْ

والذئبُ في الظلامِ نجمةٌ

تُنوِّر الطريقْ

لو تهتدي إليَّ أيها الصديقْ!

وَشيتَ بي، قَتلتني،
وكنتَ شاهداً عليَّ في بلاطِ دبشليمْ
وكنتَ صاحبي القديمْ
سقطتُ من مخالبِ العنقاءِ،
يا حوريّةَ الجحيمْ
سَقطتُ في سريركِ الصغيرْ
والخمرُ في جرارِ بَيْدَبا،
والجمرُ في حَواصِلِ الطيورْ
قُتلتُ حينما علّمتُكَ الكلامْ
يا سارقَ الأحذيةِ الحمراءِ،
من أعناقِ هذه الأصنامْ
قُتلتُ حينَ قُلتُ للأسدْ
تموتُ أيها الملكْ
تموتُ حينَ تسقطُ اليمامةُ الزرقاءُ
في الشركْ
تملأُ عينك النِّمالُ، يُغمَدُ الوتدْ
تُسحَبُ بالحبالِ، يغلِقونَ

بابَ ذلكَ العرينِ بالحجرْ

تَغرسُ في أحشائِها،

أغصانَها وتَنتحرْ

تموتُ بعدكَ الشّجَرْ

مَعْذرةً مولايَ إنّنا بشرْ

ننوحُ كالحمامِ، نلبسُ السوادَ،

ثم يَطلعُ القمَرْ

ويملأُ الزئيرُ مِنْ جَديدٍ قَلبَنا،

ويسقطُ المطرْ...

أغنية على النطع

مُنذُ ألقيتُ على طاووسِكَ الأعرجِ
حِبري،
مُنذُ لمْ أكتُبْ،
بماءِ الوَردِ شِعْري،
لجوارِيكَ، ولمْ ألهَثْ،
بأوزانيَ من قصرٍ لقصرِ
وعُراةُ الأرضِ أَلْقوا،
ظِلَّهُمْ، خَيطاً بِنَولي
وأنا واللّيلُ والصقرُ الذي يتبعُ نجمي،
وذئابٌ تمضغُ الثّلجَ،
وصيّادٌ يُغنّي
زنبقٌ طارَ معَ الريحِ،
وللقسطَلِ فيروزٌ تُغنّي،
لمْ يبعْ جبهَتَهُ الشاعرُ،
يا فيروزُ غَنّي
للعصافيرِ التي ماتتْ على شبّاكِ سِجْني
للعناقيدِ التي تحلمُ،

أنْ تملأَ دَنّي،

وأنا والليلُ والصقرُ الذي يتبعُ نجمي

ونَديمي السّيفُ،

نِطعي تحتَ رأسي

إكليل نار

إلى عمّار بن ياسر

شجرُ الزَّقّومِ قدْ أخصبَ،
لمْ يسقطْ مَطَرْ
وَلدتْ أصنامُكَ السّودُ حجرْ
وأباً صارَ هُبلْ
خَبّأ اللّيلُ القمَرْ..
فالقرابينُ طيورٌ وشجَرْ
ونجومٌ وبشرْ
فكُلي عينيكِ يا أمَّ هُبلْ
خَبّأ اللّيلُ القمرْ...
وتَعالَيْ نارَ عمَّارٍ،
فقد دَقَّ لكِ الطّبلَ الحطبْ
وَكُليهِ وهوَ في أقماطهِ،
هذا الحجرْ
قبلَ أنْ يحبو، وأنْ ينمو،
وأنْ يغدو صَنَمْ...

الحجاج والفيلسوف الأخرس

... وأرَى رؤوساً أيْنَعَتْ، وأرى القِطافْ،
وأرى الدِّماءْ،
بينَ العمائِمِ واللِّحى، تَبَّتْ يداكْ
بغدادُ أسْكَرَها النُّواحْ
وعلى الضفافِ الخُضْرِ،
تَغتَسِلُ الضِّباعُ وشهرزادْ
أُخرى مزيَّفةٌ وألفُ حكايةٍ
شَوهاءَ في نجمِ النهارْ،
وعلى الجماجِمِ في ملابسِ شهريارْ،
الفيلسوفُ الأخرسُ المجذومُ يُقعِي،
وهْوَ يُصغِي،
كيفَ قَدْ فقأوا عيونَ السندَبادْ
وتصيحُ عاهرةٌ، تُسمّي نفسَها
قمر الزَّمانْ،
مبحوحة الثديينِ، كمْ صاحا،
بنافذةٍ، لماخورٍ وحانْ،
– مولايَ قَدْ طُويَ الشِّراعْ

هُوذا قميصُ السندَبادِ،

عليهِ أختامُ البحارْ

والفيلسوفُ الأخرسُ المجذومُ،

مِنْ عينيهِ يبصقُ والهتافْ،

يَعلو، وفوقَ الضِفَّةِ الخضراءِ،

تضحكُ، من مخالبها الضِّباعْ

بغدادُ أسكَرَها النُّواحْ

وحمامةٌ ناحتْ ببابِ الطاقِ،

تنتظرُ الصَّباحْ

البطل في الساعة الخامسة والعشرين

المَلْكُ ماتْ،

ألفُ فارسٍ طَلا الغبارُ وجهَهُ؟

وفرَّ منهُ سيفُهُ،

أتى يقولْ

بأنّهُ رآهُ، سيفُهُ في كفِّه،

يموتْ

خمسونَ طعنةً، سبعونَ

ألفَ طعنةٍ في صدرِهِ ومن يكذّبُ السيوفْ

وذلكَ المجنونُ يقرعُ الأسوارَ،

كاشفاً عن صدرِهِ،

يصيحُ أنهُ الملكْ

وكاذبونَ ألفَ مرَّةٍ، فما هَلَكْ

وأنّهُ قدْ باعَ نعلَهُ وتاجَهُ وعادْ

كذّابةٌ قصائدُ الرثاءِ،

أدمعُ الأجراسِ،

شهقةُ الإزميلِ في الحجرْ

الملكُ ماتَ تحتَ خيمةِ الراياتْ،

قبرهُ هناكْ،

تِمثالَهُ، يفرُّ من نَحّاتهِ، سجانِهِ،

من ساحةِ المدينهْ

في كلِّ عامٍ حينما تدقُّ،

تلكَ الساعةُ اللّعينهْ

وكمْ رأوهُ والدماءُ، من جراحِهِ تسيلْ

يدقُّ بابَ القصرِ،

جرعة من النبيذِ للقتيلْ...

وكمْ رأَوهُ يُطعِمُ التمساحَ،

في بحيرةِ الورودْ

ويَفتَحُ الأقفاصَ للأسودِ

وذلكَ المجنونُ دائمُ الصياحْ

إنّهُ الملكْ...

وتقفزُ السيوفُ كالأسماكِ، كاذبٌ

عدوّنا على أسوارِنا رماهْ...

الملكُ ماتَ ملءَ درعِهِ،

ولمْ يَبعْ جوادَهُ وسيفَهُ الذهبْ،

إنْ لمْ يمُتْ، لا بدَّ أن يموتْ،

فليرْمِهِ أحَبُكمْ إليهِ بالسّهامْ

ولتَنحروا، قصائدَ الرثاءِ كلَّ عامْ

البهلوان

فيِ قِربةٍ مقطوعةٍ نَفَخوا،
وأدراج الرياحْ،
ذَهَبَ الصياحْ،
طارَ القناعُ وظلَّ وجهُكَ،
عارياً فيِ الكرْنَفالْ،
فيِ الجعبةِ الصفراءِ،
ما زالتْ سِهامْ،
طارَ الحَمامْ،
حَطَّ الحَمامْ،
والبَهلوانْ
قدْ تَعْتَعَتْهُ الخمرُ، فانزلقَ اللّسانُ
على الحبالْ،
ما لا يُقالْ،
قَدْ قالَ لا تُلصِقْ،
على الوجهِ الذي ماتَ اللّثامْ
الطبلُ لا توقظهُ، نامْ

الهودج والكلاب

ما فاتَ فاتْ
ما للجرادِ، وللعناكبِ ذكرياتْ
طُويَ الكتابْ،
ملكُ الرمادِ، يعودُ من غَزَواتِهِ
ملكُ الرمادْ
من أرضِ واقِ الواقْ،
تَصهلُ حولَ هودجِهِ الكلابْ
صرخوا، وقدْ سرقوا القُطوفَ لهُ،
وغشُّوا الخمرَ، وابتلعوا الدفوفْ
صقرُ المنابرِ، ناطحُ الكلماتِ،
أبرعُ من مشى فوقَ السيوفْ
الثلجُ ذابْ
لِمَ هذهِ الأبواقُ تَسْتلقي
على الأسوارِ، يملأها الذبابْ
شدّوا السروجَ على الكلابْ!
الآنَ وقتُ الشدِّ يا ملكَ الرمادْ،
صاحوا، وقدْ حزموا حناجِرَهمْ،
وفوقَ رؤوسِهِمْ،
صهَلَ الغُرابْ!

الكراسة الثالثة

بطاقة معايدة إلى بوشكين

لو عشتَ في بلاطِ عَصرِنا،
في هذه الأيامْ
حيثُ الأرانبُ العرجاءُ،
تركبُ الأفيالْ
وترتمي العنقاءُ في قفصْ
وتكتبُ الأسماكُ والحيّاتُ،
أجملَ الأشعارِ والقصصْ
لو عشتَ في بلاطِ عَصرنا،
لجاءَ أصلعُ الجناحِ، من بطانةِ الأميرْ،
مبارزاً،
وأشهرتْ في وَجهكَ السلاحفُ الرماحْ
فالشعرُ في المخلاةِ والنجومُ،
في مذاودِ البقرْ...
فما الذي تقولُ
زَهرةُ البركانِ للحجرْ؟

القصيدة والخنجر

مَنْ يشتري جناحَ بجْعةٍ،
صليبَ شاعرٍ،
مَنْ يشتري الإكليلْ؟
مَنْ يشتري بضفدعٍ خرساءَ،
هذه الطبولْ؟
مَنْ يشتري بريشةٍ راياتِكُمْ،
أيديكُمُ،
أينَ الذي يقولْ؟
ونجمهُ يظلْ فوقَ رأسه،
أينَ الذي يقولْ؟
كذّابةٌ أجراسُكُمْ،
كذّابةٌ سنابكُ الخيولْ!

الشاعر والعرّاف

... وانكسرتْ في كفّيَ عينُ العرّافْ

قالَ أخافْ،

الليلُ قصيرٌ، لكنَّ الشمعةَ،

قد غُرِسَتْ، في أُذنِ السيّافْ

تقتُلُني كفُّكَ خُذ عيني وارحلْ

فسفينةُ نوحْ

توشكُ أن تُقلِعَ،

واترُكني للنّارِ المختبئه في الريحْ

الليلةَ يخرجُ من قمقمهِ الثّعبانْ

والسّمَكةُ تُلقي خاتمها،

ويثورُ البركانْ

الليلةَ يتدحرجُ،

رأسُ السلطانْ؟

الشعر وخصيان السلاطين

يا أبا الطيّبِ خصيانُ السلاطينِ،
وغلمانُ القياصرْ،
كلُّ ذي قرطٍ وخِلخالٍ،
وعقدٍ وأساورْ
كلُّ مَنْ قَدْ شدَّهُ النخَّاسُ
من وحلِ الضفائرْ
كلُّ مَنْ لطّخَ بالحبرِ الأظافرْ
كلُّ مَنْ لم يعرفِ الخيلَ ولا اللّيلَ،
وبيداءَ المخاطرْ
والقوافي وهيَ كالبيضِ البواترْ
جاءنا يركبُ صهوات القصائدْ
أينَ أخفيتَ – أخا القصرِ – النياشينَ،
وخَبّأتَ القلائدْ؟
يا أبا الطيّبِ قُمْ صَحِّ النواطيرَ،
وقُمْ صحِّ القياثرْ
دقّتِ الأجراسَ للصيّدِ
ثعابينُ المحابرْ

بشمَتْ من لحمِنا،

هذي الثعالبْ

صارَ درعُ الفارسِ المقتولِ،

بيتاً للثعالبْ،

آه يا سيفَ المُحاربْ!

تحت وسادة شاعر ميت

غرسَ الشاعرُ ريشَتَهُ في محبرةِ السلطانْ
الريشَةُ قَدْ ذَبُلتْ،
والشاعرُ قدْ ماتْ،
دينارُ نحاسٍ، تحتَ وسادتهِ،
وكتابْ
أكلُ يا مولايَ لساني،
تهجُرُني قافيةُ الهمزةِ والراءْ
أحلفُ بكلابِ الصيدِ،
على بابكَ والشعراءْ،
كالخيلِ مسرَّجةٌ بقوافيها،
مُلجَمَةٌ بالأوزانْ
ما قلتُ بأنّكَ في مجلسِ أنسِكَ
ترقصُ عُريانْ
تشربُ في نعلِ الجاريةِ،
وتُلقي التاجَ على رأسِ مُهرِّجكَ السكرانْ
تسقطُ في مخلاةِ جوادكَ عينايْ
إنْ كنتُ هجوتُ،
مغنِّيكَ الأعورَ مولايْ

مقامة إلى بديع الزمان

حَدَّثني وَرَّاقٌ في الكوفةِ،
عَنْ خمَّارٍ
في البصرة، عَن قاضٍ في بَغدانْ،
عن سائسِ خيلِ السلطانْ
عن جاريةٍ، عن أحدِ الخصيانْ
عَنْ قمرِ الدَّولةِ، حدَّثني قالْ:
كُنَّا في مجلسِ مولانا،
في شمسِ الرابعِ من رمضانْ
مولانا أنطقَهُ اللهُ فصاحْ
مَنْ يُقْعي خلفَ الأبوابِ،
مِنَ الفقهاءِ، من الشُّرَّاحْ
– مولانا في بابكَ عبدُكَ وأواءُ النطَّاحْ
وهنالكَ عبدُكَ، خُفَّاشُ بنُ غُرابْ
والشيخُ الواثقُ باللهِ، ابن مَضيقْ
صاحبُ ألفِ طريقٍ وطريقْ
تسلكهُ الزنديقةُ والزنديقْ
مولانا عَطَسَ ثلاثاً يرحمهُ اللهُ،
وانتصبتْ أُذُناهُ،

– إليَّ بوأواءِ النطّاحْ...
وانزلقَ الشيخُ من البابِ،
وبَرَكَ أمامَ السلطانْ
مولانا كفّاً في كفٍّ ضَرَبَ،
وهَمْهَمَ يا وأواءْ...
أقسمتُ ثلاثاً للجاريةِ الروميةِ وطْفاءْ
أنْ أطرقَ مخدعَها،
ضلّتْ قدمي، واختلطتْ في عينيَّ الأبوابْ
وصحوتُ معَ الديكِ، فإذْ بي،
أتمدَّدُ في ذَنَبي،
في حُجرةِ أحدِ الغلمانْ
وتَنَحْنَحَ، بَسْمَلَ، حَوْقَلَ،
وَأواءُ النطّاحِ وصاحْ:
ليسَ على مولانا السلطانِ جُنَاحْ
فالقسمةُ غلبتْ، والعبرةُ في النيّةِ،
لا أينَ تسيرُ القَدَمانْ...
وسواء، في المخدعِ إنسٌ أو جانْ
والذّنب على الجاريةِ،
فَلَوْ وَضَعتْ في بابِ المخدعِ مصباحْ
ما ضلّتْ قدما مولانا،
واللهُ تعالى أعلمُ والسلطانْ...
وخازنُ بيتِ المالْ

القمر ذو الوجوه السبعة

(١)

عُصفورهُ يموتُ تحت كلّ قُبَّعهْ

جَوادهُ يرعى الغبارَ،

بعدَ كلِّ موقِعهْ

يبيعُ كلَّما يجوعُ

جُرحَهُ وأدمُعَهْ

يبيعُ كلَّ ما في السوقِ،

خاتماً، قصيدةً، فراشةً وأقنعَهْ

يبيعُ نجمةً، يبيعُ زوبعهْ

يبيعُ قلبَهُ،

يبيعُ أضلُعَهْ

(٢)

تموتُ في الخريفِ مرَّةً

وفي الرَّبيعِ مرَّتينْ

يستيقظُ الشتاءُ في غصونِها

ويأكلُ اليدينْ

رأيتُهُ في كربَلاءَ،

تحتَ رايةِ الحسينْ
صهيلُ سيفهُ معَ الحسينْ
وفوقَ سيفِهِ قصيدةٌ منقوشةٌ
في مدحِ قاتلِ الحسينْ

(٣)

غَزَلْتَ للعناكبِ العمياءِ
ما غَزَلْتْ
كتبتَ ما كتبتْ
وعُدتَ ترجمُ القصائدَ التي كَتبتْ
فأينَ أنتَ أينَ أنتْ؟
نَظرتَ للنجومِ فاحترقتْ
اطعمتَ شمعةً لضفدعٍ، أصبتْ
قصيدةُ الإيوانِ أصبحتْ،
من ألفِ بيتْ
الوزنُ يُطربُ الحمارْ،
يُنسي الذئبَ رأسَهُ،
أجدتْ
غداً تصيدُ الحوتَ في مضيقِ بحركَ الطويلْ
لتَملأوا شِباكَ هذا الشاعرِ الأصيلْ
بقطةٍ ميِّتةٍ، مفتوحةِ العيونْ
بعُلَبِ التّبْغِ وبالسّردينْ

١٩٦٦

(١)

الصمتُ موتْ

قُلها ومُتْ

فالقولُ ليسَ ما يقولهُ السلطانُ والأميرْ

وليسَ تلكَ الضحكةَ التي يبيعها المهرّجُ الكبيرُ

للمهرّجِ الصغيرْ

فأنتَ إنْ نطقتَ متْ

وأنتَ إنْ سكتَّ مُتْ

قُلها ومُتْ

(٢)

حَذارِ أنْ تفُضَّ ختمَها

حَذارِ أنْ يرى البحّارةُ المهاجرونَ

وشْمَها

سيرقصونَ حتى يسقطَ الشراعُ

فوقَ نجمِها

حوريّةُ البحارِ فوقَ صخرةٍ

وخَنجرٌ في صدرِها

قصيدةُ الربّانِ في زجاجةٍ،
قد ماتَ قبلَ أنْ يُتِمَّها
حَذارِ أنْ تتمَّها

(٣)

كتبتَ عن طيورِنا المهاجرهْ
وقلتَ ليسَ للرياحِ ذاكرهْ
كتبتَ عنْ أشجارِنا التي تموتُ
وهي واقفهْ
هذا الشتاءُ دقّتِ الأجراسُ،
لَمْ تُزَغْرِدْ عاصفهْ
هذا الشتاءُ ضاجَعَ المخصيُّ بغلةَ السلطانِ،
لَمْ تضاجعِ الأشجارُ صاعقهْ
ولَمْ تمُتْ على سريرِ من تُحبُّ عاشِقَهْ

(٤)

الشاعرُ الذي وَصَفْتَهُ قدْ مرَّ من هُنا
وفوقَ رأسِهِ سحابةٌ من الجرادْ
الشاعرُ الذي قدْ كانَ بينَنا،
ولمْ يكُنْ
وربُّما يجيئنا في آخرِ الزمنْ
لَوْ كانَ لا يزالُ حبُّهُ لنا
مُطرّزاً على الكَفنْ

فعصرُنا الشجاعُ والجبانْ،

ليسَ عصرَ شاعرٍ وسندبادْ،

أبطالنا وجوهُهمْ،

خلفَ الدروعِ تحتجبْ

نطقتَ حينما الكلامُ كانَ مِنْ خَشَبْ

والصمتُ مِنْ ذهَبْ

لن يمروا...

أحدٌ يمرُّ كذبتَ لا
أحدٌ يمرُّ فلا حدودْ
أنا لنْ أبدِّلَ حبلَ مشنقتي
ولا زردَ الحديدْ
لكنهُ مرَّ الرصاصْ
وخلفهُ مرَّ الجنودْ
طُردوا عن الأرضِ التي
ولِدوا عليها يعرقونْ
وسيعرقونَ وهم بأرضِكَ
يَقتلونَ ويُقتلونْ
أو حينما يتساءلونْ
متى تُراهم يَرجعونْ؟
عصبوا عيونَهمُ فما لمحوا
القنالَ ولا الوحوشْ
كم دُنْشِوايَ على مخالبهم
ممزَّقة تعيشْ
وحفرتَ صوتكَ خندقاً

سدُّوا الطريقَ على الجيوشْ
فلاحنا أشحذتها
هذي الشراشرَ للحصادْ
قد أقبلوا واستبشرَ الملأكُ
خيراً بالجرادْ
وسيذبحونكَ بالشراشرِ
فوقَ أكوام الحصادْ
كذَّابةٌ هذي المدافعُ
لا تصدِّقْ ما تقولْ
لم تحشَ بالزيتونِ أو بالبرتقالِ
أو النخيلْ
بل بالمشانقِ والسلاسلِ
بالسياطِ وبالسيولْ
أنا لستُ أقرأُ كفَّكَ العطشى
لأعرف ما المصيرْ
بصماتُ الاستعمارِ فوقَ وجوهِهِمْ
وعلى الظهورْ...
وعلى بنادقهم عرفتُ بها
الخيانة والمصيرْ
أسْدودُ خندقهُ الأخيرْ
وليس خندقهُ الأخيرْ

قد باعَ غزَّةَ قبلَ أسدود

الأجيرُ إلى الأجيرْ

إن عشتَ تبصرهم وقد حملوا

الرؤوسَ على الظهورْ

وأنا وأنتِ وكيف أجرؤ:

أن أقولْ:

لولاهمُ لفرشتُ بيتكِ

بالزنابقِ يا نهيلْ

ولشبَّ توفيقُ الصغيرُ

ومعْ ريموندا ومع راحيلْ

في الطريق إلى الزنزانة...

هناكَ... هناكَ... بَعيداً بعيدْ...
سيحملُني يا رفيقي ... الجنودْ...
سيلقونَ بي في الظلامِ الرهيب
سيلقون بي في جحيمِ القيودْ
لقد فتشوا غرفتي يا أخي
فما وجدوا غير بعضِ الكتبْ
وأكوامِ عظمٍ همو... إخوتي
يئنونَ ما بينَ أمٍّ... وأبْ
لقد أيقظوهم... بركلاتهمْ
لقد أشعلوا في العيونِ الغضبْ

أنا الآنَ بينَ جنودِ الطغاةِ
أنا الآنَ أُسحبُ للمعتقلْ
وما زالَ وجهُ أبي ماثلاً
أمامي... يسلّحني بالأملْ
وأمّي... وأمّي... أنينٌ طويلْ
ومن حولها إخوتي يصرخونْ
ومن حولهم... بعضُ جيرانِنا

وكلٌّ له... ولدٌ في السجونْ
ولكنَّني رغمَ بطشِ الجنودْ
رفعتُ يداً أثقَلَتْها القيودْ
وصحتُ بهم: إنني عائدٌ
بجيشِ الرفاقِ... بجيشِ الرعودْ
هناكَ أرى عاملاً في الطريقِ
أرى قائدَ الثورةِ المنتصرهْ[1]
يلوِّحُ لي بيدٍ من حديدْ
وأخرى تطايرُ منها الشررْ

أنا الآنَ بينَ مئاتِ الرفاقِ
أشدُّ لقبضاتهم... قَبضَتي
أنا الآنَ أشعرُ أني قويٌّ
وأنّي سأهزمُ... زنزانتي

نعم لنْ نموتَ، نعم سوفَ نحيا
ولو أكلَ القيدُ من عَظْمِنا
ولو مزقتنا سياطُ الطغاةِ
ولو أشعلوا النارَ في جِسمنا
نعم لنْ نموتَ، ولكننا
سنقتلعُ الموتَ من أرضِنا

---

(١) لا يستقيم وزن الشطر إلاّ بوضع "الظافرة" بدلاً من "المنتصره".

اركعْ للورقةْ
أُغْرُسْ قلمكْ
في عينيْ طفلِك، واكتُبْ ما أَمَرَكْ
أن تكتبَ مَن ذَبَحَكْ
بالقلم على عتبةِ بيتكْ
كوِّم أيامكَ قُدَّامَك، أوراقاً واسألْ
لا تخجلْ
جلاّدكَ عن عورِ ثقابْ
اعجنْ من وحلِ دُخانِكَ، ورمادِكَ
صفحاتِ كتابْ
اعجنْ أوراقَكَ وتذكَّرْ
لو كان الميّتُ يتذكَّرْ
أنَّكَ من هذي الكلماتِ تُضَفِّرْ
حبلاً، وتعلّقُ من هذي الأسطرْ
عَضَّ كذئبٍ قلبَ حبيبتكَ
وقدِّمهُ على طبقٍ من ورقٍ أصفرْ
قُصَّ ضفائرها لتضمِّدْ
جُرحَ الضبعِ الأسودْ

الدغْ كالعقربِ عينيها أقدمْ

لا تحجمْ

أقدمْ واقرعْ

كالضفدعْ

أجراسَكَ للمستنقعْ

* * *

وقّعْ وقّعْ

اسمَكَ في ذيلِ الورْقةِ وقّعْ

وقّعْ وتسللْ

كاللّصِ إلى بيتكَ واحذرْ

ظلّكَ أن يقعَ على مصنعْ

فامضغْ ظلَّكَ منديلاً من سُمٍّ واهرعْ

اطرقْ اطرقْ

بابكَ حتى تتمزَّقْ

يَدُكَ فلنْ تسمعْ

خطوةَ من كانت تهواكَ ويخفقْ

ساعِدُها في يدكَ كسيفٍ من ماسٍ

وكبيرَقْ

فالآنَ كعودٍ رمادٍ وكخيطٍ دخانٍ أسودْ

ساعِدُك تبدَّدْ

اقرعْ اقرعْ

لن تسمعَ خطوتَها لنْ تسمعْ
قد نزعت طوقاً من شوكٍ
خاتمكَ من الإصبعْ
المهربُ أينَ المهربْ
لم تُقهرْ أطفالُ لينينَ ولم تُغلبْ
قد كَذَبَ المخلبْ
قد كذبَتْ كلُّ عصيٍّ الجلاّدِ فلم تركعْ
في أبي زَعْبَلْ
أطفالُ لينينَ ولم تهرعْ
تملأ شدقي ذئبِ الفَيُّومِ الأصفرْ
ورقاً من وردٍ أحمرَ قد فَتّحْ
علَماً من وردٍ أحمرَ قد فَتّحْ
يتحدّى سكينَ المذبحْ

* * *

فاغرزْ عينيكَ كنابينِ تَطلّعْ
لو تقوى أن تتطلّعْ
أنا ألمحُ فوقَ الرّملِ الأصفرْ
قضبانَ المزّةِ تتكسّرْ
ودمشقُ بدميةِ "عمّارِ" دمشقَ تلوّحْ
لكُمُ، أطفال القاهرةِ تلوّحْ
فتطلّع ولتتوقّدْ

فيِ عنقكَ جمرةُ جُرحٍ لا يَخمدْ
فتطلّعْ لو تقوى أن تتطلّعْ... أن تتصوَّرْ
قلبَ "فريد" المصلوبِ على قلبيَ نوَّرْ
كرواناً أحمرْ
قلبي كروانٌ أحمرْ
قلبي حنجرةُ الأسوارِ ولن يهدأ يَصدحْ
لن يهدأ شررُ الأغنيةِ يَقدحْ

* * *

القلمُ السكرانُ من السمِّ ترنّحْ
عبثاً يَسندهُ السجّانُ وتَسندهُ الأسطرْ
والذكرى موجةُ شوكٍ تتكسّرْ
فوقَ جفونِكَ وتوْرقْ
حتى الصمت، فلا يهدأ بالقدمِ
العريانةِ يطرقْ
أرضَ الزنزانةِ، والليلُ على
صدركَ بابٌ مغلقْ

* * *

سجّانُكَ أقبلْ
كالحفرةِ كالمعولْ
أينَ ستمضي؟ ألبيتِكَ؟
بيتُكَ فيِ ظَهركَ خنجرْ

ألطفلِكَ؟ طفلُكَ فوقَ صليبِ

الأوراقِ بدميته سُمِّرْ

ستُساقُ إلى الشارعِ فتَعثَّرْ

في ظلِّ السجّانِ تَعثرْ

أينَ ستمضي والريحُ تُطَيِّرْ

خطواتكَ أسطرَ ورقهْ

قصائد على زجاج النوافذ

ثلج... ثلج... ثلج

ثلجْ...
ثلجْ...
ثلجْ...
أُسقطْ
أُسقطْ
أُسقطْ كالتّهمِ البيضاءْ
أُسقطْ كالتُّهمِ السوداءْ
كُنْ إنِ شئتَ زُجاجاً
أوْ إنْ شئتَ جليدْ
ستذوبْ...
لَنْ تصبحَ أبداً عاجاً ورُخامْ...
أُسقطْ كالتُّهمِ السوداءْ...
وطني يعرفُ عُنُقي،
لَمْ يُصبحْ حبلَ غسيلِ
لقناعٍ ونطعِ الجلاّدْ...
عُنُقي لمْ يصبح يوماً ساريةً
لمعاطفِ أو خُوذاتِ المحتلّينْ

وَطني يَعرفُ وجهي
يعرفُ صدري،
واسمُكَ يا وطني سكينٌ في صَدري
أُسقطْ، أُسقطْ
وَطني يعرفُ ظهري
يعرفُ كرباجَ،
ويعرفُ مِحراثَ السَّجانينَ على ظَهري...
وَطني
إنّكَ تَعرفُني
أحملكَ وأحملُ "أوشفتزَ" على ظَهري،
أحملكَ ولمْ أجعلْ يوماً،
عينَكَ زِرّاً لقميصي...
أحملكَ وما طرّزتُ جراحَكَ،
فوقَ المرآةِ وفوقَ جبيني
أحملكَ أقاتلُ تحتَ نوافذكَ المسدودةِ والمفتوحه
بسلاحي الأبيضْ،
أحملكَ أُقاتلُ بالحبرِ الأبيضْ
أحملكَ أُحبكَ في صدري سعفة نخلٍ،
وأُحبّكَ في صدري سكّينْ
وأُحبّكَ في ظَهري سكينْ
وأُحبّكَ في عُنُقي غُصناً مِنْ وردٍ

وأُحبّكَ في عُنقي سكّينْ

ثلجْ...

ثلجْ...

ثلجْ...

أُسقطْ

أُسقطْ

أُسقطْ كالتُّهمِ البيضاءْ...

أُسقطْ كالتُّهمِ السوداء...

كُنْ إنْ شئتَ زُجاجاً،

أوْ إنْ شئتَ جليدْ

لَنْ تُصبحْ أبداً عاجاً ورُخامْ

ستذوبْ

والسكّينُ بصدري ستذوبْ

لستَ المُتهمَ وراءَ القفص

ولكنّي أتّهمُ الآنْ

إنّي أتّهمُ الآنْ...

ثلجْ

ثلجْ

ثلجْ

أُسقطْ

أُسقطْ

إشارة مرور

النورُ الأحمرْ

قِفْ

النورُ الأخضرْ

سِرْ

النورُ الأحمرْ

والنورُ الأخضرْ

النورُ الأحمرْ

والنورُ الأخضرْ

قِفْ

قِفْ

قِفْ

سِرْ

سِرْ

النورُ الأحمرْ

النورُ الأحمرْ

أينَ هو النورُ الأخضرْ...؟

امرأةٌ حُبلى في عَرَبَهْ

ولَدَتْ في العَرَبهْ

كبُرَ الطفلُ، أحبَّ، تزوجَ في العَرَبهْ

أنجَبَ أطفالاً، قَرأ مجلاتٍ وصُحُفَ العالمِ

في العَرَبهْ

اعتقلُوهُ... سَجَنوهُ في صندوقِ العَرَبهْ

جُنِّدَ واستَشْهَدَ خلفَ شبابيكِ العَرَبهْ

دفنوهُ تحتَ دواليبِ العَرَبهْ

والعَرَبةُ ما زالتْ في الشارعِ

تنتظرُ النورَ الأخضرْ

تنتظرُ النورَ الأصفرْ

النورُ الأحمرُ

قِفْ

النورُ الأخضرُ

سِرْ

النورُ الأحمرُ... والنورُ الأخضرْ

الاثنين:

وارتَفَعَ الستَارْ

واختلطَ المشاهدونَ بالممثلينَ،

ضاعَ فوقَ المسرحِ البطلْ

واختَطَفوا ثيابَهُ

تَقاسَموا ثيابَهُ

مَنْ خَطَفَ السروالَ صاحَ:

إنّهُ البطلْ

مَنْ صارَ في يديهِ زِرٌّ منْ قميصِهِ

قدْ صاحَ إنّهُ البطلْ

مَنْ خطفَ الحذاءَ والجواربَ الطويلةَ الملوَّنهْ

قَدْ صاحَ

إنّهُ البطلْ

أينَ هو البطلْ؟

كيفَ أُلقّنُ الأدوارْ

لمْ يَهبطِ الستارْ

ولمْ يزَلْ مِنْ فوقِ رأسيَ الستارْ

مُعلَّقاً في السقفِ مثلَ المقصلهْ

متى سيَهبطُ السِّتارْ...؟

الثلاثاء:

عطيلُ مَرَّ منْ هُنا وصاحَ بي:

حَذارْ

مِنْ ديدمونَةِ اللّيلِ،

وديدمونَةِ النهارْ

فلَمْ أَزَلْ أحملُ غَيرتي

من مسرحٍ لمسرحٍ

وديدمونَهْ

أخنُقُها في كلِّ ليلةٍ

أصبحتُ قاتلْ...

أنا الذي هِوايتي جمعُ البلابلْ

الأربعاء:

مارْيانا بنيدا:

أيامي ذهبتْ وأنا أحْلُمُ

أنْ يُعطِيَني البركانُ نشيدا

والزلزالُ ورودا

والإعصارُ شَهيدا

ذهبتْ أيامي لمْ يُعْطِ البركانُ نَشيدا

لمْ يُعْطِ الإعصارُ شَهيدا

قَتَلوني، يا ماريانا بَنيدا
لكنّي أرفضُ أنْ أُدفنَ،
أنْ أصبحَ في مقبرةِ الكذّابينَ شهيدا

الخميس:

السندبادُ إنّني أعرفهُ
يَخافُ حينَ يسقطُ المَطَرْ،
يشحبُ وجههُ حينَ تهبُّ العاصفةْ
يُغمى عليهِ حينَ تسقطُ الصواعقْ
وصدِّقوني قَدْ عرفتهُ
شبّاكُهُ قَدْ كانَ بحرَه،
وبابُهُ الميناءْ...
تحتَ قوائمِ السريرِ كانتِ الجُزُرْ...
لكنّهُ لا بدَّ أنْ تكونَ في حياتِنا سفينةْ
وأنْ نكونَ فوقَ سطحِها البحّارةْ
وأنْ نقولَ: كانَ يا ما كانْ...
كانَ بحرٌ فوقَ كَفّنا وكانَ سندبادْ...

الجمعة:

كانَ مُمثّلاً في كلِّ ليلةٍ لهُ دورُ الشهيدْ
وكنتُمْ في كل ليلةٍ تُلقونَ فوقَ جُرحِهِ الأزهارْ
وتَخرجونَ تَصرخونَ
تطلبونَ رأسَ قاتلهْ...

لكنَّهُ في كلِّ ليلةٍ وبعدَ أنْ تَبتلعَ الطريقْ
ظِلالَكُمْ،
يخرجُ منْ بينِ الزهورْ
يركلُها، يدوسُ فوقَها،
يُلقي بثوبهِ المصبوغِ بالدماءِ،
في دولابِ قاتلهْ...
ويمضيانِ يشربانِ حتى الفجرْ
وأنتُمُ هناكَ في الشوارعِ الخلفيَّهْ
تورَّمَتْ أقدامكُمْ،
تمزَّقَتْ أصواتكُمْ...
أعناقُكمْ، على صدورِكُمْ ممَدَّدَهْ...
وعندما يلوِّحُ الفجرْ
تمضونَ تكدحونْ
كي تشتروا تذكرةً جديدهْ...
وزهرةً جديدهْ

السبت:

أحببتُها،
كانتْ وصيفةَ الأميرهْ
وحينَ كانَ يُسدَلُ الستارْ
كنّا معاً نمضي لحُجرتي فوقَ السطوحْ...
كانتْ تحبُّني،

تحبُّ خمريَ الرديئهْ

تَهوى فراشيَ المُمزَّقْ...

وكبرتُ وصارَ للوصيفةِ الفقيرهْ

صارَ لها دورُ الأميرهْ

ولمْ تَعُدْ تحبُّني، تحبُّ خمريَ الرديئهْ

ولمْ تَعُدْ تهوى فراشيَ المُمزَّقْ

وحينَ كانَ يُسدَلُ الستارُ

كانتِ الأميرهْ،

تمضي معَ الأميرْ

الأحد:

تَلَعثَمَ البطلْ...

توسَّلَ البطلْ...

رَفضتُ أنْ أُلقِّنَ البطلْ...

لا لمْ أعُدْ أقوى على الكَذِبْ

عشرونَ عاماً، كنتُ ذلكَ الذي يلقِّنُ الكَذِبْ...

الاثنين:

طُرِدْتْ....

قصيدة من فصل واحد

المنظر الأول

الجوقة: كانَ يُصلّي دائماً خلف "عليْ"...
ويسألُ الطعامَ من يَديْ "معاويَهْ"...
خلفَ – علي – الصلاةُ مُجزيَهْ.
صلّوا وراءهُ وبعدَها،
خُذوا الطعامَ والشرابَ من يَدَي "معاويهْ".

المنظرُ الثاني

الشاعر على الربابة:

"طارقُ" في الزنزانهْ
"طارقُ" فتحَ الأندلسَ
وفتحَ خَليفتُنا الزنزانهْ
"والزيرْ".
ساقَ على "ناقتِهِ الزرقاءِ" "يمامَتنا".
لمضاربِ "جَسّاسْ"...
"وأبو الطيّبْ".
كانَ عليٌّ "سيفَ الدولةِ" عَيناً للرومْ...
"عبلتُنا" فوقَ سريرِ "أنو شروانْ"،

"وعنترُنا" يَشحذُ سكينَ قَوافيهِ

تحتَ سريرِ "أنو شروانْ"...

قالَ الراويْ...

وتدحرجَ رأسُ الراوي.

رأسُ الراوي فوقَ ربابتِهِ

كانَ الراوي جاسوس المستقبلْ...

المنظر الثالث

طابع بريد إلى ميكروفون:

"ما يَطلبهُ المستمعونْ"...

إوزَّةٌ تَصيحُ في بحيرةٍ منَ الأفيونْ

أغنيةٌ على قشورِ البيضِ والبطيخِ والليمونْ...

قصيدهْ...

يَزأرُ فيها المنجَنيقُ، تَصهلُ الحجارهْ...

ويَرقدُ المذيعْ...

طَبْلَتُهُ سريرَهُ وبوقُهُ الوسادهْ...

لمْ تسقطِ "القدسُ" ولا "طُروادهْ"...

المنظر الرابع

توقيع على أتوجراف بيروقراطي:

– موافِقونْ...؟

وارتفعتْ أيديهُمْ كأنها البيارقُ المُنكّسَهْ

– موافِقونْ...

- موافِقونْ..

ووُقِّعَ البيانْ

وقُرِئَ البيانُ في الإذاعهْ

ونُشرَ البيانُ في الجريدهْ

ووزِّعَ البيانُ في الشوارعِ السعيدهْ

وانتحرتْ قصيدهْ...

المنظر الخامس

توزيع موسيقي جديد لموال قديم:

بعدَ بساطِ الريحِ

أصبحتْ وراءَ ألفِ بابْ...

سجينةَ السِّردابْ

ريحانةُ النساءِ خدُّها على الترابْ

بعدَ وسادةِ الحريرِ خدُّها على الصَّوانْ

آهِ يا زمانْ...

تُطعِمُها جاريةٌ مقطوعةُ الكفَّينْ

تُطعِمُها رمّانهْ

وبَعدَها تجلدُها بخيزرانهْ

هذا زمانٌ فيهِ ابنةُ الخاقانْ

يوضعُ نهدُها في كفَّةٍ

وبيضةُ النعامهْ

توضعُ في الكفَّةِ الأخرى من الميزانْ...

آهِ يا زمانْ...

المنظر السادس

افتح يا سمسم:

وقعَ القمقمُ في الشَّبكهْ

وفَتَحتُ القمقمَ...

أطلقتُ سراحَ الماردْ

فوَهَبني خمسةَ عيدان ثِقابْ

أشعلتُ العودَ الأولَ والثاني والثالثَ والرابعَ

ها أنذا أشعلُ آخرَ عودٍ

ظَهري للحائطْ...

وَجهي للحائطْ...

وأنا أكتب بالعيدانِ المحترِقةِ

فوقَ الحائطْ...

المنظر السابع

رسالة في زجاجة:

لَنْ يبتلَعكَ، لَنْ يلفظَكَ

على الشاطئِ حوتْ...

"يونسُ" قَدْ ماتَ وماتَ الحوتْ

ووحيدٌ أنتَ على سطحِ المركبِ

والمركب يغرقُ...

بَقيتْ فوقَ المائدةِ زُجاجةُ خمرْ

وزُجاجةُ حبرْ...

ماذا تفعلْ؟

إنّي أسـألُكَ الآنْ

والمركبُ يغرقُ...

ماذا تفعلْ؟

هلْ تشربْ،

أم تكتُبْ...؟

(ستــــار)

أربع قصائد على أوراق زهرة اصطناعية

الورقة الأولى

لا تَسمعي أسطوانةً،
لا تَفتحي كتابْ...
لا تَقرأي جريدهْ...
هذا زمانٌ فيهِ يا حَبيبتي القصيدهْ
"كبَرمكيّةٍ"، يَتبعُها بسيفِهِ "مسرورْ"
رُؤوسُنا على موائدِ الجريمهْ...
كأنها الأقمارُ في صحونِهِمْ تدورْ
كأنّهُ يُولَدُ من رِقابِنا
في كلِّ عصرٍ، يا حبيبتي "مسرورْ"

الورقة الثانية

الرُّعبُ والكَذِبْ
صاحبانِ كانا دائماً هُناكْ...
وراءَ هذهِ الأسلاكْ
الرُّعبُ والكَذِبْ
على سريرٍ واحدٍ تمدَّدا
وأنشَدا وعَربَدا...

الرُّعبُ والكَذِبْ

قدْ سكِرا من الطَّرَبْ...

الورقة الثالثة

كانَ يُريدُ أنْ يقول،

كلَّ ما فيِ صدرِهِ

لكنَّها طويلةٌ طويلةٌ أنيابُ هذا الغولْ

فادَّعى الجنونْ...

وقالَ كلَّ ما يُريدُ أنْ يقولْ

وحِينما أرادَ أنْ يعودَ عاقِلاً

أُصيبَ بالجنونْ...

الورقة الرابعة

لا تَهربوا مِنَ المحابرْ...

اغْرَقوا مَعَ المحابرْ...

فسوفَ تَطفو بعدكُمْ قصيدهْ،

تسبحُ حتى الضفةِ الجديدهْ...

إلى سائحة

معذرةً سيدتي إنْ جئتِ إلينا في يومٍ
تُقطعُ فيهِ أيدي الشعراءْ
ماذا في الشرقِ يُباعْ؟
بعْنا لعجوزٍ سائحةٍ قبلَكِ قبرَ صلاحِ الدينْ
وحِطّينْ
وحدائقَ بابلَ بعْناها في أسواقِ العالمْ
أزهاراً وبراعمْ
بعْنا الإصبعَ والخاتمْ
لَمْ يَبْقَ سوى الأهرامْ
ومَا أثقلَ أحجارَ الأهرامْ
وأبو الهولِ طَعينْ
سيموتُ إذا ما فارقَ هذي الأرضَ
إذا ما انتُزِعَتْ من جبهتِهِ السكينْ
معذرةً سيّدتي آخر تابوتٍ بعناهُ
وآخر محبرةٍ ألقيناها في النهرِ
وآخر ديكٍ قَدْ صاحَ ذَبحناهْ
لمْ يبقَ سوى اللهْ

يعدو كغزالٍ أخضرَ تتبعهُ كلُّ كلابِ الصيدِ
ويتبعُهُ الكذبُ على فرسٍ شهباءْ
سنُطارِدهُ، سنصيدُ لكِ اللهْ
مَنْ باعوا الشاعرَ يا سيدتي
سيبيعونَ اللهَ

أسد الدين

أسد الدينْ...
شمس الدينْ...
قمر الدينْ...
نجم الدينْ...
اخلعْ عنكَ رداءَ الملكِ الجبارْ
اخلعْ سَيفكْ...
اخلعْ درعَكَ ولجامَكْ
دَعْنا نتحدَّثْ
لَوْ كُنَّا نملِكُ أنْ نتحدثْ،
كصديقَينِ، وليسَ كسلطانٍ ونديمْ
هلْ تقدُر أن تُصبحَ رجلاً وصديقا...
يا أسدَ الدينْ
يا شمسَ الدينْ
أيُّ حوارٍ بينَ السلطانِ وبينَ الشاعرْ؟
ستكونُ نديمي
في هذي الليلةِ يا أسدَ الدينْ
أنتَ السلطانُ على مائدةِ الشاعرْ
في هذي الليلةِ أنتَ نديمي
أنتَ السلطانُ على مائدةِ الشاعرْ...

إلى رامبو

حينَ غدا رامْبو نخّاساً،
ومَضى يَرمي الشَبَكهْ
فوقَ الحبَشهْ
يَصطادُ الأسدَ الأسودَ
والبجعَ الأسودْ
هَجَرَ الشعرْ...
كمْ كانَ أميناً هذا الطفلْ...
لكنْ ما أكثرَ من كانوا شعراءَ،
وصاروا نخّاسينَ،
مُرابينَ،
وما هَجروا الشّعْر...
مندوبي شركاتِ الإعلاناتِ
وتُجّارَ اللوحاتِ الزائفةِ
وما هَجروا الشّعرْ.
صارَتْ في قصرِ الخاقانِ قصائدُهمْ
أبواباً وشبابيكْ
موائدَ وسجاجيدْ

وما هجَروا الشّعرْ...

مَدَحوا،

نالوا أوسمةَ وألقابَ جميعِ أباطرةِ العالمْ

والكأسَ الذهبيةَ والفضيةَ والحجريَةْ.

ما هجروا الشّعرْ...

أختامُ الجَنْدرْمَةْ،

بصماتُ نِعالِ الجندرمةِ فوقَ قصائدِهِمْ

ما هجروا الشّعرْ...

كمْ كانَ شريفاً رامْبو...

كمْ كانَ أميناً ذاك الطفلْ...

كان زمانا يكذب يا مولاتي

كانَ زماناً قَدْ ضاعتْ فيهِ كلماتُ الحقْ
أكثر من عَددِ النملِ على السنبلةِ المُلقاةِ على الأرضِ
شهودُ السلطانْ
أكثر من عَددِ بَعوضِ المستنقعِ كانَ الشّعراءْ
كانَ زماناً يكذبُ يا مولاتي
كانَ زماناً سَلّمتِ الشاعرَ فيهِ للزنزانهْ
مَنْ أعطتهُ أولَ رُمّانَهْ...
مَنْ أعطتهُ الليلَ الأولْ
وسريرَ الحبِ الأولْ
كانَ زماناً لمْ تغرسْ فيهِ
إبرتَها نحلهْ
كانَ زماناً قَدْ دسَّ السّمَّ – المتنبي –
فيهِ، إلى سيفِ الدولهْ
كانَ زمانَ الزنزانةِ وزمانَ السكّينْ
كانَ زماناً مِنْ غيرِ جَبينْ...
كانَ زماناً يَغرَقْ
يكرهُ يا مولاتي الزنبقْ...
كانَ بلاطاً خارجَ بوّابتهِ
يعطي العاجَ ويعطي الأقمارْ
وطعامَ الناسِ وراءَ البوّابةِ

يا مولاتي الأحجارْ
كانَ زماناً لمْ تحملْ فيهِ أشجارُ الرمّانْ
كيفَ أحبّكِ وجوادُ أميركْ
يصهلُ تحتَ النافذةِ
وخنجرهُ فوقَ سريركْ
خاتمهُ في قَدَمِكِ خلخالْ
كيفَ أحبكِ وجناحُ الحدأةِ
في لحمي
بيتُكِ كان حَقيبتَكَ
فأينَ حَقيبتك الملعونَهْ؟
املأها بمناديلِ الشوكِ
املأها بقصائدِك الملعونهْ
واحملْ بردى جُرحاً في صدركَ وارحلْ
فلعلّ يُضمّدُ جُرحكَ،
من أنهارِ العالمِ جدولْ
بردى يا بردى يا بردى...
لَوْ كُنتَ تمدُّ يَدا
لو تنسجُ من خُصَلِ الماءِ شِراعا
أو تنحتُ مجدافا من زَبَدٍ يا بردى
لكنَّكَ مثلَ الأنهارِ الأخرى...
مثلَ الأنهارِ الأخرى يا بردى...
وأُحبُّكَ، وأحبُّ الأعشابَ على صدرِكَ
وأُحبُّ الموتَ على صدركَ يا بردى...

الطبل

الأرضُ ضاعتْ،
لمْ يَعُدْ لنا في وتَرٍ لجامْ
والسيفُ ضاعَ لمْ تعدْ لنا طاحونةٌ
ولا برجٌ من الحمامْ...
لمْ يبقَ غير هذا الطبلْ...
أوصيكُمْ بالطبلِ أولاً،
وثانياً بالطبلْ...
وثالثاً بالطبلْ...
وألفَ مرّةٍ أوصيكُمْ بالطبلْ
لَوْ كفَّ طولَ يومِهِ وليلهِ يدقْ...
لوْ كَفَّ لحظةً واحدةً يدقْ
قلوبكُمْ ستستحيلُ في صدورِكمْ حِجارهْ
وسوفَ تسقطونْ

وانطلقوا بالعصيِّ يقرعونَ الطبلْ
تكسَّرتْ،
وبالأكفِّ يقرعونَ الطبلْ...

تشقَّقَتْ، تمزَّقَتْ،

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلْ...

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلْ...

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلْ...

تَدَحْرَجَتْ حجارةً ولمْ تزل تَدُقْ

لَمْ تزلُ تدُقْ

لَمْ تزلُ تدُقْ

بادا دامْ

بادا دامْ

بادا دامْ...

هو الكلام

هُوَ الكلامْ
بضاعةٌ رديئةٌ يا سيدي،
بضاعةُ الكلامْ.
والورقُ الذي يضاجِع الأقلامْ.
والشاعرُ الذي رأيتَهُ،
في كلِّ مخدعٍ ينامْ.
وأنتَ صادقٌ يا سيدي،
وكيفَ لا تكون صادقاً،
وأنتَ حاملُ الأختامْ...
فكلُّ شيءٍ كانَ في مكانِهِ،
وكانَ في خندقِهِ يُقاتلْ...
أحلفُ ألفَ مرةٍ،
بأنَّ كلَّ شيءٍ كانَ في مكانِهِ
وكانَ في خندقِهِ يقاتلْ...
والديكُ فوقَ السطحِ كانَ شاهدا
والحبرُ في المطابعْ...
وتاجرُ الضفادعْ

والنصرُ كانَ قابَ خطوتينْ.

وآهِ لولا طعنةُ القصائدْ...

لولا خيانةُ القصائدْ...

لولا تجسّسُ القصائدْ...

* * *

محكمهْ...

وَلْتَمْثُلِ القصائدُ المتَّهَمهْ

جاسوسةً معصوبةَ العينينْ

زانيةً مقطوعةَ اليدينْ

سارقةً مقطوعةَ الكفَّينْ...

هي القصائدْ...

أسلحةٌ فاسدةٌ يا سيدي

قَدْ كانتِ القصائدْ...

* * *

حَضَراتِ السادهْ...

السمكةُ صارتْ زنبقةً،

والسنبلةُ جرادهْ

والشاعرُ مطلوبٌ حيّاً أو ميتاً

للنقّادْ

حَضَراتِ النقادْ

حَضَراتِ الحدادينْ

حَضَراتِ النجَّارينْ
لَمْ يخطئ شرطيٌّ واحدْ
وسياسيٌّ واحدْ...
ما غشَّ وما قالَ عن اللحمِ الأخضرِ
لحماً أشقرْ
قَوّادٌ واحدْ...
أما الشعراءْ
ما أرخصَ لحمَ الشّعراءْ...
فَلَقدْ غشُّوا الرملَ،
وقَدْ غشُّوا الماءْ...

* * *

هُوَ الكلامْ...
بضاعةٌ رديئةٌ بضاعةُ الكلامْ
لكنَّه يا سيدي لولا بضاعة الكلامْ
ما كنتَ فينا اليومَ،
صاحبَ الكلامْ...

تحت المصابيح الزرقاء

الكلمةُ تحتَ مصابيحِ الشارعْ
الكلمةُ ذاتُ الثديينِ من المطاطْ
ذاتُ العينينِ من الزَلَفِ
ذاتُ القلبِ من الخزَفِ
عبثاً تَكسِرُ في الصَدَفِ
آخرُ لؤلؤةٍ قد صارتْ
قطرةَ رملٍ في الصدفِ
لا تقرأ في كفّي
الكلمةُ تحتَ مصابيحِ الشارعْ
أَغلِقْ نافذةَ الماخورِ كفاكَ تُطلْ
وكفاكَ تبيعُ النرجسَ للمومسِ
والفُلْ
وكفاكَ تبيعُ قصائدَكَ
لمن دفَعَ المَهْرْ...
الكلمةُ تحتَ مصابيحِ الشارعْ
الشاعرُ تحتَ مصابيحِ الأرصفةِ الزرقاءْ
يبيعُ قصائدَهُ الزرقاءْ....

والكلمةُ... كمْ مرّتْ فوقَ الكَلِمَةِ

سُرُرٌ وشبابيكْ

كمْ نامَ وكمْ قامَ مماليكْ

ومماليكْ...

كمْ فوقَ الصدرِ انكسرتْ...

أجنحةٌ ومناقيرْ...

كَمْ سقطتْ فوقَ الثديينِ

منَ المطّاطِ عصافيرْ...

أُهربْ من نافذةِ المومسِ

يا عُصفورْ...

أُهربْ يا عصفورْ...

من برنامج الألعاب الرياضية

لمدرسة ابن بطوطة الثانوية للذكور والإناث

إلى اليمينِ سرْ

إلى اليسارِ سرْ

للشرقِ سرْ

للغربِ سرْ

إلى الشمالِ والجنوبِ سرْ

وخطوةً إلى الأمامْ

عشرونَ خطوة إلى الوراءِ سرْ

وبالشراعِ والمجدافِ في بحيرةِ اليمينِ،

بالطبولِ والبيارقِ الحمراءْ،

في شوارعِ اليسارِ سرْ

سرْ

سرْ

خلفاً دُرْ

خلفاً دُرْ

خلفاً دُرْ

اجتماع فوق العادة

مئةُ مكبِّرِ صوتٍ،
والسمّاعاتُ على الآذانْ...
خُطَبٌ وقصائدُ وبكلِّ لغاتِ العالمْ...
النجدهْ...
النجدهْ...
صفّارةُ عرباتِ الإسعافْ
صفّارةُ عرباتِ الإطفاءْ...
ودُخانٌ يتصاعدُ من كلِّ الآذانِ المحترقهْ...
والمقعدُ راحَ يصفّقُ بالقدمينْ...

محمَّد علي الصَّغير

- إلى سعيد حورانية -

النشيد الأول

بعيدةٌ مثل يدِ الصديقِ يا محمَّدْ
بعيدةٌ هيَ الجزائرْ...
بعيدةٌ، مثل عيونِ المرأةِ الأولى على السريرْ
يا قمراً تحتَ سنابكِ الخيولِ...
يا وشماً على ذراعِ كلِّ حانهْ...
يا خنجراً يبكي على رمَّانهْ...
يا عَندليباً قَدْ هوى مُقامراً بالريشةِ الأخيرهْ
أو عليكَ مثل مَلْكٍ مُهاجرٍ تموتْ
لا ريشَ طائرٍ يُلقى عليكَ
لا خيوطَ عنكبوتْ
الآنَ تبدأُ الطريقْ
الآنَ صارَ الموتُ، ذلكَ العدوُّ والصديقْ
ينسجُ من حريرِ العوسجِ الوسادهْ...
يذودُ عن جبينِ القمرِ الجَراده...
الآنَ جاءَ دورُ القبَّراتِ أيها الصديقْ

والقُبَّراتُ يا محمَّدْ،

صديقةٌ وفيَّةٌ لكنَّها من غيرِ ذاكرهْ...

تظلُّ طولَ عمرِها مُهاجرهْ...

تبيتُ في عُشٍّ بناهُ غيرها

ترقدُ في كَفَنْ...

من نسجِ غيرِها بعيدةً عن الوطنْ...

* * *

لا تشربوا نخبَ الغريبِ،

واقلبوا على تابوتِهِ الكؤوسْ...

فشهرزادُ ماتتْ قبلَ أنْ يصيحَ الديكُ...

أيها الرفاقْ...

ماتَتْ وعُنقُها قَدْ كانَ شمعدانها،

وليسَ للّذينَ يهجرونَ أرضَهم أعناقْ

أعناقُهُمْ أقدامْ...

يَرفضُ في الأحذيةِ التي تُلقى على الطريقْ.

أن يعشِّشَ الحمامْ...

* * *

على الغريبِ أن يموتَ فوقَ أرضِهِ

عليهِ أنْ يموتَ في بدايةِ الطريقْ

في نهايةِ الطريقْ...

وليسَ في منتصفِ الطريقْ...

* * *

لمْ يبقَ يا محمّدْ...

لمْ يبقَ في بلادِنا عَذارى

نحنُ المقاتلونَ والسكَارى

لمْ يبقَ في اغصانِنا براعِمْ

نحنُ الأصابع التي تبحثُ عن خواتمْ...

لمْ يبقَ في بحارنا حوريَّهْ...

لمْ يبقَ في غاباتِنا جنّيهْ...

لمْ يبقَ في الطاحونِ...

غير العوسجِ الملعونِ والصُبَّارْ...

والمسرحُ المُنهارْ

يرفعُ عن مرآتِهِ المكسورةِ الستارْ

* * *

ضاجعتَ حتى الحوتَ في البحارْ...

وكنتَ في بلاطِ شهريارْ

تطعنُ شهرزادَ مرةً وألفَ مرةِ

تبكي على جراحِ شهرزادْ...

طعنتَ بالسونكي القمرْ

طعنتَ بالسونكي الحَجَرْ...

طعنتَ حتى شابَ راسُ السيفِ يا محمّدْ...

وفي الحياةِ صوتٌ غيرُ صوتِ طلقةِ الرصاصِ...

صوتٌ اسمهُ الوطنْ...

والآنَ لا وطَنْ...

والآنَ لا كَفَنْ...

والآنَ لا جزائرْ...

وكلُّ ما تملكهُ سحابةٌ تحتَ الأظافرْ...

أيتها الجنيَّةُ المحلولةُ الضفائرْ...

آه لو يعودُ للجزائرْ...

يعودُ ساحباً جناحَهُ على الطريقْ...

أينَ هيَ الطريقْ...؟

ونحنُ حينما نموتُ يا محمّدْ...

نود لو تطولُ لحظةُ احتضارِنا على الطريقْ...

نود لو نعودُ نمشي مرةً ثانيةً على الطريقْ...

نود لو نغيِّرُ الطريقْ...

أو نواصلُ السيرَ على الطريقْ...

ما أقصرَ الطريقْ...

ما أطولَ الطريقْ...

أينَ هيَ الطريقْ...؟

النشيد الثاني

إنّي اسألُكَ الآنْ...

اسألُكَ وأبكي...

وجَبيني معصوبٌ بقصاصاتِ الأوراقِ...

وبالطينِ وبالشَّوكِ...

ما جَدوى أنْ نُعطيَ للعالمْ

للشلالاتِ الأجنِحَةَ ونحنُ نَضنُّ على المستنقعْ...

بالريشةِ والإصبعْ...؟

* * *

أعطِ المستنقعَ قدَميكَ

فقدْ يصبحُ نطفةَ حُلُمٍ في رَحْم بحيرهْ...

هل تسمعُني الآن؟...

موتُك علّمنا كيفَ نموتْ

لو كنا نعرُف كيف نموتْ

ما انتحرَ الشلالُ بقطرةِ ماءْ...

ما سلخَ الشعراءْ...

جلدَ العنقاءْ...

كي يعطوا للبلبلِ وتَراً

أو قافيةً بيضاءْ...

ما أتعسَ موتَ الغُرباءْ...

ما أتعسَ موتَ الغرباءْ...

كقصيدةِ شعرٍ في القائمةِ السوداءْ...

أغنية على النوتة الموسيقية
لأوركسترا مطعم أوروبا بلينينغراد

الحب حينَ يا صديقتي يجيءُ خاطفاً كالبرقْ
يُضيءُ وجهَنا،
بوْمضة أوْ ومضتينْ
يُرعِشنا وبعدها،
يتركُنا لليلْ
ثم نعودُ يا صديقتي نبكي على تابوتِ شمعدانِنا
القديمْ
الحبُّ يا صديقتي حينَ يَهبُّ مثلَ العاصفهْ
يهزُّنا، يكسِّرُنا،
يَخلعُنا من الجذورْ
يطرحُنا في السيلْ
نطفو وبعدَها يصيرُ السيلْ
ألفَ جدولٍ،
نرسو،
ويصنعونَ من جذوعنا
باباً،

ورُبما صليبْ

* * *

الحبُّ حينَ يا صديقتي يجيءُ كالزلزالْ
يضربُنا، يشقُّنا نصفينْ
يهدمُ كلَّ حبِّنا القديمْ
ثمَّ نعودُ نقضي العمرَ كلَّهُ،
نُرمِّمُ التمثالْ...

* * *

وانتِ جئتِ يا صديقتي كالبرقْ
وجئتِ مثلَ العاصفهْ
كسّرتِني، خلعتِني من الجذورْ
وجئتِ كالزلزالْ
ضَرَبتني،
تحطمتْ مرآتيَ القديمهْ
تناثرتْ شظايا
ولمْ يَعُدْ لي وجهْ
مِنْ يومِها سقطتُ فوقَ الأرضِ أجمعُ الشَّظايا
أجمعُ في يدي شَظايا وجهيَ الذي انكسرْ
أحبُّ يا صديقتي وجهي القديمْ
أحبُّهُ ممزّقاً مُكسَّراً،
وأكرهُ الأربطةَ البيضاءَ
والقناعْ...

أغنية إلى سمرقند

"... وبينما تيمورلنك في إحدى غزواته بعيداً عن سمرقند، دعت الهانم - امرأته - كل مهندسي سمرقند، لكي يقيموا لها معبداً ضخماً تفاجئ به تيمور، وأن يقام المعبد في بضعة أيام... ولم يقبل بهذا العرض غير شاب مهندس لقاء شيء واحد: لقاء قبلة يطبعها على شفتي الهانم. وحاولت الهانم إغراء المهندس ولكنه صمد ورفض الذهب وتمسك بالقبلة... وأخيراً وضعت الهانم كفها فوق خدها وقبلها فوق الكف الراعشة على الخد وتم بناء المعبد... وحينما عاد تيمور وأراد الفتك بالمهندس، كان قد اختفى.."

- مَولاتي
لستُ بصاحبِ عرشٍ، لستُ بفاتحْ...
لكنّي املكُ انْ أعطي لكِ،
ما لمْ يُعطِ السيفُ او الخنجرْ
وجميعُ عروشِ الأرضْ...
ما اسهلَ انْ يُذبَحَ بالكفِّ العالمْ
ما اصعَبَ انْ يَولدَ من شفتينا العالمْ
ما اصعبَ انْ يكْسِرَ قشرَ البيضةِ ويرفرِفَ عصفورْ
او تنبتَ شجرةُ وردٍ تحتَ وسادةِ تيمورْ

فالعالمُ طفلٌ يترعرعُ، يكبرُ فينا حينَ نحبْ
يصبحُ يا مولاتي القلبْ
ويموتُ الحبْ
حينَ يحلُّ السيفُ مكانَ القلبْ...

* * *

مَوْلاتي:
حرَسُكِ تحتَ الأسوارِ، وشُرفتُكِ بعيدهْ
لكنِّي املكُ شرياني حبلاً،
والعاشقُ يدهُ تمتدُّ إلى الشمسْ
هذي هيَ يا مولاتي مُعجزةُ الحبْ
لا يُلقي بعصاهُ فتصبحُ افعى
لا يخرجُ من فمهِ حبلَ مناديلْ
لا يخرجُ هابيلْ،
من جثةِ قابيلْ...
فالساحرُ لَنْ يصبحَ يا مولاتيَ عاشقْ

* * *

ما اجملَ انْ تعشقَ قيصرةً،
وتخونَ القيصرْ
ما اجملَ انْ يُطعنَ بجناحِ البلبلِ
بينَ العينينِ القيصرْ
– اطْعَنِّي بالوردةِ

اطْعَنّي بالخنجرْ...

– مولاتي:

تيمورُ على أبوابِ سمرقندَ، وتيمورُ هو اللهْ،

ملائكةُ اللهِ، شياطينُ اللهْ،

بطانَتُهُ، عسكرهُ، ماذا أفعلْ؟

القيصرُ مولايَ،

ولكنِّي من أجلكِ سأخونُ القيصرْ

فعناقيدُ البرقِ ضفائرُ شعركِ،

ووميضُ البرقِ الخاطفِ من شفتيكِ،

يُساوي كلَّ شموعِ الليلِ، وكلَّ نجومِ الليلِ،

وكلَّ ضياءِ الشمسْ...

– قَبِّلْني فوقَ الكفِ الراعشةِ على الخدْ

قَبِّلْني باسمِ سمرقندْ

– مولاتي قُبْلتكِ هيَ الموتْ

لونُ الفودكا هو لونُ الماءِ

ولكنَّ الشاعرَ لا يُولدُ من نهرٍ يجري

بلْ منْ صاعقةٍ تهوي وتموتْ

هذا هوَ يا مولاتي قَدَرُ الشاعرْ

يرفضُ نيشانَ القيصرْ

يرفُضُ خبزَ القيصرْ

يرفُضُ خمرَ القيصرْ...

ويُعربدُ سكرانَ ومن جُرعةِ برقْ
يقتلهُ البرقُ، ويحييهِ البرقْ،
مولاتي إنْ كانتْ قبلتُكِ ستبني كوناً وحَضارهْ...
أيُّ الأكوانِ ستولدُ تحتَ وسادتكِ،
وفوقَ سَريركْ؟
فَسيَأتي زمنٌ ستُطارَدُ فيهِ
حتى الموتِ القُبلَهْ
وتُطارَدُ فيهِ سُررُ العشّاقْ
ويُطارَدُ كأسُ الخمرِ
وبيتُ الشعرْ
وسيُقطعُ رأسُ العصفورْ
ويعلّقُ فوقَ السورْ
لكنْ هوذا تيمورْ
حَجَرٌ مغروسٌ في الأرضْ
مهما نَبَتَتْ يا مولاتي للحجرِ شرايينْ
فلَنْ يصبحْ شجرهْ
مهما جاعَ اللّيلُ،
فلَنْ يأكلَ قمرهْ...
وعصافيرُ سَمَرقَنْدْ
لَنْ تلتقطَ سَنابِلَها،
من تحتِ أظافرِ تيمورْ

ماذا يا مولاتي بقيَ من التنِّينْ...؟

ماذا بقيَ سوى أنقاضِ مخالبِهِ المكسورهْ

وبَقايا أسطورهْ

ما أشقى العالمَ حينَ يكونُ لهُ

وجهُ العصفورِ،

وقلبُ التنِّينْ...

تانيا

(خلال الحصار النازي لمدينة لينغراد، كانت الطفلة تانيا سافيشفا - ٩ سنوات - تكتب فوق كراستها المدرسية يوميات الحصار...

وسقطت تانيا فوق الورقة التاسعة، فلم يمهلها النازيون لكي تكتب الورقة العاشرة، لكي تعيش اليوم العاشر).

تانيا...

انا اعلمُ نهرُ النيفا

سيواصلُ جريانهْ

والعالمُ سيواصلُ دورانهْ

سيُلمِّعُ جنرالٌ نيشانهْ...

ويُنظِّفُ جرسونْ،

في مطعم بيروتَ ملاعقَ وصحونْ

ستُبدَّلُ في حمَّاماتِ استانبولَ،

مناديلْ،

وستوضَعُ بدلَ القِطَعِ الذائبةِ من الصابونْ

عصافيرْ

وَسَتَكْتَبُ فوقَ زجاجِ شبابيكِ دمشق قصيدهْ

والقردةُ ستُبدِّلُ في السيركِ معاطفها...

وستبكي حتى الموتِ على أسوارِ القدسِ يمامةْ

وتَنوحُ غمامةْ...

لكنِّي منذُ رأيتكِ،

وقرأتُ الأيامَ التِسْعَةَ في دفترِ يومياتِكْ...

فاليومُ العاشرُ من عمركِ لا يعرفهُ

نهرُ النيلِ أوْ النيفا

صارتْ كالكأسِ المكسورةِ في حلْقي الأغنية،

وكلُّ أناشيدِ العالمِ

غُرِسَتْ كخناجرَ في صدري،

كلُّ بيارقِ هذا العالمْ

دَمُكِ على وجهِ العالمْ

كيفَ أرى العالمْ؟

يا كلَّ صبايا العالمْ؟

يا مَنْ يولدُ من سُرَّتكُنَّ

وتحتَ السُررِ السريَّةِ

كلُّ الأطفالِ الشرعيِّينْ

تانيا لَنْ تصبحَ أمّاً

مَنْ منكنَّ ستصبحُ أُمًّا...؟

في اليومِ الأولِ ماتَ أبوها...

في اليومِ الثاني ماتَ أخوها...

ماتَتْ في اليومِ الثالثِ يا تانيا الأمْ
ماتَ الشباكُ، تَكَسَّرتِ المرآةُ
وماتَ البيتُ كطفلٍ في حِضنِ الشارعِ...
"اصبحتِ وحيدهْ"
مليونُ حصانٍ خشبيٍّ، لكنَّ مدينَتكِ المولوده
من قبلةِ دُميتِكِ المكسورهْ
لم تصبحْ طروادهْ

* * *

تانيا...
العالمُ لمْ يصبحْ بعدُ حديقهْ
والخوذةُ لمْ تصبحْ آنية زهورْ
فالقتلةُ ما زالوا مختبئينَ هنالكَ
في الثلاَّجاتِ...
كعُلَبِ البارودِ المحفوظهْ...
فالقاتلُ حُنِّطَ يا تانيا...
ما زالَ يراقصُ في التابوتِ جميعَ القَتَلهْ
للقاتلِ الفُ امرأةٍ،
وقصورُ حريمْ
مَنْ منّا لا يُلقي في النارِ قصائدَهُ،
ما زالتْ يا تانيا القنبلةُ هيَ التفاحهْ
ما زالَ هنالكَ مدنٌ في العالمْ

دَمُها فوقَ وجوهِ الجلاّدينْ
ما زالَ هنالكَ تانيا أخرى
في إحدى مدنِ العالمِ،
تنتظرُ القَتَلَهْ
ما زالَ هنالكَ تانيا أُخرى
تكتبُ في كرّاستها
"في اليومِ الأولِ...
"في اليومِ الثاني...
تانيا...
مَنْ يُعطي تلكَ الطفلةَ يوماً ثالثْ...؟
مَنْ يُعطيها يوماً ثالثْ...؟

الغجريه

نهرُ خواتمْ
نهرُ اصابعْ
وبحيرةُ احجارْ
وعيونٌ قَدْ غُرسَتْ فيها عيدانُ ثِقابْ
والقمرُ المقطوعُ النهدينِ يدورْ
كلٌّ يمضغُ خاتَمهُ، يمضغُ إصبَعهُ ويسيرْ
والشاعرُ يبحثُ عن سرجٍ جوادهْ
ويفتِّشُ عن عصفورٍ تحتَ الأنقاضْ

* * *

ضَعْ قمركَ في مخلاةِ جوادكِ وارحلْ
ضاعَ العصفورُ وبقيَ الخاتمْ
فبسبعةِ أقراطٍ من خشبِ
وبعشرينَ قصيدهْ
وبحبَّةِ رمّانٍ وبمرآةٍ مكسورهْ
باعَتهُ الغجريةُ لي
أعطَتْني قدمَيها فمضيتْ
أينَ سأمضي وبقَدمي غجريهْ؟...

* * *

لَوْ كنتِ تقولينَ تعالْ

لَوْ كنتُ رأيتكِ قبلَ الزلزالْ

يا ذاتَ الشامةِ والخلخالْ

لَوْ كنتُ رأيتكِ قبلَ الموتْ

لكنّي جئتُكِ بعدَ فواتِ الوقتْ

جئتُكِ والخنجرُ قدْ أصبحَ فوقَ سريرِكِ بدرا

واكتملَ الموتْ

في تلكَ الليلةِ وُلِدَتْ من قدميكِ الزهرةُ والمصباحُ

ووُلِدَتْ كفّايْ

وُلِدَ منَ المرأةِ العصفورُ وولدتْ عينايْ

كانَ العشاقُ يبيعونَ خواتمَهُمْ،

يلقونَ أصابعَهُمْ،

حولَ سريرِكِ ويموتونْ

كانَ النعشُ على الأكتافْ

كانتْ تلكَ الغجريةُ تكسرُ حولَ النارِ الأصدافْ

تقرأُ في كفِّ الميِّتِ وتنوحْ

لَوْ لمْ تَكْسِرْ تلكَ الصدفهْ

لَوْ لمْ تخرجْ من بطنِ الحوتْ

لَوْ أبقيتَ بيدكَ ولو وَرَقَةَ توتْ

تحجبُ وجهَكَ في التابوتْ

كيفَ ستمضي للموتِ بغيرِ قِناعْ؟

مَنْ مِنْ تلكَ السمكاتِ المُلقاةِ على الشاطئِ،
ضاجَعها حتى الموت الصيَّادْ
يُعطيكَ شهادةَ موتٍ أوْ ميلادْ؟

* * *

انا تلكَ الغجريةُ مَنْ شقّتْ خيمتها لكَ
من أعطتْ للذئبِ ضفائرَها
كي يُلقي في تابوتكَ زهرهْ
افتحْ عينيكَ لآخرِ مرّهْ
فالليلةَ ستدوسُ على جسدي
كلُّ خيولِ السلطانْ
قلْ لي اينَ هو الخاتمْ؟
ولمنْ أعطيتَهْ؟
اينَ وضعتَهْ؟
تحتَ وسادةِ مَنْ؟
في إصبعِ مَنْ؟

قصيدة على أوراق البردي

إنْ صَدَقَ العرَّافْ

لفرعونَ زهورُ اللوتسِ

والتاريخُ على ورقةِ بَرْدي

والتاريخُ ككبشٍ يُسحبُ من قرنيهِ

والتاريخُ على المذبحِ قربانْ

ولقدْ صدقَ العرافُ مئاتِ المراتْ

وانتصرتْ حكمةُ فرعونَ مئاتِ المراتْ

صارتْ عيناهُ تلمَّانِ العالمَ،

أسرارَ العالمِ في رمشٍ واحدْ

تحتَ الجفنينِ وفوقَ الجفنينِ

صحارى وجنائنُ... ورياحُ وخلجانُ العالمْ

لكنَّ العرافَ الصادقَ لم يصدقْ هذي المرهْ

أخطأ،

أخطأ فرعونْ

كيفَ الحكمةُ تُخطئْ...؟

ما عادتْ أسرارُ العالمِ في مِكْحلتِهْ

ما عادَ ملوكُ الأرضِ حفاةً يجرونَ

يحيطونَ بمركبتهْ...
هربتْ جزرٌ وخلجانُ العالمِ من تحتِ الجفنينْ
ما عادَ التاريخُ هو الكبشُ المسحوب من القرنينْ
اصبحَ نسراً
لا تبلغُهُ عين العرّافِ
ولا تصلُ إليهِ حربةُ فرعونْ
كانَ على العرّافِ بأنْ يُسحبَ من قرنيهْ
انْ يَدفعَ لخزينةِ فرعونَ المفتوحةِ عينيهْ
* * *
زهرةُ لوتسْ...
وَرَقَةُ بَردي تُلقى في الماءْ
كبشٌ يُلقى في الماءْ
حجرٌ يُلقى في الماءْ
جَرَحَ الحجرُ جبينَ الماءْ
سالَ دمُ النيلْ
فاضَ النيلْ
قلعَ العرّافُ بيدِهِ عينيهْ،
القى عيناً للتمساحِ
والقى العينَ الأخرى في النيلْ
جَرَحتْ عينُ العرّافِ جَبينَ النيلْ
سالَ دمُ النيلْ

فاضَ النيلْ

الحاوي ألقى بعصاهُ فلمْ تبتلعِ الطوفانْ

كيفَ يُضمَّدُ جُرحُ النيلْ

– "النيلُ وحيدٌ، أعطوا للنيلِ عروس"...

ليهبْنا ذريَّة أنهارٍ وجداولْ..."

صاحتْ أزهارُ اللوتسِ

صاحتْ أوراقُ البرديَ

صرختْ حُبلى وانشقَّ البطنْ

أصبحَ للنيلِ عروسْ

أصبحَ عرساً للموتْ

أصبحَ للنيلِ سرير لكنَّ النيل العاشقْ

لا تكفيهِ امرأةٌ واحدةٌ طولَ العمرْ

كيفَ سيُنجبُ ذريَةَ أنهارٍ وجداولْ...؟

إنْ أعطيناهُ امرأةً واحدةً طولَ العمرْ

إنْ أعطيناهُ قرباناً واحدْ...؟

* * *

– "فلنبنِ السَدْ

أعطينا للنيلِ نساءً وبعددِ تماسيحِهْ

أعطيناهُ نساءً وبعددِ زهورِ اللوتسْ

وطيورِ النورسْ

ما كفَّ يفيضْ

تختُ النيلِ هو الهودجُ نحْملهُ،
صرنا تحتَ قوائمهِ نولدُ ونموتْ
فلنبنِ السدّْ،
– خائنْ
صرخَ الكاهنُ وهو يضمُّ إليهِ قربانهْ
– خائنْ
صرخَ الحاوي وهْوَ يضاجعُ ثعبانهْ
حُبلى راحتْ تَتَحَسَّسُ بالكفّ البطنَ،
وتحلُمُ أنْ تعطي للنيلِ عروسا،
تصرخُ: خائنْ
– خائنْ ....
بائعةُ زهورِ اللوتسِ تصرخُ: خائنْ
وعروسُ النيلِ الموعودة تصرخُ: خائنْ
والحائكُ يغرسُ إبرتَهُ في ثوبِ عروسِ النيلِ،
ويصرخُ: خائنْ
– خائنْ ....
– خائنْ ....
– خائنْ ....
– كيفَ نُقيمُ جداراً في وجهِ النيلْ؟
كيفَ يعيشُ النيلُ بغيرِ نساءٍ وقرابينْ...؟
كيفَ يعيشُ الناسُ بغيرِ قرابينْ...؟

كيفَ يعيشُ التاريخُ بغيرِ قرابينْ...؟

أصبحَ للموتِ كتابْ...

تَقْرَأهُ غزلانٌ وذئابْ...

– ألقوهُ في النيلْ...

وبحنجرةٍ واحدةٍ صرَخوا: ألْقوهُ في النيلْ

ألقوهُ في النيلْ...

* * *

ألقوهُ في النيلْ

وطفا الجسدُ على وجهِ النيلْ

راحتْ جثَتُهُ تكبرُ... تكبرُ... تكبرُ

تكبرْ...،

صارتْ في طولِ النيلِ،

وفي عرضِ النيلْ...

قصيدة فوق الجدار

.... انا لا أعلمُ أينَ متى ....

في أيِّ زمانٍ ومكانْ

قد حدثَ وَقَتَلوا الشاعرْ...؟

لكني أعلمُ أنهُم جاءوا

والقتلةُ جاءوا ويجيئونْ...

كانوا بالأمسِ هنا،

وهمُ اليومَ هناكْ

وغداً همْ في كلِّ مكانْ

فالشاعرُ دمهُ مهدورٌ في كلِّ زمانْ...

* * *

انظرْ إنْ بقيتْ في وجهكَ عينانْ

خمسةُ فرسانٍ بينهمُ الشاعرْ

وقصيدةُ غضبٍ حُفِرَتْ فوقَ الجدرانْ

ضد لويس الأول، ولويس الحادي والعشرينْ...

– "امسَحْها بيديكْ...

أبياتَ قصيدتِك الملعونةِ والمحفورةِ فوقَ الجدرانْ...

* * *

ومضى الشاعرُ يمسحُ أبيات قصيدتهِ بيديهْ
وغبارُ الأحرفِ يتساقطُ
والأحرفُ تتساقطُ في عينيهْ...
عند البيتِ الخامسِ، ذابتْ يدهُ اليُمنى...
عند "البيتِ العاشرِ"، ذابتْ يدهُ اليسرى....
بقي لسانُ ووجهُ الشاعرْ...
- امسحْ بلسانكَ ما بقيَ على الجدرانْ...
ذابَ لسانُ الشاعرْ...
بقيَ من الشاعرِ وجهٌ،
بقي من الشاعرِ عينانْ
- "امسَحْ وبوجهكَ آخر بيتْ..."
وكمروحةٍ راحَ الوجهُ يدورْ...
راحَ الوجهُ يذوبْ...
راحَ الوجهُ يذوبْ...
سقطَ الشاعرْ...
سَقَطَ وبقيتْ فوقَ الجدرانِ المفروشةِ
كالنطعِ الأسود "كلمةُ لا"
"لا" للويسِ الأول، و"لويس الحادي والعشرين"
"لا" للزنزانةِ، "لمقصٌ رقيبِ السلطانِ
وللسكّينْ

* * *

... والآن

أينَ وجوهُكم؟ نرفضُ هذي الأوجُهْ،

كلُّ مرايا العالمِ...

أينَ أياديكمْ؟

ترفضُ هذي الأيدي القفازاتْ

ويرفضُ إصبَعها الخاتمْ...

ترفضُ أن تسقطَ فوقَ أكفكمُ،

كي تلتقطَ الحبَّ عصافيرْ...

ما دامَ دمُ الشاعرِ مهدورْ...

نحنُ جيعاً من غير أيادٍ،

نحنُ جميعاً من غير وجوهْ...

في أوتوجراف ساعة حائط

رائحةً كانت تجارةُ الرموشِ والأظافرْ
تجارةُ الضفائرْ...
فصارَ وجهه وساده...
فوقها تُراقصُ الفراشةُ الجرادهْ...
وصارَ وجههُ سجَّادهْ...
ولم تعدْ رائحة تجارةُ الأظفارِ والضفائرْ...
فصارَ وجههُ ستارَ مسرحٍ
وصارَ شاشةً بيضاءْ...
وزغردَتْ بنادقُ المقاومهْ...
وامتلأتْ خوذتُنا بالدمْ
وصارَ أعذبَ الأصواتِ،
صوتُ الدمْ...
فصار وجهه حجرْ...
وَضَاجَعُوا الحجرْ...
فصار ذلكَ الجدارْ...
عليهِ تُكتبُ القصائدُ المقطوعةُ الأثداءْ
وساعةُ الحائطِ: ببغاءْ

أ ، ب

(أ)

انا ابنُ جلا وطَلاّعُ الثنايا   متى أضعِ العِنامةَ تَعرِفوني

زوبعةٌ هبَّتْ وطارتِ العمامهْ

وصاحَ لاعقو حوافر الجوادِ،

لمْ تكنْ سوى حمامهْ

طارتْ، وصاحَ آخرونَ،

بلْ غمامهْ...

امَّا الذي راى فوقَ الذي رأوا،

فصاحَ:

لمْ تكنْ سوى عَلامهْ...

وبَعدَها القيامهْ

لكنَّها هناكَ كانتْ العمامهْ

في سلَّةِ القُمامَهْ

(ب)

أُعطيكَ كلَّ ما أعرفهُ،

منَ الأوزانِ والقوافي...

وكيفَ باعَ صانعُ السيوفِ نارَهُ،

وصارَ ذلكَ الإسكافي...
مسمارُهُ، يسرقهُ من كفٍّ مصلوبٍ
ومن تابوتْ
أسيرُ فوقَ رأسي،
يَستوي في ناظريَّ الوحلُ والياقوتْ
أقولُها بلا خَجَلْ
بقطةٍ ميتةٍ أبيعكَ القمرْ
والعُرْبُ أشرفُ أمةٍ
مَنْ شكَّ في قولي كَفَرْ

الرصاصة الأولى

المقطع الأول

جُمجمةُ فلسطينَ "المحبرةُ"
لنَغْمِسْ اغصانَ الليمونْ...
ولنكتبْ يا شعراءَ التينِ وشعراءَ الزيتونْ
وعلى أوراقِ الموزِ وفوقَ زجاجِ نوافذِنا
اشعاراً لفلسطينْ...
جمجمةُ فلسطينَ هي الخوذةُ
فوقَ الراسْ...
وهيَ الكأسْ...
فَلنشرَبْ في جمجمةِ فلسطينْ
نخبَ فلسطينْ...

* * *

وشَربنا القدحَ الأولَ والقدحَ الخمسينْ
وفلسطينْ...
غائبةٌ عن تلك المائدةِ الملعونهْ...
كانت – قيس المجنون – على – جبل التَّوباد –
وكانت ليلى المجنونهْ...

كانت تحتَ شبابيكِ العالمِ

تحلبُ ثديَيها،

وتبيعُ حليبَ الثديينِ الأسودَ لجميعِ اللُقطاءْ...

كانت من أكفانِ الشهداءْ

تصنع - أقماطاً للشعراءْ -...

كان سرادقُها مفتوحا

كان سريراً مفتوحا

يتتابع كلُّ الخطباءِ على جسد فلسطينْ

فوقَ سريرِ فلسطينْ

مملوكٌ يتبعُه مملوكٌ...

مِهراجا يَتْبَعُهُ مِهراجا...

- عظمُ فلسطينَ الأسودُ - أصبحَ - عاجا -...

"زنبقةٌ" في - عروةِ معطفِ مشنقةٍ -،

كانَ اسم فلسطينْ

والمشنَقَةُ تدورْ...

* * *

"سيرك فلسطينَ" سَيُفْتَتَحُ الليلهْ...

هاتوا مربوطاً بالأغلالِ - المعتصِمَ -،

وهاتوا في - قفصٍ خالدْ -

هاتوا ملفوفاً في النطعِ «المُتنبي»

محمولاً فوقَ بيارقهِ - سيفَ الدولهْ -

– سيرك فلسطين – سيُفتتحُ الليلهْ...

* * *

... وانفجرتْ – قُبعة الحاوي – في تلكَ الليلهْ

لم يبقَ هنالكَ في السيركِ مشاهدْ...

هربَ – المعتصمُ – وأمسكَ بضفائرِ – غزّةَ – خالدْ –

واختلطَ الحابلُ بالنابلْ...

وانطلقَ قطيع الثيرانِ يدوس "حديقةَ بابلْ"...

أينَ فلسطينْ...؟

لم يبقَ هنالكَ في "قفصِ السيركِ" فلسطينْ...

فلترقصْ تحتَ مصابيحِ الأرصفةِ فلسطينْ

كي نشربَ نخبَ فلسطينْ...

ما زالَ هنالكَ في الكرمِ عناقيدُ

ستُعصرُ باسم فلسطينْ

ما زالَ هنالكَ فوقَ حبال الشعراءِ

قصائدُ تَتدلّى ترشحُ باسم فلسطينْ

ما زالَ هنالكَ فوقَ السندانِ

حديدٌ يُطرقُ،

خوذاتٌ، حدواتٌ، "أوسمةٌ ونياشينْ"...

ما زالَ هنالكَ في الثلاّجةِ

لحمُ "صلاح الدينْ"...

المقطع الثاني

سقطتْ "غزةُ" في الفخْ...
انكسرتْ بيضةُ طيرِ الرخْ...
تلكَ الحرباءْ...
عارضة الأزياءْ...
سَرقتْ وجهَ الخنساءْ

* * *

وصَنعْنا من عُلَبِ السردينِ الخوذةَ
وغرسنا في الخوذةِ غُصنَ الليمونْ
وحَشونا بعيونِ الشهداءِ بنادقنا
واخجلَ بَنادِقنا...
ومضينا...
نطلقُ نيرانَ قصائدِنا
واخجلَ قصائدِنا...
واخجلَ حناجرِنا...
ضاقتْ ذرعاً بقصائدنا
أشجارُ الليمونِ وأشجارُ الزيتونْ...
فامتدتْ كالأيدي تصفعُنا أغصانُ الليمونْ
وامتدتْ تلتفُّ حبالاً حولَ الأعناقِ
جذورُ الزيتونْ
وأطلَّ حزيرانُ ومدَّ الكفين

باقراصِ العسلِ المسمومهْ...

مدَّ الكفينِ بتلكَ القافيةِ المشؤومهْ...

صارَ حزيرانُ "براقا"

صارتْ أقدامُ الشعراءِ الأعناقا

ركبوا، كلهمُ ركبَ براق حزيران،

فجمحَ وألقاهم عن صهوتهِ

تحتَ قوائمهِ وانتفضَ وطارا...

ماذا نفعلْ...؟

"والفرس عقيمٌ"، لنْ تلدَ بُراقاً آخرَ...

فلنضربْ في الرملْ...

هبتْ زوبعةٌ، ألقتْ في أعيُننا الرملْ

ومددنا للعرَّافِ الكفْ...

سقطتْ عينُ العرَّافِ،

انكسرتْ كالبيضةِ في الكفْ

حتى حين يكونُ لنا عرَّافٌ

لا يجرؤ أن يتنبأَ،

إذ يتحسّسُ ابداً عينيهْ...

وجهُ حزيرانَ هو "الحجرُ الأسودُ"

نلمسهُ، نتحسسهُ، ونحجُّ إليهْ...

المقطع الثالث

في ليلِ لا يَعرفُ فيهِ الضاربُ

فيِ الليلِ خلاصةْ...

انطلقتْ يا "فتحُ" رصاصةْ...

سالَ الدّمُ...

دَمُنا سالَ، عَرفنا ما هو لونُ الدّم

أنْسَونا ما هو لَونُ الدمْ...

كنا لا نعرفُ هل فيِ الشريانْ

دماءٌ أمْ ماءْ...

كنا نعرفُ كلَّ الألوانْ...

لونَ عيونِ رجالِ جوازاتِ السفرِ،

ولونَ الدينارِ، ولونَ القائمةِ السوداءْ

إلاّ لونَ الدمْ...

والآنَ الدمُ سالَ عَرَفناهُ،

وأمسكنا بالدمِ خيطا...

* * *

فلننزفْ يا "فتحْ"

سنموتُ إذا ضمّدنا الجُرحْ...

وليصبغْ دمُنا كل زجاجِ شبابيكِ العالمْ...

وليصبغْ وجهَ العالمْ...

هذا العالمْ...

فلنغرسْ تحتَ وسادتهِ إصبعَ ديناميتْ...

ما دُمْنا يا "فتحُ" على الأسلاكِ الشائكةِ نبيتْ...

لن يتمدّد هذا العالمُ فوقَ سريرْ...
هذا العالمُ أكلَ طويلا،
لحمَ فلسطينْ...
بالشوكةِ والسكّينْ...
أذنُ العالمْ...
عينُ العالمْ...
قلبُ العالمْ...
حنجرةُ العالمْ...
تفاحاتٌ مسلوقهْ
تفاحاتٌ مسروقهْ
في سلّةِ فاكهةِ المحتلينْ...
يا رجل ويا امرأة العالمْ...
دَمُنا يصبغُ دُميةَ طفلكْ...
دمنا يتبعك كظلكْ...
كوني معنا الآنْ...
كنْ معنا الآنْ...
كونوا معنا الآنْ...
يا سودَ ويا بيضَ ويا حمرَ ويا صفرَ العالمْ
كونوا معنا الآنْ...
نحنُ سنعطيكم شرفَ الإنسانْ
وشهادةَ ميلادِ الإنسانْ

نحنُ سنعطيكمْ اسمَ الإنسانْ

* * *

يا "فتح" ...

هذا الخيطُ من الدّمِ...

هذا السلكُ الذهبيْ...

"تليفونُ الثوره" ...

– هي ذي السماعةُ يا فتحْ

– آلو ... آلو ...

– العالم يسمعنا الآنْ...

– كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاصٌ يا "فتح" ...

– كلُّ رؤوسِ الأطفالِ، وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاح قنابل يا "فتحُ" ...

دا ... دا دا ... دا ... دادادا ...

بادادم... بادادم... بادادم...

العالمُ يسمعنا الآنَ...

– كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاص يا "فتح"

– كلُّ رؤوسِ الأطفالِ، وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاحِ قنابل يا "فتح"

دا ... دا دا .... دا .... دادادا ...

بادادم... بادادم... بادادم....

العالمُ يسمعنا الآنَ...

– كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاص يا "فتح"

– كلَّ رؤوسِ الأطفالِ وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاح قنابل يا "فتحُ"....

دا... دا دا.... دا.... دادادا...

بادادم... بادادم... بادادم....

دم... دم... دمْ...

ثلاثة جدران لهجرة التعذيب

عند طلوع الفجر

سأقاومْ...
ما زالَ في الجدارِ صفحةٌ بيضاءْ
ولم تذبْ أصابعُ الكفينِ بعدْ...
هناكَ من يَدقْ
برقيةٌ عبر الجدارْ
قدْ أصبحتْ أسلاكُنا عروقَنا
عروقُ هذهِ الجدرانْ...
دماؤنا تصبُّ كلُّها،
تصبُّ في عروقِ هذهِ الجدرانْ...
برقيةٌ عبرَ الجدارْ
قد أغلقوا زنزانةً جديدهْ
قد قتلوا سجينْ...
قد فتَحوا زنزانةً جديدهْ
قد احضروا سجينْ...

عندما ينتصف النهار

قد وضعُوا أمامي الورقْ،
قد وضعوا أماميَ القلمْ
قد وضعوا مفتاحَ بيتي في يَدي
الورقُ الذي أرادوا أن يُلطِّخوهُ
قالَ: قاومْ
والقلمُ الذي أرادوا أن يُمرِّغوا جبينَهُ في الوحلِ
قالَ: قاومْ
مفتاحُ بيتي قالَ: باسمِ كلِّ حجرٍ
في بيتكَ الصغيرِ قاومْ
ونقرةٌ على الجدار
برقيةٌ عبرَ الجدارِ من يدٍ محطَّمهْ
تقولُ: قاومْ
والمطرُ الذي يسقطُ
يضربُ سقفَ حجرةِ التعذيبْ
كلُّ قطرةٍ،
تصيحُ: قاومْ

بعد غروب الشمس

لا أحدٌ معي
لا أحدٌ يسمعُ صوتَ ذلك الرجلْ
لا أحدٌ يراهُ
في كلِّ ليلةٍ وحينما الجدرانْ
تُغلقُ والأبوابْ...
يخرجُ من جراحيَ التي تسيلْ
وفي زنزانتي يَسيرْ
كانَ أنا،
وكانَ مثلما كنتُ أنا...
فمرةً أراهُ طفلاً
ومرةً أراهُ في العشرينْ
كانَ عزائيَ الوحيدْ
وحبيَ الوحيدْ
كانَ رسالتي التي أكتبها في كلِّ ليلةٍ
وكانَ طابعَ البريدْ
للعالم الكبيرْ
للوطنِ الصغيرْ
في هذه الليلةِ قد رأيتُهُ
يخرجُ من جراحي، ساهماً معذباً حزينْ

يسيرُ صامتاً ولا يقولْ
شيئاً كأنهُ يقولْ:
لن تراني مرةً ثانيةً لو اعترفتْ
لو كتبتْ....

الحبر الأبيض

كم كُتِبَتْ بالحبرِ الأسودِ أغنيةٌ وقصيدهْ
كم كُتِبَ وكم طُبِعَ وبالحبرِ الأسودِ والأحمرِ
إعلانٌ وبلاغٌ وجريدهْ
فالحبرُ الأسودُ والأحمرُ والأزرقُ... إلخ
حبرُ السلطانْ...
حبرُ صديقي وصديقكم يا شعراءَ وكتّابَ السلطانْ...
حبرُ رقيبِ السلطانْ

* * *

يا وطني كُتِبَ علينا أن نكتبَ بالحبرِ الأبيضِ...
كُتِبَ عليكَ بأن تقرأ ما نكتبُ بالحبرِ الأبيضْ...
كُتِبَ علينا الحبرُ الأبيضْ
كُتِبَ عليك الحبرُ الأبيضْ

* * *

مكتوبٌ يا وطني مكتوبْ
مكتوبٌ في قاموسٍ وفوقَ جبينِ
وفوقَ حذاءِ رقيبِ السلطانْ
أن تصرخَ بالحبرِ الأسودْ
وتُغنّي بالحبرِ الأبيضْ...

أغنية الرجل والجواد

برميلُ حبرٍ فوقَ ظهرهِ،
وورقٌ ومطبعهْ
وبندقيةٌ ومكتبهْ
أيتها الحوافرُ المعذَّبهْ
والقدمُ المعذَّبَهْ
أمامنا مستنقعٌ مُطوَّقٌ،
وقريَةٌ مطوَّقَهْ
كلماتُ السرِّ للنجومِ سقطتْ،
وثقبتْ جبينَها رصاصهْ...
والشمسُ كلُّ خيطِ ضوءٍ صارَ سِلْكاً شائكا
أيتها الحوافر المسهّدهْ
والقدمُ المسهَّدهْ...
القمرُ الذي قد كان شهرزادَ كلِّ ليلةٍ،
ممدَّدٌ على سريرْ
مخدرٌ في غرفةِ الجراحهْ
ومبضعٌ يشقُّ صدرهُ،
قد تمتِ المؤامرهْ

لكنهُ لا بدَّ أن تواصلَ الأعناقُ سيرَها،
على حبالِ المشنقهْ
أيتها الحوافر الممزَّقهْ
والقدمُ الممزَّقهْ

* * *

- يا أيها المطاردونْ
لو تقدرونَ فاقْلَعوا،
أسنانَ كلِّ نجمةٍ،
لا بدَّ أن نواصلَ المسيرْ
وأن نواصلَ النّزيفْ
نموتُ إنْ توقفتْ أقدامُنا،
وإن توقفَ النزيفْ
فالمستحيلُ،
يصبحُ مرةً جُرحا
ومرةً سكينْ

* * *

برميلُ حبرٍ فوقَ ظهرهِ
وورقٌ ومطبعهْ
وبندقيةٌ ومكتبهْ
أيتها البنادقُ التي رصاصها عيوننا
لا تطلقي الرصاصْ

مأساتنا أكبرُ من جراحنا،

أكبرُ من عذابنا،

لا تُطلقي الرصاصْ

قد سقطَ الجوادُ في نهايةِ المطافْ

وفوقهُ سقطتْ

سقطتُ فوقَ الحبرِ والورقْ

فوقَ حروفِ المطبعهْ

على الحوافرِ الممزَّقهْ

وجاءتِ النسورْ

تنهشُ لحمي مرةً، ومرةً لحمَ الجوادِ

تنهشُ الورقْ

قد صَبغتْ مِخلبَها بالحبرِ،

صارَ في المنقارِ حرفُ المطبعهْ...

أيتها البنادقُ التي رصاصُها عيونُنا

لا تُطلقي الرصاصْ

* * *

قريتُنا التي جئنا لها بالحبرِ والورقْ

بسلةِ الحروفِ والكتابْ

قريتُنا لا تعرفُ القراءهْ

قريتُنا ما قرأتْ كتابْ

وما رأتْ جريدهْ...

قريتُنا التي جئنا لها بالحبر والورقْ

تحلمُ بالسنابلِ الخضراءِ والطاحونهْ

وحينما يضربها الزلزالُ بالحريّهْ

صارَ لها أغنيةٌ جديدةٌ حزينهْ

أغنيةُ الجوارِ والرجلْ

أغنية تظهرُ كلَّ ليلةٍ عريانةً

تنهَشها النسورُ فوقَ قمةِ الجبلْ...

القمر المحنط

السارياتُ في رؤوسها البيارقْ

كأنها البنادقْ

في رؤوسها السناكي...

فاليومَ يومُ الافتتاحْ،

يومُ السيركْ

يومُ المعرضِ الكبيرْ

وكلُّ مَنْ لهُ وطنْ

كانَ لهُ علَمْ

يا وطني

يا قمراً محنطاً صغيرْ

بلا وسادةٍ ولا سريرْ

أحملهُ في حقيبةِ السفرْ

مهاجراً من حجرةٍ فوقَ السطوحِ

من زنزانةٍ إلى زنزانهْ

من حانةٍ لِحانهْ

أخافُ أن أسيرَ تحت السارياتْ،

فالرياحُ عاصفهْ

أخشى سقوطَ ساريةْ

تقتلني، أخافُ أن أموتْ

تحتَ علَمٍ غريبْ

أخافُ أن أموتَ تحتَ علَمٍ أرفضُ،

كلَّ خيطٍ فيهِ،

يا إلهيَ الكبيرْ

يا وطني،

يا قمراً محنطاً صغيرْ

أحملهُ في حقيبةِ السفرْ

مهاجراً على جوادٍ من خشبْ

أبحثُ عن طروادةِ العربْ

مهاجراً شريدْ

أبيعُ للنجومِ خمرةً مغشوشةً

أبيعها طوابعَ البريدْ

مهاجراً أحاربْ

بالنرجسِ الذئابَ،

بالعنقودِ هذه الثعالبْ

سلاحيَ القصيدهْ

تبحثُ عن جريدهْ

تبحثُ عن جريدهْ...

جراحُهُ كانت تقولُ:

لا

اغلالُهُ كانت تقولُ:

لا

وفوقَ صدرهِ يمامةٌ أعطتهُ

كُلَّ ريشِها

ضفيرةً لجرحِهِ، كانت تقولُ:

لا

لا للذينَ باعوا واشتروا

خلخالَ غَزَّهْ.

لا للذينَ حطّموا مرآةَ غزَّهْ

باعوا الشظايا واشتروا إوزَّهْ

أيتها الإوزَّهْ

كفّي عنِ الصياحِ لحظةً،

ولتسمعيهِ مرّةً يقولُ:

لا

او عليهِ لم يمتْ تحتَ

أشعةِ – النيونْ –

بينَ الشمعدانِ والقمرْ...

أوِ عليهِ لا بلاغٌ في جريدهْ

لا جنازةٌ ولا قصيدهْ

أيتها الحجارهْ

لو تسمحينَ لي ببيتِ شعرٍ واحدٍ

أقولهُ لكلِّ لحيةٍ طويلةٍ ومستعارهْ

كفّي عن الصياحِ لحظةً

ولتسمعيهِ مرةً، يقولُ:

لا

جدارُ بيتٍ،

يُطعِمُ الشبّاكَ من أحشائهِ

ولا يسافرْ

طيـور المنـافي

وحطَتْ بنا الطائرهْ...

وصاحتْ طيورُ المَنافي هي القاهرهْ

طيورُ المنافي مناقيرُها في العِظامِ،

طيورُ المَنافي مناقيرُها في دَمي...

مطارٌ يسلّمُني لمطارِ

أُبيحَ دمي...

على جبهتي ألفُ تأشيرةٍ

وفي بطنِ حوتٍ جوازُ السفرْ

وأرضُ الوطَنْ...

* * *

حقائبُ مثل ذئابِ الثلوجْ،

يطارِدُها البابُ والنافذهْ...

حقائبُ تفقسُ فيها الأسودُ،

حقائبُ تحلبُ فيها العناكبْ

ونخّاسُنا عَبرَ كل القرونْ،

يبدّلُ جلداً وحافرْ...

ينادِمهُ في ليالي السَهارِ الطويلةِ شاعرْ

يطارِدُ شاعرْ...

ويملأُ مخلاةَ شاعرْ

ويقتلُ شاعرْ...

فقصّي الضّفائرْ

وبيعي الضفائرْ...

زُجاجةَ خمرٍ لشاعرْ

سريراً لشاعرْ

وكيف يريحُ جناحيهِ طائرْ...؟

فيوماً يقيمُ وعاماً يهاجرْ

وكيفَ يضمُّ جناحَيه طائرْ...

إذا لَمسَ القشَ ماتْ،

ويُصعقُ إن لمستهُ الغصونْ...

* * *

كفى تَلِدينَ، كفى تجهضينْ

فنحنُ بغير إلهٍ،

ونحنُ بغير جَبينْ

ولكننا مثلما قال شاعرْ

رَهَنّا البيارقَ بِعنا الخناجرْ

وعُدنا بهذي الحناجرْ...

* * *

أليسَ هنا في بلادِ النجومِ

وارضِ الخرافاتِ ساحرْ...؟

أليسَ هنا بطلٌ أو مقامرْ...؟

أكلُّ بطونِ الحبالى طبولْ

تدقُّ فلا صيحةٌ أو نشيدْ

لميلادِ طفلٍ جديدْ...؟

هو الرعدُ لا تَسمعي...

هو الموتُ لا تَفزعي...

فنحنُ شَحَذنا الأظافرْ

على صدرِ شاعرْ...

يقول رهنا البيارقَ، بعنا الخناجرْ...

وعدنا بهذي الحناجرْ...

وعادَ حزيرانُ طفلا

حَليبكِ قد صار وحلا

وطفلُكِ جائعْ

أنا وأنت وهو...

لم تكنْ الأشجارُ في قاموسهِ،
ولا الزهورْ...
ولم تكنْ هناكَ في قاموسهِ طيورْ
فكل ما يعرفهُ ما علّموهُ،
أن يقتلَ الطيورَ أولاً،
فَقَتَلَ الطيورْ
أن يكرهَ القمرْ
فكرهَ القمرْ...
وأن يكونَ قلبُهُ حجرْ
فكانَ قلبهُ حجرْ...
وأن يصيحَ "عاشَ أيُّ شيء"
"يسقطُ أيُّ شيء"
"يموتُ أيُّ شيء"

* * *

لم تكنْ الأشجارُ في قاموسهِ،
ولم يكنْ هناكَ في قاموسهِ،
أنا وأنتْ

كانَ عليهِ أن يقتلني،

انا وانتْ

فكل ما يعرفهُ،

ما علّموهُ،

ان يقتلني انا وانتْ...

الطاحونة

دجاجةٌ تبيضُ في جمجمة
وامرأةٌ ذابلهْ،
في آنيةٍ محطَّمهْ
خلفَ المتاريسِ، يذبحُ الجياعُ
كلَّ ليلةٍ،
نجمةً،
وطفلةٌ، تلقي بعرائس الطينِ
إلى الكبشِ،
الذي شُدَّ إلى السلسلهْ
طائرٌ يطلقُ الرصاصَ،
على الحوصلهْ...
انفجرتْ سنبلهْ

جئتُ لأدعوكِ باسْمكِ

أقدِّم أوراق اعتمادي كسفير

فوق العادة لبلاط الأميرة (سين) في قصر الملكة (جيم)

أحتجُّ يا مَليكتي

ففي المطارِ فتَّشوا حَقيبتي

وصادرُوا غزالةً مذبوحةً من الوريدِ للوريدِ

وكانتِ الغزالهْ...

شهادة اعتمادي

غزالةٌ مذبوحةٌ مصادرهْ...

تَصوَّري مَليكتي...

تَصوَّري المؤامرهْ...؟!

* * *

الحوتْ...

خبّأ يونسَ وحماهْ...

الحوتُ حمى يونسْ...

لكنّا نبحثُ في هذا الوطنِ الواسعِ

في هذا البحرِ الواسعِ،

نبحثُ عن حوتْ...

نبحثُ عن ورقةِ توتْ...

* * *

اعترفْ...

وشاهدي على الذي اقولْ،

وجهي الملفوفُ بالصحفْ...

اعترفْ...

بأنَّ وَجهي الجديدَ كان من خزفْ

وحينما سقطتُ فوقَ الأرضْ،

وَجهيَ انكسرْ...

* * *

مَليكَتي تَقبَّلي أو ارفضي،

اوراقَ الاعتمادِ...

فلستُ أطلبُ البراءهْ

ولستُ أَتَهّمْ

انا الذي رَقّعْتُ بالزجاج مِعطفي

انا الذي رَصفتُ بالفسيفساءِ خُوذتي

أنا الذي شَربتُ خمرةً مغشوشةً،

في كلِّ دارْ...

اصابني الدُّوارْ...

مَليكَتي تَقبَّلي او ارفضي

اوراقَ الاعتمادِ...

فعندَ بابِ القصرِ يا مَليكتي

اطلقتُ نارَ بُندقيتي

أطلقتُها على يَدي
فحينما تكونُ يا مَليكَتي القصيدهْ
كسيحةً لا تستطيعُ أن تصونَ
رأسَ ثائرٍ....
يموتُ بينَ النابِ والأظافرِ
فما مبررُ الحياةِ،
ما مبررُ الوجودِ كُلّه لشاعرِ

بطاقة شخصية

... ورَقصتُ على كلِّ سقوفٍ،
على كل شبابيكٍ،
على كلّ سطوحِ الزنزاناتْ
واكلتُ الرعدَ الأسودْ
بالشوكةِ والسكينْ...
في اطباقِ جميعِ السجّانينْ...
يا وَطني كنتُ مغنيكَ وشاعِرَكَ المقطوع الرأسْ
كنتُ بغيرِ يدَينْ
اتسلّقُ كلَّ جبالِ العالمْ
وشمْمُ جميعِ سجونِ الأرضِ على صدري
وطرقتُ جميعَ الأبوابْ
اخْفَتني عاهرةٌ،
ووَشى بي قدّيسْ
كان اللهُ معي...
لكنَّ اللهَ هُنالكَ يُدلي بشهادتهِ
في مركز بوليسْ
- فُتحَ المحضرْ....

– ما اسْمُكَ؟

– كمْ عُمْرُكَ...؟

– ما عُنوانُكَ...؟

– مِهنتُكَ... وكانت مهنتهُ اللهْ

صَبغوا بالحبرِ أصابعَهُ،

أخذوا بصماتِ اللهْ...

والتقطوا صورتَهُ...

كان اللهُ مَعي...

لكن اللهَ ورائي كانَ هو المخبرْ...

آلةُ تسجيلٍ قد غُرستْ في قَلبي

آلةُ تسجيلٍ قدْ غُرستْ في قلبِ اللهْ...

* * *

يا وطني منذُ رايتُكَ تترنَحُ سكرانْ

في كلّ الحاناتِ السريةِ والعلنيهْ

أصبحتُ مديناً ولكلِّ مرابي العالمْ

ورهنتُ جراحَ الجبهةِ

وجراحَ الأُغنيَّةْ

كي اعطيكَ، أنا المقطوعَ الرأسِ

الحريهْ

لكنْ مصباح عَلاءِ الدينْ

قد نَضبَ به الزيتُ

واشجارُ الزيتونْ...
لم تُعطِ لنا زيتاً منذُ سنينْ
اعطاني شَمشُونُ ضفائرَهُ،
لكنَّ دليلهْ
كانت يا وَطني تَتبعُني
كانت فوقَ سَريري
كانت تحتَ سريري
وعَشائي في تلك الليلةِ كانْ
كأساً من ريشِ العنقاءْ

* * *

جرسُ التليفون يرنْ
ألو، ألو، ألو،...
لكنَّ الأسلاكَ تُقهقهُ
في وَجهي يا وَطني
محرومٌ من صَوتِكَ
محرومٌ من صرخةِ ميلادكَ
محرومٌ من صرخةِ موتِكْ

* * *

ها أنذا الآنَ على المسرحِ
لم أحفظْ دوري
ومُلقِّنيَ الملعونُ المخمورْ

أعطاني دورَ اللصِّ
ولي دورُ الشاعرْ

* * *

ها أنذا في السيركْ
أضحكُ من فيلٍ يقفزُ فوقَ كُراتِ المطاطْ
أضحكُ من فيلٍ قد وَضعوا المنشارَ
على جبهتِهِ
نشروا عاجهْ
أضحكُ، من يضحكُ يا وطني
يضحكُ شاعِرُكَ المقطوعُ الرأسْ...؟!

* * *

يا كلَّ عشيقاتِ قراصنةِ العالمْ
أنتنَّ شُهودي
ألقيتُ القُفّازَ بوجه "الشاهْ"
فكنَّ شُهودي
أنا أعرفُ أني سأموتْ
لم أحملْ سيفاً طُولَ حياتي
أنا أعرفُ أني سأموتْ
لكني سأبارزُ وأقاتلْ...
وأنا أعرفُ أني سأموتْ

عزف منفرد على القانون

راسُ "ابيكَ" لم يزلْ مُعلّقاً في السورْ

تَنهشهُ الطيورْ

راسُ "ابيكَ" يا تفاحةً تحتَ حوافرِ الخيولْ...

وانت من يقولْ

وانت لم تزلْ تعاقرُ المُداما

وترتمي تصيحُ تحتَ أرجُلِ النّدامى

اليومَ خمرٌ فاشربوا

وفي غدٍ يكونُ امرْ

وفي غدٍ يكونُ خمرْ

يكونُ خمرْ

يكونُ خمرْ

* * *

لو انَّهُ يَنزلُ عن صليبهِ لو انهُ يُفيقْ

من سكرةِ الردى

لأنكرَ الصوتَ وأنكرَ الصدى

وأنكرَ الحواري

وأنكرَ الجواريْ

وربما شُنِقْ

وربما احترقْ

وربما بَصَقْ

في وَجهنا جميعاً...

* * *

اللهُ... ثلاثةُ شعراءْ

الأولُ ماتَ يدافعُ عن "سيفِ" الدولهْ

والثاني ماتَ يدافعُ عن "طبلِ" الدولهْ

والثالثُ عاشَ يدافعُ عن "أحذيةِ" الدولهْ

والرابعُ منْ...؟!

* * *

والذي كانَ وطنْ...

أصبحَ اليومَ قضيَّهْ...

لا تلومُوا البندقيَّهْ...

حينما ماتتْ ولم تتركْ وصيَّهْ

* * *

على سَحابهْ...

كتبتُ "تسقطُ الرقابهْ"...

فصادروا السماءْ...

ثلاثيـة

وَرِثتُ عن أبي لهبْ
وزوجهِ، حمّالةِ الحطبْ
وَرِثتُ جمرةً وحبلاً من مَسدْ...
الحبلُ في أيديكمو
والجمرُ في يدي

* * *

كانَ بلالُ يؤذّنُ في جَرَّهْ
كان العبدُ المؤمنُ يملكُ فمهُ...
لكنَّ من يملكُ مِنّا فمهُ الآنْ
ويؤذّنُ في إبريقٍ او جَرَّهْ
او في ثـُقبِ الإبرهْ

* * *

أجراسُنا مُحطَمهْ...
والجُمْجُمَهْ...
وقارعُ الأجراسِ لم يزلْ
يهزُّ حَبلهُ،
لكي تدقَّ تلكَ الجُمْجُمَهْ...

تك... تك... تك

... حتى النطفة كانت من خوفٍ تتحجَّرْ

في الرحمِ وتخشى أن تكبرْ...

تخشى الوأدا

وإذا النطفةُ راحتْ تتَحدَّى

ومضتْ تكبُرْ...

طاردَها في الرَحم المخبرْ...

* * *

تِكْ... تِكْ... تِكْ...

لا...

ليست دقةُ ساعةِ حائطْ...

ليستْ دقةُ قلبْ...

تِكْ... تِكْ... تِكْ...

دقةُ قلبٍ آخرْ...

انتزعوا القلبْ...

آلةُ تسجيلٍ زَرعوها،

في صَدرِكَ، في صَدري،

في صَدرِ مَدينتِنا، بَدَلَ القلبْ

تِكْ... تِكْ... تِكْ...

* * *

نتكلمُ أكثرَ مما نكتبُ

ما نتكلمهُ،

لا نَكْتبهُ،

ما نَكتبهُ ليس سوى القِشرْ...

يا ناقدَ هذا العصرْ

لا تبحث عنّا فوقَ الأوراقِ العَلَنيهْ

أجملُ... أصدقُ... ما قُلناهُ... هَمسناهُ

هنالكَ فوقَ الأشرطةِ السرِّيهْ...

* * *

تلك الأشرطةُ السريهْ...

لا تحرِقْها...

أبقِ عليها

هذي الأشرطةُ السريهْ

دَعني أسمعُها

نخبَ الرّعْب

نيشاناً للرُعبْ...

* * *

حملَ الجنّيُّ الشاعرَ فوقَ جناحيهِ وطارْ...

– كيفَ تَرى الأرضْ....

– في حجمِ الغِربالْ...

- طارَ الجنيُّ وطارْ
- كيف تَرى الأرضْ؟
- في حجمِ الكفْ...
- طارَ الجنيُّ وطارْ
- كيفَ تَرى الأرضْ...؟
- في حجمِ العينْ...
كيف تَرى الأرضْ...؟
- أصغرَ من ثقبِ الإبرهْ...
- طارَ الجنيُّ وطارْ...
- كيف تَرى الأرضْ...؟
- أعطى الجنيُّ مظلتَهُ للشاعرْ
هَبطَ الشاعرْ
سَقَطَ على كتفيْ مخبرْ...!

لحن للموسيقار ميكيس ثيودراكيس

لأغنية شاعر يوناني كان اسمه "نعم"

"نعمْ"

"نَخبَ نعمْ"

"هورا لنعمْ"

الرجلُ الذي قد كان اسمُهُ "نعمْ"

يطحنُها بكوعهِ ملحاً وسكراً "نعمْ"

تسقطُ من جَبينهِ كقطرةِ العرقْ

فوقَ الورقْ

"نعمْ"

الرجلُ المزوَّقُ... الورقْ

الرجلُ الذي بلا عُنقْ

الرجلُ الذي كلامُهُ،

قدْ كانَ كلُّهُ "نعمْ"

ومرةً واحدةً قدْ قالَ: "لا"

ورأسهُ تحتَ الوسادهْ

ولمْ يكنْ هناكَ غيرُ "بطنِ زوجهِ المنتفخِ الكبيرْ"

تحتَ ملاءةِ السريرْ

ذاكَ "الجنينُ" كانَ "المخبرَ الصغيرْ"

وشى بهِ "وأوأ باسمهِ"
لحظةَ "انْ وُلِدْ"

* * *

الوردةُ الصغيرهْ...
في غابةِ البلوطِ والجذوعِ الضخمةِ الكبيرهْ
في "الأكروبول" في حديقةِ الأحجارِ،
والأعمدةِ الكسيرهْ
تقولُ: إنَّ الرجلَ الذي قدْ كانَ
اسمهُ "نعمْ"
الرجلُ الذي كلامهُ قدْ كانَ
"كلَّهُ نعمْ"
ومرةً واحدةً قدْ قالَ: "لا"
لكي يذوقَ مرةً وفي الحياةِ خمرَ "لا"
قد قالها وما درى
وبعدَها اختفى...

المطاردة

جاسوسٌ يتعقبُ جاسوسا
والجاسوسانْ
خلفَهما جاسوسانْ
والأربعةُ جواسيسٍ
خلفهمو اربعةُ جواسيسْ
حتى ظل الإنسانْ
هذا المنديلُ من الورقِ
هو الجاسوسُ عليهِ
حين يسيرُ ويفتحُ للشمسِ
ذراعيهِ وعينيهِ...
فالأذنُ اليمنى تتجسَّسُ وتسجِّلْ،
ما تسمعهُ الأذنُ اليسرى
والأذنُ اليسرى
تتجسَسُ، تَرصدُ،
ما تسمعهُ الأذنُ اليمنى
والعينُ اليمنى
والعينُ اليسرى

والأذنانِ هما العينانِ على العينينْ

والعينانِ هما الأذنانِ على الأذنينْ

والقلبُ هو الأذنُ هو العينْ

أينَ يفرُّ الإنسانُ بجلدِهْ

وعيونُ المخبرْ

كطوابع قد لُصقتْ فوقَ الجلدْ

وابتدأَ المزادْ...

وحُمِلَتْ على محفةٍ لخيمةِ الإسكندر المقدوني

واحتَلبوا لها غزالةً ولبوءهْ...

واغتسلتْ

وبُخِّرَتْ وعُطِّرَتْ

ونفَخوا في البوقْ...

وجيءَ بالسريرْ

وأقبلَ الإسكندرْ

يا قمرَ الإسكندرْ

ضاجَعها الإسكندرْ

ضاجَعها حتى صياحِ الديكْ

ثمَّ عافَها،

ووُهِبَتْ إلى ملكْ

وبعدَ ليلتينِ عافَها وحُملت في هَودجٍ

وأُهديَتْ إلى اميرْ...

واحترقتْ حديقةُ البخورْ

ثم اهديتْ إلى وزيرْ

للرجلِ الأولِ والخمسينَ في بطانةِ الوزيرْ
وحينما قد طُعنتْ غزالةُ البحر...
وأصبحَ القمرْ
عيناً من الزجاجْ
تحوَّلتْ سُرَّتها إلى قَدحْ...
ونخبَها قد شربَ الملوكُ والثوارْ
تعلَّمتْ كيفَ تضاجعُ الملوكَ والثوارْ
هذا الشتاءُ لا تمرُّ في سمائِنا،
ألوانكَ الحمراءُ والزرقاءُ والخضراءُ،
كالوحولِ فوقَ وجهِنا،
كالصمغِ يا قوسَ قزَحْ
فمسرحُ الليمونِ والزيتونْ،
لم يعدْ لهُ ستارْ
والديكُ صاحَ ينعى شهريارْ
ومرةً خامسةً يبتدئُ المزادْ
وشهرزادْ
مقطوعةُ اللّسانِ في شُبّاكِها مصباحُها،
مقصوصةُ الضفائرْ
تقولُ: إنها قدْ حُملتْ على محفّةٍ،
لخيمةِ الإسكندرْ المقدوني
وبعدَها قد وُهبتْ إلى ملكْ

ثمَّ إلى اميرْ...

ودارتْ دورةُ السريرْ

فحُمِلَتْ إلى وزيرْ

وأُلقيتْ من بعدهِ لآمرِ الجنودْ

ضاجعَها... ضاجعَها... ضاجعَها

ثم رمى إلى العَسَسْ

ثم إلى العَسَسْ...

ثم إلى العَسَسْ...

قصيدة إلى بريد القراء في جريدة المقاومة

لا تَغضبوا
إنْ لمْ أجئكمْ في مواسمِ البارودِ والزلازلْ
بسلةٍ من الرصاصِ والقنابلْ...
إن لم أعلّقْ فوقَ هذهِ الجدرانْ
قصيدتي إعلانْ...
إنْ لمْ تُزاحمِ الأيدي التي تمتدُّ نحوكمْ يدي
أسألكمْ بطاقهْ
تركتُ للذينَ يحملونَ هذهِ البطاقهْ
ما أكثرَ الذينَ يحملونها
ويسرقونَ كلَّ ليلةٍ جبينها
أنْ يكتبوا عنِ الجراحِ فوقَ جبهةِ الطاحونهْ
وكلّما أرادوا يكتبونَ عن بطولةِ الزيتونهْ
فحينما قد كنتم الشرارهْ...
وكنتمُ البشارهْ...
أحببتكمْ.
أحببتُ ضعفَ ذلك المبشرِ الصغيرْ
ووجهَهُ المليءَ بالطهارهْ...
يحملُ مثلَ شمعةٍ في يدهِ

سؤالَهُ الكبيرْ...

كانَ المبشرُ الصغيرْ

يكرهُ الإعلانَ والجرائدْ

والريشةَ الزرقاءَ في قبّعةِ القصائدْ...

وحينما استبدلتُمُ بهمسةِ الضياءِ

صرخةَ الصواعقْ...

وحينما استبدَلتُم "بآلةِ الرونيو" المطابعْ

وقفزتْ في "بركةِ الحبرِ" الضفادعْ

وأصبحَ الولاءْ

قصيدةً شمطاءْ

تقطرُ بالدماءْ...

تَركتُ للضفادعْ

مستنقعَ المطابعْ

وجئتُ سائلاً عن ذلكَ المبشّرِ الصغيرْ...

وجدتُهُ قتيلاً تحتَ حائطِ الإعلانْ...

وحولَه مقاولو الورودْ

وهمْ هناكَ يجمعونْ في خوذتهِ النقودْ

يا أيها الذينَ يكتبونَ جُرحَنا خبرْ

ويقرأونَهُ خبرْ

ونحنُ في "ألبومهمْ" موتى لهمْ صور

لو تَكتُبونَ مرةً واحدةً عن الكذبْ

وأنَّ سارياتِ هذهِ البيارقْ

أعوادُ غابةٍ من المشانقْ
وأنَّ تحتَنا زنزانهْ
وفوقَنا زنزانَهْ
وأن ألفَ مخبرٍ يُسقِطُهمْ
فوقَ جبالنا القمرْ
وأن كلبَ البحرِ في "بحيرةِ المرايا"
ينتظرُ الضحايا...
يا سادتي، الذينَ رأسُنا في يَدهمْ رُمَّانهْ
يا فاتحي الزِّنزانهْ...
يا سادتي النُّجُبْ
لا تقتلوا الإوزَّةَ التي تبيضُ في عيونكمْ
تبيضُ في آذانكمْ
وفي جيوبكم ذَهبْ...

* * *

يا جلدَنا يا ورقَ المطابعِ الخَشنْ
به تُلَفُّ في جرائدِ الصباحِ والمساءِ يا وطنْ...
يا جلدنا حذارْ...
يا وَجهنا حَذارْ...
يا وجهنا الذي أراهُ كلما استدارْ
وكلما أوشكَ أن يصيرَ بدرا
أطلقوا عليهِ النارْ...

النقش بالإزميل والرسم بالطباشير على "جلد غزة"

لا – مانيكانْ –

تَعرضُ احدثَ ازياءِ الموتْ

لا "أوركسترا للموتْ"...

يا "ملكةَ عصرِ الصمتْ"....

في "منفضةِ التبغْ"...

كلُّ الأوزانِ، وكلُّ قوافيها،

في منفضةِ التبغِ وفي صندوقِ قمامهْ

كلّ الأوزانِ وكلّ قوافيها

لم تملأ يوماً حوصلةَ حمامهْ

تبحثُ عن وزنٍ، عن قافيةٍ للموتْ

تبحثُ عن صندوقِ بريدكِ

يا ملكةَ عصرِ الصمتْ

الشاعرُ "كالجرسون"...

يكتبُ بالشوكةِ فوقَ الصحنْ...

يكتبُ ويُحَطِّمُ فوقَ الأرصفةِ صحونهْ...

ماذا نَكتبُ نحنُ عصافيرَ الشمعِ، المربوطة بالصمغِ،

والواقفة على أسلاكِ التليفون...؟

لم يبقَ لنا غيرُ الأرصفةِ وغيرُ الجدرانِ،

"وإصبعُ فحمْ"...

لم يبقَ سوى الإبرةِ والخيطِ ومنديلْ

والنقش على جلدِكِ بالإزميلْ...

في المكتبة تُباعُ "بدينارٍ من خشبٍ"،

"محبرةُ الدمْ"...

وعلى الأرصفةِ – الجرحى – "جرحاكَ".

يُبيعون "زُجاجاتِ الدمْ"...

* * *

ليسَ لها "تليفون"...

لم تصرفْ يوماً "شيكاً"،

من "مصرف حطينْ"...

وقَّعهُ "بالسيفِ صلاحُ الدّينْ"...

لم تصرخْ يوماً "وامعتصماهُ"...

ولم تَرقصْ فوقَ "دنانيرِ المأمونْ"...

* * *

انتهتِ اللعبةُ والعصفورُ الجائعُ

مَن مدَّ المنقارَ، لحبةِ قمحٍ في الطاحونْ

يسقطُ في الطاحونْ...

أنا لا أتَّهمُ المرآةَ الصلعاءَ وأمشاطَ العاجْ

زَيَّفْنا البرقَ وزيَّفنا الرعْد...
وطَبعنا فوقَ الأربطةِ على جُرحِكِ
اوراقَ النقدْ...
ألقينا بجميعِ رسائلنا،
بجميعِ قصائدِنا،
في صُندوقِ بريد إوزَّهْ...
ونَسينا عنوانك يا "غزَّهْ"...
يا مَلِكةَ عصرِ الصمتْ...
لا وزنٌ، لا قافيةٌ للموتْ...

نلقاكم في كشوف القتلى
على جبهة السويس

(كتب بعض طلاب الجامعة العبرية الإسرائيلية على شهادات تخرجهم (إبان حرب الاستنزاف).
لبعضهم البعض: نلقاكم على جبهة السويس).

"يائيل دايان" الرحّالهْ
فوقَ النقّالهْ...
آلتُها الكاتبةُ على رُكبتها،
ستظلُّ روائيهْ...
يكتبُ عنها "نُقادُ وكالاتِ الأنباءِ الأمريكيهْ
ما دام هنالك فوقَ كشوفِ القتلى الإسرائيليين
ما بين اسم قتيلٍ وقتيلْ...
ما بين اسميْ "شاوولَ" و "راحيلَ"
يمكنُ أن يكتبَ عنوانُ روايهْ...
أو سَطْرٌ في قصهْ...
تلكَ اللصهْ...
تَظهرُ فوقَ غلافِ كتابْ...
حينَ يُهال على وجهِك يا "ميريامُ" ترابْ
وتوقّعُ بالشوكةِ فوقَ كؤوسِ المدعوينْ،

إلى حفلةِ كوكتيلْ...

حين زُجاجُ النافذةِ ببيتكِ...

يتكسّرُ يا "راشيلْ"...

* * *

"يائيل دايانْ"...

ستظلُّ روائيةْ

يكتبُ عنها نُقادُ وكالاتِ الأنباءِ الأمريكيةْ

لكن انتَ هنالكَ في سيناءْ

أو في المرتفعاتِ السوريةْ

او في احدِ شوارعِ غزهَ تنتظرُ الموتْ...

خلفَ جِدارِ الدبابةِ أو كيسِ الرملْ

مَنْ يكتبُ عنكْ...؟

انتَ، وانتَ تحلقُ بالفانتوم من يكتبُ عنكْ...؟

بعد ثوانٍ أو بعدَ دقائقَ ستموتْ...

محترقاً، او تَهبطُ بالباراشوتْ...

وستظهر صورتُك على صفحاتِ جريدهْ...

طيّارُ الفانتوم: "دانيالْ"...

اسمُكَ لا يظهرُ إلاّ في قائمةِ القَتلى

أما صُورتُكَ فلا تظهرُ إلاّ في "ألبوم الأسرى"...

إما أن تُقتَلَ او تؤسَرْ

هذا هو قَدرُكَ...

ليسَ هنالكَ قَدرٌ ثالثْ...

ليسَ هنالكَ نَخبٌ ثالثْ...

يمكن أن يَشربهُ الجنرالْ

أن يشرَبَ نخبكَ مأسوراً...

أو يشربَ نخبكَ مقتولا

* * *

طيارُ الفانتوم: "دانيالْ"

أنا أعرفُ وجهَكَ...

فالأضواءُ الكاشفةُ على وجهِك...

اذكرُ وجهك حينَ تسلَّلتَ على ظهرِ سفينهْ

ورستْ بكَ في منتصفِ الليلِ على شاطئ حيفا...

لم تتجاوزْ بعدُ الخامسةَ من العمرْ...

حين تسللَتَ إلى - الكيبوتز -...

هرباً من "أوشفتز"...

وهناكَ تعلَّمتَ الحقدَ على كلِّ اسمٍ فلسطيني

أعطتكَ فلسطينُ الأقماطَ الأولى

من ورَقِ الداليةِ ومن ورقِ الزيتونْ...

لكنْ ماذا أعطيتَ فلسطينْ...؟

بدلَ الزيتونةِ يا دانيالُ رصاصهْ...

في صدرِ الشجرهْ...

بدلَ ضياءِ الزيتْ...

لهيبَ البارودْ...
بدلَ القُبّعهْ من القشْ
صارَ على راسكَ خوذهْ...
* * *
دانيالُ... الطيارُ وجنديُّ الباراشوتْ
يائيلُ الرحّالهْ...
فوقَ النقّالهْ...
ألتها الكاتبةُ على ركْبتها تكتبُ عنكْ...
انكَ في طائرةِ الفانتومْ،
ومظلّتُك على ظهركَ،
اقربُ من أجدادكَ للهْ...
اجدادُكَ لم يرتفعوا أكثرَ من ناطحةِ سحابْ؟
كي يقتربوا يا دانيالُ من الله...
لكنكَ في طائرةِ الفانتومْ...
أقربُ من أجدادكَ للهْ...؟!
انا لا أعرفُ حرفاً في اللغةِ العبريهْ...
كي تقرأ ما اكتبُ عنكْ....
لو قُدِّرَ لكْ...
أن تحيا بضع ثوانٍ أو بضعَ دقائقَ أخرى...
لكنَّ الجنرالَ سيقرأُ في الحمّامْ
وهو يدندنُ في – البانيو – تحت الماءْ

اسمكَ في كشفِ القتلى في سيناءْ...

أو في المرتفعاتِ السوريهْ...

أو في أحدِ شوارعِ غزَّهْ...

وسيغتسلُ الجنرالْ...

وسيسقطُ اسمكَ يا "دانيالْ"...

في البانيو رغوةَ صابونْ...

على قبر كُلَيب

اطعنهُ في الخاصرةِ اليسرى
بجناحِ حَمامَهْ
اطعنهُ بينَ العينينِ
بغصنِ الزيتونْ
هذا عصرُكَ يا جَسَّاسْ
هذا عَصرٌ يُشربُ فيهِ،
نخبُ السيفِ الأحدبِ،
يا جَسّاسُ الكاسْ
شُقَّ بجرَسٍ صدرَ كليبْ
وانتزعِ القلبْ...
ضَعْ بدلاً منه زجاجهْ...
او راسَ دَجاجهْ...
أو علبةَ كبريتٍ ..
او قِطعَةَ صابونٍ...
او مِقبضَ سكينْ
أوَليسَ المقطوعُ الراسِ
هو الشاعرْ؟

مأساةُ الدُّبّ "مُراد"

الجوقة: ضُبطَتْ في حوزته أنيابٌ ومخالبْ...

الدَمُ فوقَ النابْ...

والدمُ فوقَ المِخلبْ...

والدمُ فوقَ الكُرباجْ...

الدمُ فوقَ الكُرباجْ...

المحقق: اسمكَ...؟

الدب: الدبُّ مرادْ...

المحقق: عمركَ...؟

الدب: خمسةُ أعوامْ...

المحقق: مهنتكَ...؟

الدب: مُهَرِّجْ...

في السيركِ المفتوحْ...

المحقق: انتَ القاتلْ...

الدب: أنا...؟!

(كأنه يحدث نفسه)

كنتُ اموءُ، ازغردُ، كنتُ اصفّقُ

لا اخفي من العابي فوقَ الحلبهْ

ايةَ لُعْبهْ...

العبُ احسنَ، كي يقبضَ أكثرْ...

المحقق: جاوبْ في كلمه...

انت القاتلْ...

الدب: (يواصل حديثه لنفسه وكأنه لا يسمع)

كنتُ أجوعُ واعطشُ،

حينَ يَجيءُ إليْ...

يشكو لي فَقْرَهْ...

ويُحَدِّثني عن اطفالهْ...

كنتُ اقولُ لهُ خذْ لبَني...

اعطِ اللبنَ لأطفالكْ...

(يسكتْ لحظةً ثم يواصل حديثه لنفسه)

الدبُّ مرادْ...

كانَ يقدِّمُ عَسَلَهْ

كان يقدِّمُ لبنَهْ

كي يسمعَ ضحكةَ طفلِ

لكنْ من منكم سوفَ يصدقني

لا احدٌ منكمْ...؟

المحقق: ما زال سؤالي...

انتَ القاتلْ

الدب: انا لم اقتلهْ...

أنا كنتُ أمثّلُ حينَ قَتَلْتُهْ

طلبوا مني أن أقتلهُ...

فوقَ الحلبَهْ...

المحقق: طَلبوا منكْ...!

من همْ...؟

منْ حرَّضكَ عليه...؟

الدب: كلُّ الحيواناتِ بهذا السيركْ...

إني أسألكَ الآن...

من منها يَلعبُ فوقَ الحلْبةِ دورهْ؟

فالكلبُ يدخنُ غليونا...

هل هذا هو دورُ الكلبْ...؟

والذئبُ يؤلفُ الموسيقى

هل هذا هو دورُ الذئبْ..؟

والفيلُ يهزّ البطنْ...

هل هذا هو دورُ الفيلْ...؟

والأسدُ بمخلبهِ يبصمُ...

هل هذا هو دورهْ...؟

لو كلُّ الحيواناتِ بهذا السيركْ

يلعبُ دورهْ...

ما طلبوا مني أن اقتلَهُ...

(يسكتُ لحظة ثم يواصل الحديث)

من منا يلعبُ دورهْ...؟

جئتَ الآنَ تحققْ...

هل هذا هو دوركَ...؟

هذي هي مأساتي

مأساةُ جميعِ الحيواناتِ هنا وهناكْ

في هذا السيركِ وفي ذاكَ السيركْ

هذي هي مأساةُ الدبِّ مرادْ...

لو كلٌّ يلعبُ دورَهْ...

في السيركِ المفتوحْ...

لم يقتلْ احدٌ احدا

انا اعلمُ انّي سأموتْ...

مشطُ رصاصٍ ينتظرُ الدبَّ مرادْ

لكن أُوصي

انا أُعطي جلدي لهمو...

أُعطي اثمنَ ما يملكُهُ الدبْ...

أُعطي الجلدَ لأطفالهْ...

(ستـــار)

دفاع الأسد عنترة

(في حديقة الحيوان بالقاهرة، نسي المروض باب القفص مفتوحاً، وحينما رأى الأسد وكان اسمه عنترة أمامه، سقط على وجهه ميتاً، وظل الأسد يدور حوله دون أن يمسه...).

أنا شاعرْ...
الشجرةُ كانت قافيتي...
والشلالُ الهادرُ وَزني...
كلماتي كانت طَلقاتُ رصاصِ الصيادينْ
حتى اختطفوني شبلاً...
حتى أصبحَ قفَصي وَطني...
وكَبرتْ...
عاماً بعد الآخر وعرَفتْ...
انهمو سَمَوني "عنترةَ العبسي"...
أولُ ما أعترضُ عليه: هو اسمي...
فأنا أكرهُ حَنْجَرَتَهْ...
أكرهُ قافيتَهْ...
أكرهُ صوتَ الطبلِ ولا حربْ...
وصرختْ:

اعترضُ على اسمي...

وزارتْ...

وزارتْ...

حتى خَافوا...

دسّوا قطعةَ أفيونٍ...

في جوفِ شريحةِ لحمٍ...

واكلتْ...

وتخدّرتْ...

قَطعوا حنجرتي قالوا: زائدةٌ دوديهْ...

الحنجرةُ هي الزائدةُ الدوديهْ...

لكنَّ الحيوانات احتجّتْ...

أعلنتِ الإضرابْ...

ما عادَ هنالكَ شباكُ تذاكرْ...

واتوا وأنا نائمْ...

حقنةُ أفيونٍ في عنقي وتخدَّرتْ...

وصحوتْ...

وصرختْ...

زرعُوا بدلَ الحنجرةِ المقطوعهْ،

تسجيلاً لصَهيلِ جوادْ...

صارَ زئيرُ الأسدِ صهيلاً...

وصَهلتْ...

وبكيتْ...

ما أعظمَ مأساتي...

اسمي عنترةُ العبسي

وزئيري صارَ صهيلَ جوادْ

وتمرّ الأيامُ وضوءُ الشمسِ بعينيَّ رمادْ

وأنا أنتظرُ السّجّانا...

جعلوا مني مانيكانا...

حتى واجَهْتُهْ...

أولَ ما وَاجَهني...

سَقَطَ على وجْهِهْ...

انا لم أقتلهْ...

أول ما واجهني صرخَ،

وماتَ من الرعبْ...

اول ما واجهني

وَقفَتْ دقاتُ القلبْ...

كلاكيت أول مرة من فيلم
قرص أسبرين لأبي الهول

ذات صباحٍ فتّحتْ زهرةُ لوتسٍ
في أذنِه اليمنى،
وخَرجَتْ من أذنهِ اليُسرى يمامهْ...
وظَهرتْ على جبينِهِ عَلامهْ...
وقالَ تُرجمانٌ: إنها العذراءُ جاءتهُ
وقَبّلتهُ في الجبينْ...
وهتفتْ كأنها الورقاءُ في الضُّحى،
يا ولدي الحزينْ...
وظهرتْ من بعدِ تلك القبلةِ الرُّموزُ والعلامهْ
وترجمانٌ آخرُ قدْ قال: إنها الحمّى التي تصيبهُ
من زمنٍ إلى زمنْ...
وكلما انكوَتْ بسيخِ نارٍ جبهةُ الوطنْ
وترجمانٌ ثالثٌ قد قال: إنه مصدّعٌ حزينْ...
من فرطِ ما قد صوروهُ مرةً على أوراقِ نَقدِنا
ومرةً على طوابعِ البريدْ...
أعطوهُ قرصَ أسبرينْ...
وترجمانٌ رابعٌ قد قال: إنه السأمْ
وهو يريدُ أن يهاجرْ...

وترجمانٌ خامسٌ حدّقَ في الرموزِ والعلامهْ
وصاحَ: إنها بدايةُ الكلامِ أو بشارةِ القيامهْ...
وزحفتْ مكبراتُ الصوتِ والمصورونْ...
وكلّ مَنْ يكتبُ بالمسمار والوتدْ...
وجاء هودجُ الذي يقيسُ طولَ الحرفِ،
عَرضَ الحرفِ، عُمقَ الحرفِ، كاشفُ الغطاءْ
عن كلِ ما تحت وفوقَ الحرفِ من كلامْ...

* * *

وصَمتَ الجميعْ...
وانتظرَ الجميعْ...
من فرطِ ما يُحسُّهُ من الآلامْ...
سوفَ يقولُ شيئاً، سوفَ يبدأ الكلامْ...
وفجأةً تصَبّبَ الجبينُ بالعرقْ...
وراحَ يَرتعشْ...
وجَحظتْ وارتفعتْ كأنها الأشرعةُ الآذانْ...
وصاحَ تُرجمانٌ: دثرورهْ...
وصاحَ ترجمانٌ: صورروهْ...
– كلاكيت
"وأبو الهول" نظرْ...
ونظرْ...
ثم أدارَ وجْهَهُ ولم يزلْ...
ولم يزلْ...

المهَرِّجونْ...
عيونُهمْ مطرَّزاتٌ فوقَ مِقبضِ السكينْ
وانت صرتَ كالغزالِ
قد مضوا يطاردونهُ يا مالكَ الحزينْ
حذارِ كلُّ هذه "البلابل" التي ترى،
مصفوفةٌ هناكَ فوقَ الأرصفه...
منظمةٌ في خيطِ عقدٍ واحدٍ،
تصيحُ كلّها مزَيَّفهْ...
وليسَ فيها بلبلٌ أمينْ...
يا مالكُ الحزينْ
وأيُّ تاجٍ فوقَ راسنا
وأكبرُ الأزرارِ فيه "بيضةُ النعَّامَةْ"
وبيضةُ اليمامهْ
مكسورةٌ في كَفّنا،
ونحنُ طُولَ عُمرِنا،
نظنُّ ان "تحتَ الظفرِ جوهرهْ"
ونحنُ طولَ عُمرنا،

نهزّ بطنَ الحنجرهْ...
وأنتَ وحدكَ الذي لم يَغرس المنقارَ،
ذاتَ يوم واحدٍ في محبرهْ...

* * *

يا مالكُ الحزينْ...
وقبَّعاتُنا "كؤوسنا"،
رؤوسُنا "مراوحْ"...
تدورُ أينما يديرُ وجههُ الكذبْ
يا صاحبَ الجلالةِ الكذبْ...
هناكَ في منقارِ مالكِ الحزينِ جوهرهْ
من أجلها تراهُ صامتاً حزينْ...
يصونُها بصمتهِ،
ويصطلي بريقَها بقلبهِ،
لِتُبْقِهَا لهُ،
فتاجُكَ المزدانُ فيهِ ألفُ جوهرهْ...
لتُبْقِهِ لنا،
ففي الحديقةِ الغنّاءِ ألفُ طائرٍ جناحُهُ
سَجادهْ
مرةً، ومرةً جناحُهُ وسادهْ
لتبقِهِ لنا، يا صاحبَ الجلالةِ الكَذبْ
لتبقِ مالكَ الحزينْ

العن أحفادك يا جدي

العنْ احفادكَ يا جدّي...
واحملْ كلَّ جذوركَ وارحلْ يا شجرَ الزيتونْ
وتعالوا يا شعراءَ النكبةِ والخيمةِ والليمونْ...
لموا خِرَقَ قصائدكم
وافترشوها تحتَ السورِ...
مُدوا ايديكم للقمرِ وللعصفورْ
بيعوا في أسواقِ الأقزامِ العورْ
شبكةَ صيادٍ من يافا،
حجراً من عكا...
داليةً في الكرملْ
بيعوا عبد القادرِ
فوقَ صخورِ القَسطلْ
ولتنسجُ تلكَ المومسُ، أستارَ نوافذِها
من كَفني...
طُوبى للبائعِ والشاري،
اخرَ خيطٍ في علمكَ يا وطني،
طوبى للشعراءِ وللقوّادينَ وللزعماءْ

البرقُ الأسودُ قد طفَح من الكاسْ
حَملت جاريةُ الشعرِ الشمعةَ،
لتقودَ لمخدَعِها النّخاسْ
والضفدعُ قدْ قفزتْ في قبعةِ الشاعر
وأتمَّ الساحرْ
لعبتهُ،
مضَغَ جناحيهِ الكروانْ...
ابصقْ فوقَ بيارقِ أحفادكَ يا جَدّي...
اطردْ أضراسَ حناجرهمْ
أضراسَ قصائدهمْ عن قبركَ يا عبدَ القادرْ
ماذا بقيَ من الثائرْ؟...
ماذا بقي من الشاعرْ؟...

عرض حال

السادة: أحذيةٌ... قباقيبٌ... وحيطانٌ سقوفٌ
شبابيكُ وأركانُ الحربْ...
وأكاسرةٌ... قياصرةُ الشعبْ...
سفراءُ لويس العشرينْ
في مملكةِ صلاحِ الدينْ...
المستدعي: عوضُ ابنِ خديجة من قريةِ أذنِ البغلْ...
المهنة: جنديٌّ سابقْ...
سُرِّحَ في أعقابِ العدوانْ...
أما العنوانْ...
فليُسألْ عنهُ حَلاّقُ القريةِ...
مصباحُ الدينْ...
لو حدث ولم تجدوهُ... وكان يمثلنا
في مؤتمرٍ تحتيٍّ أو فوقيٍّ
للصحفيينْ...
أو للرسامينَ التجريديينْ...
فليُسألْ عوضاً عنهُ الإسكافي...
ابنُ بطوطهْ...

لو حدثَ ولم تجدوهُ وكانَ يمثلنا
في مؤتمرٍ فوقَ العادهْ
يُعقدُ في طروادهْ...
في ذكرى حتشبسوت العربيهْ
فأمامكمو كلُّ كلابِ القوَّادينَ
بكل الأنديةِ الليليهْ...
أما الطلبُ الآنْ
الطلبُ وفي كلماتٍ عاريةٍ شمطاء كوجه المومس
تحتَ المطرِ اختلطتْ فيهِ الألوانْ...
الطلبُ وفي كلمات كرؤوسِ البصلِ المسلوقِ
وكالبيضِ الفاسدِ
وكراسِ الخنزيرْ...
الطلبُ ومن غيرِ مساحيقَ ولا تصويرْ
تَعْويضي... عن تسريحي ظلماً بعد العدوانْ
قالوا اصرخْ فصرختْ...
ازحفْ فزحفتْ...
اهربْ فهربتْ...

العرندس

انا العرندسْ

اتيتُكمْ على جناحِ نورسْ

ما دامَ هذا العصرُ، عصركم

يا ايها الذُّبابْ

عصرَ الدفوفِ والطبولِ والأبواقْ

ابوكمو انا العرندسْ

اتيتكم على جناحِ نَورسْ

* * *

فرسانُكمْ دَقوا قوائمَ الجيادِ

كالأوتادِ في الترابْ...

وكلهم يصيحُ بالجوادِ طِرْ،

يا ايها البُراقْ...

اكلُّكم اعناقْ...

اكلُّكم قِممْ

فليس فيكم ذَنَبٌ ولا قدمْ...

اكبرُ من صدوركمْ دروعُكمْ...

اطولُ من قاماتِكمْ

سيوفُكمْ

إن كانَ هذا حالُكمْ

أبوكمو، أنا العرندسْ...

وراءكم أنا العرندسْ

وراءكم بالنعلِ والقصيدةِ الشمطاءْ

وراءكم على جناحِ بغلةٍ عَرجاءْ...

الخوذة... آنية زهور
مرثية لعبد المنعم رياض

لجهنَّمْ...

بالكلمةِ ذاتِ القرطِ وذاتِ الخلخالْ

بالشاعرِ وربابتهِ، بالموَّالْ...

وبسيرةِ فرسانِ بني "عبسٍ وهلالْ"

لجهنّمْ...

يا أوزانَ بحورِ الشعرِ العَلَنيهْ

ووقوفاً في الصفْ

صفاً واحدْ...

بالخُوذةِ والسّونكي،

يا كلَّ الكلماتِ الهاربةِ من القاموسْ...

يا كلماتٍ ما طافتْ حولَ الكعبةِ

أو رجمتْ إبليسْ

صفاً واحدْ

للمتراسِ الأولِ، أعلامُكِ فوقَ رؤوسِكِ

اجراساً وفوانيسْ

صفاً واحدْ

للمتراسِ الأولِ، أعلامُكَ فوقَ رؤوسكِ

يا أوزانَ بحورِ الشعرِ العَلَنيهْ

ووقوفاً في الصفْ

صفاً واحدْ...

بالخوذةِ والسُّونكي،

يا كلَّ الكلماتِ الهاربةِ من القاموسْ...

يا كلماتٍ ما طافتْ حولَ الكعبةِ

أو رجمتْ إبليسْ

صفاً واحدْ

يا كلَّ قوافي الشعرِ الخارجةِ على القانونْ،

بجبينِ الشاعرِ، بجناحِ البَجْعَةِ والتّنينْ...

طعناً في كل الأبوابِ المسدودهْ...

نهشاً في كلِّ الأسلاكِ الشائكةِ الممدودهْ

تمزيقاً لجميعِ الأستارْ

* * *

لجهنّمْ...

يا زهرَ حزيران الذابلْ،

ذي الأعناقِ المقطوعةِ،

والراكعِ في تلكَ الجمجمةِ المكسورهْ...

أعطانا "عبد المنعم" خُوذتهُ

آنيةَ زهورْ...

* * *

سقطتْ قافيةُ الميمِ وقافيةُ الهمزهْ

فلتتقدَمْ...

قافيةٌ اخرى فلتتقدّمْ...

حيثُ هوى "عبد المنعمْ"

برعمُ زلزالٍ فَتَّحَ

قافيةٌ اخرى تتقدمْ

لقاء مع الرجل الذي كان اسمه هو

هو: ما هي أخبارُ الأرضْ...؟

– معذرةً فالأرضُ تدورُ،

ومصرُ تدورُ هي الأخرى

لكنْ...

هو: لكنْ ماذا؟..

لا تدفنْ في صدرك سرا

– هل أرفعُ صوتَ المذياعْ..؟

هو: لا... أنت هنا آمنْ

قلْ ما شئتْ...

– تُوشكُ ان تصبحَ أسطورهْ

هو: هذا لا يُفرحُ قلبي أبدا...

ينكرني من يجعلُ مني أسطورهْ

فأنا لستُ على الحائطِ صورهْ

يكفي مصرَ من الأهرامِ ثلاثهْ

لن ينفعها ان أصبحَ فيها الهرم الرابعْ

افضل ان اصبحَ نافذةً في بيتٍ

من ان أُصبحَ تمثالاً في شارعْ

– وضريحُكَ...

هو: (مقاطعاً)

هذا ما أصبحَ يُشغلُني

فأنا أرفضُ أن يُصبحَ مصباحَ علاء الدينْ

يفركهُ العاجزُ...

أو طائرَ رِخ يتعلقُ بجناحيهِ

المتكلُ على غيرِ يديهِ...

فأنا لستُ البوابهْ...

تُفتَحُ بشعارْ...

أو تُغلَقُ بشعارْ...

من علّقني في عروةِ معطفهِ،

أو حنّطني في فمهِ،

لا يؤمنُ بي

وأنا لستُ جِداراً إنْ يلمسْهُ الأبرصُ

والأجربُ يبرأْ

أنا من هذا أتبرّأْ...

أهنالكَ شيءٌ آخرُ...

– أخشى أن تصبحَ شيئاً

فوقَ الإنسانْ...

هو: حينَ يُحبُّ اللهُ ملاكاً،

يجعلُ منهُ إنسانا

– موتُكَ فاجأَنا،

كانَ عذابَ العُمرْ

هو: بل كانَ هو الثورةْ...

"يوليو آخر"

ثورةُ إنسانٍ ضد الأسطورةْ

(ستــار)

آخِرُ القَراصِنَةِ مِنَ العَصَافِيرِ

عيون مليكة المراكشيَّة...

كَتبتُ ما كَتبتُ عن بطولةِ الأشياءْ
وبعدَ أن كتبتُ ما كتبتُ، اشتقتُ للبكاءْ...
والشعرُ لم يكنْ سوى مؤامرهْ
ونحنُ لم نكنْ سِوى سماسرهْ
وأنتِ لم تكُوني غيرَ جثةٍ في قاعِ أنيهْ
كتبتُ ما كتبتُ كي أراكِ طافيهْ
أحاصرُ السماءَ كلَّها بوردةٍ، لكي أراكِ عائمهْ
ما كانَ في يَدي مسدسٌ، ولم أكنْ أنا المقاومهْ
وكنتُ في دَمِكْ
غزالةً مطعونةً بشمعدانٍ، كنتُ في دمكْ
مُمدّداً، يدُ البحّارِ في يدي
وكانوا في دَمِكْ
ذُبابةً تطنُ في الشّريانِ، نملةً تجرُّ للسماءِ
فخذَ امرأهْ...
وأعلنوا عن افتتاحِ حانةٍ جديدهْ
وأعلنوا عن اكتشافِ خمرةٍ جديدهْ
وكنتُ في دَمِكْ
غزالةً تجرُ ساقيهْ

وكانوا يَغطِسونَ في دَمِكْ
ويخرُجونَ من عينيكِ، كانوا يَغطِسونَ
في عينيكِ، يَخرجونَ، من نهديكِ...
يَغطِسونَ في يدكْ
واللهُ كان يلعبُ الشطرنْجَ
كلَ ليلةٍ مع الملائكهْ...
عيني على الملكْ
والله كانتْ عينُهُ عَليْ...
وكان حينَ يسقطُ الملكْ...
أَمضي إلى يديكِ، كي اصطادَ يا حبيبتي الطيور
من يديكِ والسمكْ
اصغي إلى خريرِ الكهرباء في دمكْ
ادورُ في عينيكِ دورةً، وكانتِ السماءْ
في دمي تدورُ دورتينْ...
وخط الاستواءِ لم يكنْ يشقُّني نصفينْ
وكنتُ حينَ يَنضجُ العِنبْ
من هَولِ قَصفِ الرعدِ، كنتُ أنتحبْ...
وكنت انتحرْ...
بضوءِ نجمةٍ بعيدةٍ هناكَ في السماءِ
ومضُهَا يحزُّ عنقي، يقطعُ الشريانَ، كنتُ انتحرْ...
وكان ذلك العصفورُ واقفاً على اصابعي...
واقفاً على دمي

والكأسُ كانَ فيِ يدي
قَلبتُ الكأسَ فوقَهُ، والكأسُ صارَ مصيدهْ...
وظلَ ذلكَ العصفورُ، تحتَ الكأسِ، ينقرُ الزجاجَ بالمنقارِ
والجناحِ وهو يرتجفْ...
وظلَ يَنقرُ الزُجاجَ وهو يرتجفْ
وماتَ تحتَ الكأسِ وهو يرتجفْ...
من يَومِها عرفتُ أنني ابتعدتُ عن دَمي
وأنني ابتعدتُ عن يَدي
وأنني ابتعدتُ عن فمي
وأنني قد ضعتْ...
وصارَ خطُّ الاستواء يا حبيبتي يَشقُّني نصفينْ...
ووجهُ كل امرأهْ...
يشقني نصفينْ...
وكفُّ كلِّ صاحبٍ قديمٍ، حينما تمتدُ لي
تشقني نصفينْ
اخافُ كلما أَرى هناكَ طائراً يطيرُ فوق راسي
ان يَشقني جناحُهُ نصفينْ
النفخُ فيِ الهواءْ...
ما عادَ نفخي فيِ الهواء، يُعطي للسماءِ نجمةً
ولا سَحابةً جديدهْ...
والنفخُ فيِ المرايا، ينبتُ الهواء فيِ المرايا...
ما جَرى وسوفَ لن يجري هناكَ نهر فيِ المرايا

اعترفْ بأنكَ انهزمتَ...

اللهُ لا إلهَ إلا الله إنني انهزمتْ

ولم تعدْ على أصابعي تُعشِشُ الطيورْ...

دَمي على أصابعي قد صارَ صَمغا

اسقطي على أصابعي وموتي...

فالقمحُ تحتَ الظفرِ لا ينمو، وجُرحُ الميتينَ لا ينمو

وكل الميتينَ لا يهاجرونَ من قبورهمْ

ولا يُترجمونَ الوردَ والتُرابَ فوقَ وجههمْ

إلى لغةْ...

أعلنْ بأنك انهزمتَ: قد أعلنتْ

أعلنْ بأنكَ انكسرتَ: قد أعلنتْ

أعلنْ بأعلى الصوتْ

أعلن بأعلى الصوتْ

قد أعلنتُ. قد أعلنتُ، قد أعلنتْ...

اللهُ لا إلهَ إلا الله يا يَديَ المقطوعةَ المُعَلَقهْ

في عُنقي

تَرجلي عن صهوةِ الجوادِ الميتِ

لا تكوني الشاهدَ المُحايدا

اللهُ... لا تُحرِضوا الصحافةَ الشرعيةْ...

وأنتمو... تُمارسونَ العادةَ السريهْ

اللهُ لستُ طالباً منكم وطنْ

أعطتني الوطنْ...

هي الوطنْ...

أجلْ هي الوطنْ

فحاكموا ضفيرةً من شعرِها

وبعدها اشنقوا السماءْ...

* * *

اللهُ لا إلهَ إلا الله، كيفَ جئتِ

كيفَ قد مشيتِ فوقَ الماءْ...

كيفَ قدْ زوَّجتني السماءْ

وكيفَ فوق نهرِ كل نجمةٍ قد صارَ لي إمضاءْ...

اللهُ... كيفَ فوق ساقِ هذه السماءْ...

ألصقتُ كل ما جَمَعْتُ من طوابعِ البريدِ

أوِ لا تقولي

حينما يصيرُ الرعدُ ثلجاً

حينما يصيرُ البرقُ وردةً في كأسنا

اللهُ لا تَقُولي النهر واقفٌ بطولِه وعرضه في كأْسِنا

فأوقفِ الأسماكَ كلَّها على ذُيولِها في قاعِ كأسنا

وكلُ نهرٍ، كلُ كأسِ

لم يكنْ ولن يكونَ يا حبيبتي،

سوى قميصِكِ

الذي يجرهُ إلى عرينهِ الأسد

* * *

هم يقراونَ الشعرَ باسمي في كتابِ الغزو

والتاريخِ والجغرافيا

ويزرعونَ جُثّتي زيتونةً وتينةً في كل هاويةْ
وكلما تَعضُني أسنانهم، يحسُ بالأمانْ
كل من يَعضني، كأنهُ يستلُ سيفاً
او يضيءُ شمعدانْ...
الآنَ أيها الوطنْ...
الآنَ كنْ بلا وطنْ...
الآنَ خُذْ باروكةَ الزلزالِ، مشّط الصاعقهْ...
وأَعطني حذاءَ عاشِقهْ...
الآنَ خطُ الاستواءِ لم يعدْ يشقني نصفينْ...
وصارَ عُنقي يا حبيبتي الحديقةُ المُعَلّقهْ...
والنملُ صارَ في حذائي...
كان صاعداً ساقيَّ، صَدري...
ثم عادَ ساحباً على الفخذينِ زنبقهْ...
اللهُ لا إلهَ إلا الله رغمَ الموتْ
رغمَ كل ما كتبتْ
لم اعدْ للموتِ، قد نجوتْ
حشوتُ يا حبيبتي مُسدسي بوردة
اطلقتُهُ...
تمزّقتْ سفينةُ القراصنهْ...
وانشقّتِ البحارُ الآسنهْ...
عن ألفِ نهرْ...

* * *

قد نجوتُ يا حَبيبتي، نجوتُ من سفينةِ القراصنهْ
فهلْ سأنجو من يدكْ...؟
نجوتُ يا حبيبتي من الصواعقِ المفاجئهْ
فهل سأنجو من دمِكْ...؟

* * *

اللهُ لا إلهَ إلا الله، كيفَ جئتِ...
كيفَ قد مشيتِ فوقَ الماءِ...
كيفَ قد زَوجتني البحارْ...
اللهُ حينما أصابعي كانت تعومُ في أصابعكْ
تعلو بنا الأمواجُ ثم تَهوي كلُها على أصابعكْ
شواطئُ البحارِ، كلها أصابعكْ...
وبينَ كُلِ إصبعينِ يا حبيبتي جزيرهْ
اللهُ... لو أكونُ بين الإصبعينِ يا حبيبتي السفينةَ الأخيرهْ
اللهُ... اخلطي في كأسيَ الأعشابَ بالرمالِ
اخلطي السماءَ بالبحارِ
اخلطي الطيورَ بالأشجارِ، ناوليني كأسيَ الأخيرهْ
أهدتني الأنهارُ يا حبيبتي قمصانَها البنفسجيهْ
رأيتُ نِصفَ مجنونٍ، رأيتُ يا حبيبتي
ملابسَ السماءِ الداخليهْ
جنِنتُ أكثرْ...
رأيتُ قرصَ الشمسِ في دمي يَستلُ خنجرْ
يداكِ يا حبيبتي مجنونتانِ تطعمانِ قرصَ الشمسِ

كُلَّ ليلةٍ غزالا
تُرضعانِ الحوتَ برتقالةً وسكرْ...
يداكِ يا حبيبتي مجنونتان، قشِّري السماء برتقالة
واوقفي الأمواجَ مرَّةً على أصابعي
لكي أُجنَّ اكثرْ
الآن صار جلدي غيمةً، قميصي موجةً،
يدايَ تياران يجرفانني
ابحرتُ بينَ إصبعيكِ، كانت الجزيرهْ...
اللهُ يا طيورَ البحرِ لا تنقّري الأصابعا...
فجائعٌ انا وانتِ جائعهْ...
قِفي على أَصابعي، تميلُ كالأغصانِ، كُوني آمنهْ...
اللهُ لا إلهَ إلا اللهَ، هذا صوتها...
اللهُ لو تقولُ لي تعالْ...
خطُ الاستواءِ لم يعدْ على سريري
لم يعدْ يَشُقُّهُ نصفينْ
هناكَ أنتِ
وأنا
هنا...

الغـزالـة

(إلى ريتا بلتزار)

أموتُ مِيتَةَ الغزالهْ
ليسَ جرحي وردةً،
وليسَ وَجهي برتقالهْ
لنعترفْ قبلَ انفجارِ هذهِ الرسالهْ
حتى يكونَ صوتُ الانفجارِ عادلا
بأنَّ شيئاً ما، يميّزُ الفراشَ
عن طوابعِ البريدْ
وأن من خلالِ حرقِ شاعرٍ قديمْ
يصعدُ الدخان من ديوانِ شاعرٍ جديدْ
لنعترفْ قبلَ انفجارِ هذه الرسالهْ
بأن نطفةَ السفينةِ التي تحطَّمتْ على طوابعِ البريدِ
ليستْ غيرَ هذهِ الجزيرهْ
وأن هذي الشامةَ التي ترينَ فوقَ خدِ
هذه الأميرهْ
كانت هي الرصاصةَ الأخيرهْ
في يدِ الفقيرِ والفقيرهْ...

لنعترفْ بأنَّ شيئاً ما يكونُ،

كانَ بينَ الصولجانِ يا ريتا

وبين الشمعدانْ

تَغرقُ النساءُ في الأشجارِ

تغرقُ الأشجارُ في النساءِ

تغرقُ النساءُ في الأسماكِ

تغرقُ الأسماكُ في النساءِ

آه إنَّ بينَ الصوتِ والصدَى مسافةً،

وبين الماءِ والندى مسافةً

وحين يغرقُ الوطنْ

تظهرُ السفنْ

وحينَ تغرقُ السُفنْ

يظهرُ الوطنْ

وانت في رسالةٍ مسافرهْ

لو تفقدينَ الذاكرهْ

لو تفقدينَ الذاكرهْ

الآنَ تعطي الأرضُ صوتَها لطائرهْ

لنعترفْ بأن بين ضربةِ المجدافِ والسكينِ

يا ريتا مسافةً،

وبينَ هذه الفراشةُ التي قد لوّنتْ أَصابعي

وبينَ طابعِ البريدِ في يدي

وطابعِ البريدِ في يدكْ.

لنعترفْ بأننا تَعِبنا من كتابةِ الرسائلْ

أنا وأنتِ مثلُ طائرينِ،

يلمسانِ الماءَ ثم يصعدانْ

ما الذي تحاولينَ،

تمَّ يا ريتا اختراعُ الماءِ والهواءِ،

تمَّ يا ريتا اختراعُ الياسمينْ

والمرأة التي أحبْ

دعيني أرتمي سكرانَ فوقَ العُشبْ

أنا وأنتِ مثلُ طائرينِ،

يلمسانِ الماءَ ثم يصعدانْ

فوقَ الماءِ دائرهْ

وفي الهواءِ دائرهْ

محاصرانِ بين الماءِ والهواءِ

تمت المؤامرهْ

وأنتِ في رسالةٍ مسافرهْ

لنعترفْ بأن شيئاً ما يميّزُ العُصفورَ

يا ريتا عن الرصاصهْ

وحينَ تُصبحُ الرصاصهْ

نجمةً،

فأيُّ شيءٍ يصبحُ الوطنْ؟

تسافرينَ في الوطنْ

رصاصةً،

وترجعينَ صورةً على جدارْ

تسافرين في الزَمنْ

قصيدةً وترجعينَ في السفنْ

صندوقَ برتقالْ

وحينَ يَسقطُ الندى،

يستيقظُ الغزالْ...

لنعترفْ قبلَ انفجارِ هذه الرسالهْ

بأنَّ جرحي ليسَ وردةً

وليسَ وجهي برتقالهْ

ملغومةٌ كلُّ الرسائلِ التي تجيءُ منك،

من يُحذِّرُ الفراشَةَ التي تطيرُ فوقَ الثلجْ

من يُحذِّرُ الغزالةَ التي تسيرُ فوقَ الموجْ

ما زلتِ تكتبينْ...

أما تعبتِ من كتابةِ الرسائلْ؟

لو تفقدينَ الذاكرهْ

أَنقذتني...

لو تفقدينَ الذاكرهْ

قتلتني...

اكتُبي لي.. اكتبي،

هذا زمانُ الموتِ في الكتابةْ

ما زلتِ تكتبينْ

ها هم يقطعون أرزةً،

لكي يُقيموا حاجزاً،

الآنَ يبدأ الأطفالُ في اختراعِ

كيسِ رملْ

ما زلت تكتبينَ

ها هم يقطعونَ رأسَ نجمةٍ،

يُعلّقونَها في رأسِ حربةٍ،

ويطفئونَ في فمِ القمرْ

سيجارةً،

ويقطعونَ قلبَ سنديانهْ

وعندَ حاجزٍ قد أوقفوا فراشةً،

أعطتْ إلى جريحٍ لونَها وماتتْ

قبلَ أن يصيرَ اللونُ يا ريتا دَماً

وقبلَ أن يصيرَ اللونُ يا ريتا فماً

الآنَ تَعبرُ القناةُ يا ريتا البواخرْ

وانتِ مثلي في طوابعِ البريدِ

في مراكبِ الورقْ

تخشَين يا ريتا الورقْ...

الآنَ تعبرُ القناةَ باخرهْ...

يا طائرَ البجعْ...

إنَّ سعرَ الماءِ يرتفعْ...

عادَ الخديوي، عادَ يا ريتا،

إلى سريرِ مصرْ

قد نظفوا القناةَ من أصابعِ الجنودِ،

من دموعِ مصرَ،

من تُرابِ مصرَ،

من ديوانِ شعرْ...

الآنَ يرفعونَ وجه مصرْ

لغما،

يرفعونَ قَلبَ مصرَ قنبلةْ...

ما زلتِ تكتبينْ

لا تملكينَ باخرهْ

لا تملكينَ طائرهْ

لا تملكينَ غيرَ الذاكرهْ

وأنت تَعشقينَ الموتَ في الورقْ

وتكرهينَ يا ريتا الغرقْ

لنعترفْ بأننا التقينا

لم تكنْ تأشيرةُ المرورِ في يدي،

ولا تأشيرةُ المرورِ في يدكْ

ولم أكنْ أريدُ منكِ قطرةً من حبرْ

ولم أكنْ أريدُ منك بيتَ شعرْ...

مسافر ضدَّ الجدارِ يا ريتا،

وضدَّ كل هذه الصورْ...

لقد تعبتُ من كتابةِ الأشعارِ،

من كتابةِ الأشجارِ

من كتابةِ الأنهارِ

فوقَ ذلكَ الجدارْ...

تعبتُ من كتابةِ الصورْ

ومن قراءةِ الصورْ

تعبتُ من كتابةِ الوطنْ

ومن قراءةِ الوطنْ...

هناكَ شيءٌ ما يميّزُ الجدارَ

يا ريتا عن الوطنْ...

هناكَ شيءٌ ما يميّزُ الكؤوسَ

يا ريتا عن السُفنْ

وأنتِ حينَ جئتِ،

جئتِ كالوطنْ...

بعيدةً على طوابعِ البريدِ جئتِ،

مثلَ نهرٍ في زجاجةٍ،

لنعترفْ بأننا تَعِبنا من كتابةِ الرسائل...

لنعترفْ بأن هذا العصرَ

هذا الفندقَ المحجوزَ طولَ العامِ،
ليسَ عَصرَنا...
وأن هذا الشعرَ، ليسَ شِعرَنا
وكلُّ ما قدْ جاءَ في كتابِ الماءِ،
من أسماءْ.. لا تخصّنا...
ونشرةُ الأخبارِ ضِدَنا...
وليسَ في دليلِ أي سائحٍ
عنوانُنا...
وهذه الجرائدُ التي ارتدتنا
والتي مشتْ بنا،
والتي ألقتْ بنا على جميعِ الأرصفةْ...
لنعترفْ قبلَ انفجارِ هذهِ الرسالةْ
فالشمعدانُ يجمعُ الفراشَ في كُتبْ
والبحرُ يجمعُ الأسماكَ في كُتبْ
وأنتِ قد ألصقتِ كلَ ما جَمعتِ،
من طوابعِ البريدِ،
يا ريتا على الجسدْ...

من كراسة رسم لساعة حائط

هكذا التَقَيْنَا،
لم يكنْ لقاؤُنا مصَادفَهْ...
كنتُ خائفاً، وكنتِ خَائِفَهْ...
والخوفُ يجمعُ النساءَ بالرجالِ،
يصنعونَ الخوفَ طفلاً،
ثم يهربونَ.. كنتُ هارباً،
وكنتِ هاربهْ...
وقلت لي نَبيتُ في مغارةٍ،
تكونُ نارٌ بَيْنَنَا،
يكونُ بيننا: حجرْ
وقبل ضوءِ الفجرِ، نبدأ السَفَرْ...
والنارُ بيننا أذابت الشَجَرْ
فذابت الأغصانُ كلّها على يَدِكْ
حَبلتِ منها،
الآنَ يَبدأُ السَفَرْ
أَتسأَلينَني عن اسمي،
إنّني الْقَيته في كف طفلةٍ تبيعُ الوردْ
لم أكنْ بحاجةٍ لوردةٍ،
ولم تكن بحاجةٍ لإسمْ.

* * *

اتسألينَني عن الوطنْ
فراشةٌ مسلوقةٌ في البرقِ
يا صديقتي الوطنْ...
ونحنُ حينما نجوعُ نأكلُ الوطنْ
تحت صواري السفنْ
ونحنُ حينما نعطشُ نشربُ الوطنْ
نافذةً وجدولاً نشربُ الوطنْ
اتسألينَني عن الوطنْ...
فراشةٌ سَكْرَانَةٌ في الرعدِ،
يا صديقتي الوطنْ...

* * *

هكذا التقينا...
لم يَكنْ لقاؤُنا مصادفهْ،
قد كنتُ خائفاً،
وكنتِ خائفهْ...
ونحنُ حينما نخافُ نشعلُ النيرانَ،
هذي يدي،
الآنَ قد توارى عن دخاننا المطاردونَ
ها هو الهدير صاعدٌ من النيرانِ،
مركبٌ هناكَ في انتظارنا وعاصفهْ...
خائفٌ أنا...
وأنتِ خائفهْ...

جوزيف أتيلا

"شاعر هنغاري ولد عام ١٩٠٥ وانتحر تحت عجلات قطار، عـام ١٩٣٧. مطـارداً مـن البيروقراطيـة والبوليسـية، اعتـبره توماس مان، شاعر البروليتاريا العالمية".

جوزيف أتيلاً
أتيلا جوزيف
ها نَحنُ الآنَ معاً
نَمشي بين قطارينْ
ونحبُّ امرأةً واحدةً
ترقصُ فوقَ مياهِ الدانوبْ...
ترقصُ وتذوبْ
تغنّي وتذوبْ
تَبكي وتذوبْ
بين يَديها الشمسُ تذوبْ
كقطعةِ صابونْ
كي تغسلَ أقدامَ الشعراءْ
جوزيف أتيلا
اتيلا جوزيف

هذي المرأةُ في كل مساءْ...
تشتعلُ يداها بالماءْ
تَسلقُ كَفيها
لتقدمَ للفقراءِ حساءْ
وتُعَلّمُ عصفورين الطيرانْ
من بودابست إلى وارسو...
ما ابعدَ موسكو
ما اقربَ موسكو

* * *

جوزيف اتيلا
اتيلا جوزيف
ها نحنُ الآنَ معاً،
في كلِّ محطهْ
في كل قطارْ
نسألُ أحدَ الركابِ،
عن امرأةٍ صارت كُرسياً،
عن عصفورٍ كانَ يبيعُ الصُحفَ، وغابْ
سَقَطَ الثلجُ، فذابْ
جوزيف أتيلا
اتيلا جوزيف
ها نحنُ الآنَ معاً

الدانوبُ صديقُ الفقراء

والمطرُ يخبِّئُ في أجنحةِ

طيورِ النورسِ أصواتَ الشعراءْ...

ها نحنُ الآنَ معاً

مطرودانِ من الماءِ إلى العشبْ

من ليسَ له وطن، ليس له ربْ،

ليسَ له أمٌّ، أو أبْ

هوذا اليومُ الثالثُ قد مرَّ ولم نأكلْ شيئا

والمستقبلُ فمهُ مملوءٌ بالشعرْ

* * *

جوزيف أتيلا

أتيلا جوزيف

هوذا اليومُ الرابع قدْ مرَّ ولم نأكلْ شيئا

وتماثيلُ شَوارعنا

فَمُها مملوءٌ بالزهرْ

إلى ماياكوفسكي

يا ماياكُوفسكي...
أينَ هي الآنْ...؟
السمكةُ ذاتُ القبعةِ من الريشِ،
وأينَ هي الضفدعُ ذاتُ اللحيةْ...؟
اين القومسيرُ الأولُ والعاشرْ...؟
أينَ هو الناقدُ ذو المخلاةِ وذو الحافرْ...
كلبُ القاموسِ الخشبي النابحِ،
في وجه قوافي الشعرِ وأوزان الشعرِ،
الخارجة على القانونْ...
هذا الطاووسُ الأصلعُ يكرهُنا،
يكرهُ يا "تاتيانا" عينيكِ،
ويكرهُ شعركِ يا جاكلينْ...
باسمِ القيصر يُقْتَلُ بوشكينْ...
باسمِ الثلج الأسود يُقْتَلُ "يسنينْ"
باسمِ الثيرانِ الخشبيةِ والمدهونةِ بالورنيشِ الأحمرِ،
فليسقطْ ماياكوفسكي...
وليحي البرسيمْ...

سنبلةُ البارودُ ضفيرةُ شعرٍ فوقَ جبينك،
والقافيةُ هي السكينْ...

* * *

الآن لتقرأ أشعَاركَ يا بوشكينْ
ضمّدْ جُرحكَ بقصيدةِ شعرٍ،
وانهضْ يا "يسنين"...
ارفعْ يا ماياكوفسكي حاجبَ "تاتيانا" عَلماً
ارفعهُ علماً،
شَعرُك يا جاكلينْ شِراعي...
حنِّطني بالصمغِ العالقِ بجناحِ البلبلِ،
واطعنِّي بالسكينْ...
نَخْبَكَ يا بوشكينْ...
نَخْبَكَ يا يَسْنينْ...
نَخبَكَ يا ماياكوفسكي
لترفرفْ في لَحمي السكينْ...

ثلاثيــة

(١)

... واشعلوا النيرانَ في الزهورِ الطازجهْ
كان الدُخانُ ساخناً،
كان اللهيبُ مشبعاً بالعطرِ،
كان الدفـءُ باهظَ الثمنْ...

(٢)

رسمتُ الفَ خطٍ مستقيمْ...
كتبتُ الف بيتٍ شعرٍ مستقيمْ...
لعلّ كل خطٍ مستقيمٍ،
كُلَّ بيتٍ شعرٍ مستقيمْ...
يدلني على عنوانِ بيتكِ القديمْ...
وكنتِ يا حبيبتي محاصرهْ
في دائرهْ
لو انني كسرتُ تلك الدائرهْ

(٣)

قطعتُ ذاتَ يوم جدولاً
خبأتهُ وراء وجهي
في المطارِ اوقفوني

جندياً كان الله
وراء متاريس دمشق

(١)

أعطى الله عصاه لموسى، ليشق البحر ويهرب

لم يعط الله عصاه لموسى،

كي يضرب

حين "عصا موسى" صارت طائرة،

كان الله

يحمل أكياس الرمل على ظهره

يرفع بيديه الأحجار، ويعجن بيديه الإسمنت

ويقيم متاريس دمشق

جندياً كان وراء متاريس دمشق

ومآذنها الأموية تنطلق صواريخ...

(٢)

"عصا موسى"،

انكسرت فوق المرتفعات السورية

جندي سوري نحت عصا موسى المكسورة

غليوناً...

تبغك زهر الأرض فدخِّنْ

اصنع لدمشق سماء أخرى

فدخانك قد صار سماء...

(٣)

كان يموتُ بصمتْ

ما كان بيده كاميرا، وعلى فمه

ما كان مكبر صوت،

كان يموت وراءَ خطوطِ الضوءِ،

وراءَ خطوطِ الصوتْ

قلبي قنبلةٌ لدمشقْ...

واصابعُ كفّي العشرهْ...

عشرُ رصاصاتٍ لدمشقْ...

كان يموتُ وراء خطوطِ الضوءِ،

وراء خطوطِ الصوتْ

كان يموتُ بصَمتْ

ما كانَ بيدِهِ كاميرا، وعلى فَمِه،

ما كانَ مُكبّر صوتْ

(٤)

بَردى، كان رباطاً أبيضَ خصلةَ ماءٍ فوقَ الجُرحِ

بردى عربة إسعافٍ

تتنقلُ بين متاريس دمشقَ

بردى طائرٌ...

يحملُ في المنقارِ، زجاجةَ دمْ

وأنا صبغُ الحبرِ يدي، وصبغ الفمْ

ودمشقُ على مرمى قطرةِ دمْ...

(٥)

حينَ الأربطةُ البيضاءْ

سقطتْ عن قَدمِكَ، ومشيتَ على وجهِ الصخرِ

على وجه الماءْ...

كان اللهُ على شاطئِ حيفا

يصطادُ السمكَ لأطفالِ فلسطينَ،

ويصرخُ من هولِ العشقْ

ستجيءُ الآنَ دمشقْ...

(٦)

الآنَ دمشقْ...

لن أصبغَ باللونِ الأزرقِ عَينيَّ

لن أصبغَ باللون الأزرقِ كفيَّ وقدميَّ...

لن أصبغَ باللونِ الأزرقِ جلدي...

يكفينا موتا، بين اللونِ الأبيضِ

واللونِ الأزرقْ

(٧)

عينايَ طابعا بريدْ

للعالمِ الجديدْ...

على دمشقَ تَسقطُ القنابلْ

ساعي البريد في دمشقَ،

لم يزلْ يوزعُ الرسائلْ،

(٨)

على سطوحِكِ الأطفالْ...

قد أقسموا على رغيفِ الخبزِ

أنْ يواصلوا القتالْ

ثلاث أغنيات على أنقاض بئر

(١)

كتبتُ للحجارهْ...

لهذه الأعمدةِ المنهارهْ...

كتبتُ للؤلؤةِ التي تنتظرُ الغواصَ

في المحارهْ...

كتبتُ للذينَ يولدونَ من طوابعِ البريدِ

ملاعق الأخشابِ،

في أفواههم بشارهْ...

أين الطريقُ يا حبيبتي...

والشمسُ جثةٌ تسدُّ بابَ هذه المغارهْ ..

(٢)

لو كانَ لي وطنْ

لكانَ لي كفنْ

لو كانَ عندكم دموعْ

لكنكم بلا دموعْ...

فليبدأ الحصارْ

ولتبدأ المطاردهْ...

ولتضربوا بالمنجنيقِ وجهَ هذه القصيدهْ...

ايتها الصواعقُ الشريدهْ...
بُرعمَ الزلزالِ اين أنتَ...
من سيشتري بوردةِ الطوفانِ
هذه القصيدهْ...؟

(٣)

عبثاً تزرعُ اجنحةً للأحجارْ
عبثاً تنتظر الجنيّةَ،
ان تخرجَ من هذي النارْ...
شُدَّ على عنقكَ هذي الأوتارْ
فالنجمُ تدحرجَ من فوقِ الصخرة،
والجبل انهارْ.
قلتُ لك احذرْ،
من قرعوا الأجراسْ...
باعوكَ وباعوا المتراسْ
شَهدُهُم وحلٌ،
وسنابلُهم أرجلُ فيرانْ...
لم يبقَ سوى البركانْ...
لم يبقَ سوى البركانْ...

كانَ رَحيلي من "غَزةَ"،
ورحيلكَ عن "حَيفا"، غَدرا...
كانَ رحيلُ "المتنبي"، عن "حلب" غدرا
ها نحنُ الآنَ هُنا،
نبحثُ في حَوصلةِ العُصفورِ الميِّتِ،
عن قافيةٍ حُبلَى
هَبهُ صحيحاً ما قالوا:
قدْ لا نجدُ الحبرَ هُنالِكَ بالثلجِ أو الصودا،
قد لا نجدُ الحِبرَ هنالك كوكتيلا،
لكنْ للحبرِ وللشعرِ هنالِكَ،
رائحة أُخرى...

* * *

منذُ خَرجنا من تلكَ الزنزانهْ
سَقطتْ من يَدِنا الرمَّانهْ...
منذُ خَرجنا من تلكَ الحجره فوق السطحْ
سَقَطَ كحجرٍ فوقَ الأرضِ الجُرحْ...
فقدَ الذاكرةَ وفقدَ حقيبتهُ الجُرحْ...

جلس الجُرحُ على الكرسيِّ،

وكَتبَ الجُرحْ...؟

صارَ الجُرحُ على الجُرحِ رقيبا،

اصبحَ للجُرحْ...

تليفونٌ، كرسيٌّ، عنوانٌ تلغرافيٌّ، بيتٌ،

اصبحَ للجرحْ...

قميصٌ مكويٌّ...

صارَ الجُرحُ موظفْ

أوَلا تَرجف...؟

انا ارجفْ...

انا اعرفُ انكَ تكتبُ يومياتِكَ،

عن تلك الأرضِ المحتله...

هل صارتْ ذكرَى؟

هل صارتْ حبةَ قمحٍ كالجرسِ معلقةٍ،

في عُنقِ النملهْ...؟

هل صارت يا "محمودُ" لنا ذاكرةٌ أخرى...؟

* * *

أنا اعرفُ انكَ ترفضُ يا "محمود"،

رباط العُنقْ...

لكنكَ تقبلُ يا محمودُ الحبلَ على عُنقِكْ...

كنا ندخلُ، نقتحمُ جميعَ الحاناتِ،

بلا ربطةِ عُنقْ...

كنا نفتحُها، بقميصٍ مفتوحْ...

كنا نُطردُ ونُحبُ الطردْ...

كنا طولَ العُمرِ نحبُ سقوطَ المطرِ،

ونشربُ نخبَ الرعدْ...

ونحبُ الأرصفةَ المهجورةَ، ومصابيحَ الشارعِ

لم نكتبْ يوماً عن ليلى أو هند...

كان "الوطنُ" جميلا،

والوطنُ يكونُ جميلا،

حين يكونُ الوطنُ بعيدا...

لكن حينَ الوطنُ يصيرُ قريبا،

ويصيرُ نشيدا...

ويصيرُ الوطنُ مكاتبْ...

ويصيرُ الوطنُ ثعالبْ...

كانَ علينا، أن نرفضَ تلكَ اللعبهْ

ونجرَ العربهْ...

قالوا: القدسْ

وكتبنا يا محمودُ عن القدسْ،

وزهرةِ عَبادِ الشمسْ...

قالوا: يافا...

وكتبنا... عن يافا... يافا... يافا

والآنَ يقولونَ لنا: غزةَ...؟

ماذا بعدْ...؟

كسرَ زجاجَ نوافذنا الرعد...

تحتَ أظافِرنا تتجمعُ كل الأمطارْ...

من بينِ أصابعنا، تَجري كلُّ الأنهارْ...

اكتبْ تحتَ الصورِ العُريانةِ للشهداءْ...

وكتبنا،

أوَ لسنا الآنَ هنا، راقصةً في كباريه،

أو ساقيةً في بارْ...؟

كنا نتجسسُ لحسابِ الغزلانْ،

فصرنا يا محمودُ جواسيسَ الأبقار...؟

* * *

"ستربتيز"...

صرنا نطبخُ يا محمودُ الوردةَ ونقدمها،

في فُندقِنا لجميعِ النزلاءْ...

فطوراً وغذاءً وعشاءْ...؟

"ستربتيز"....

رجلٌ في ثوبِ امرأةٍ،

تخلعُ كل ملابسها تحتَ الأضواءْ...

أنا أعرفُ أنكَ طيبْ...

وجناحُكَ أطولُ من منقارِكَ،

أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبْ...

والآن علينا أن نهربْ

الوطنُ كبيرٌ، أكبرُ من جلدِ الأسدِ

وأكبرُ من جلدِ الذئبِ،

وأكبرُ من جلدِ الثعلب...

* * *

ماذا عنا سيقولُ "سميح القاسم"...؟

لجهنمَ بالإصبعِ والخاتمْ...

ماذا سوفَ يقولُ "البياتي" و "الفيتوري" و "نزار"

"أدونيس"، سيكتب شيئاً ما،

لا بد وأن يُلقي بالحجرِ،

ويصنعَ تلك الدائرةَ من الأشعارْ...

لكن لجهنم بالبياتي والفيتوري ونزارْ...

وبتلكَ الدائرةِ الواقفةِ من الأشعارْ...

* * *

"كاتب ياسينْ"...

صديقي المسكينْ...

قال بأن "مآذننا" يا محمودُ،

"صواريخٌ"، ثابتةٌ في الأرضْ...

لا تنطلقُ، ولا تصعدُ أبدا...

اكبرُ من كُلِّ مآذننا يا محمودُ الله...

ولكن آهْ...

إن "رقيبَ" الصُحفِ الوطنيْ،

الجالسَ، فوقَ العرشِ الوطنيْ،

هنا وهنالك أكبرُ من ذاك "الله"...

* * *

إن علينا أن نهربْ...

أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبْ...

والوطنُ جميلٌ،

والوطنُ يكونُ جميلا،

حينَ يكونُ الوطنُ بعيدا...

لكنْ حينَ يصيرُ الوطنُ قريبا،

ويصيرُ الوطنُ نشيدا...

ويصيرُ الوطنُ مكاتبْ...

ويصير الوطنُ ثعالبْ...

ويصير الجُرحُ "موظفْ"...

أن علينا أن نرجفْ...

"محمود"...

أذنُ الأرنب...

أطولُ من ساقِ الأرنبْ...

لكني أعرفُ أن جناحَكَ،

أطول من مِنقارِكَ،

أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبْ...

إلى بوشكين

الشاعرُ يَحشو بالحبرِ الأبيضِ غُليونَهْ...
ويدخّنُ في وجهِ القيصرِ، يا بوشكينُ،
قصائدَهُ،
ويقلّمُ في وجهِ الرُقباءِ أظافرَهُ..،
آهِ تعبتُ أفتشُ عنكَ فما أصعبَ،
أن يفتقدَ الشاعرُ شاعِرَهُ،
أنا لن أجدكَ مختبئاً في محبرةٍ،
أو في داخلِ ايقونهْ...
كلصوصِ الشعرِ الكذّابينْ
في المتحفِ، في المشرحةِ، وفي أوراقِ النُقادِ الرسميينْ
لكنّي يا بوشكين وجدتكَ،
ما بين مسدسِ دانتس[2]، ومسدس مارتينوف[3]
تنهضُ وتعودُ إلينا
ووجدتُ هنالك،
مارتينوفَ مختبئاً ميتاً في جثة دانتسْ

(2) قاتل بوشكين.
(3) قاتل ليرمنتوف.

فالقاتلُ يرثُ القاتلْ

يهديهِ يا بوشكين القفّازَ ويهديهِ رصاصهْ...

والشاعرُ يرثُ الشاعرْ

يهديهِ الطلقةَ بين العينينِ،

وخصلةَ شَعرْ

آه دعوا الشاعرَ في صمتٍ وسلامْ

فكفاهُ ترجمةً وكفاهُ كلامْ

حَفظوا في المتحفِ يا بوشكين المعطفَ والورقهْ

وقناعَ الجبسِ وآخرَ وجهٍ لكَ قبلَ الموتْ...

لكن اينَ دخانُ البارودِ المتطايرْ

من عين مسدسِ دانتس

لمَ لمْ يجمعْه أحدٌ منهم يا بوشكينْ؟

لِمَ لمْ يسكبهُ أحدٌ منهم في كأسٍ...؟

كي نصنعَ نحنُ الشعراءَ سحابهْ

* * *

في داخلِ ايقونهْ...

كان هنالك خصلةُ شعرٍ

من راسك يا بوشكين...

كانت كالبرقِ في حدِ السكينْ...

هذي الخصلَةُ من شعرِكَ...

صارتْ علمَ الشعراءْ...

هوذا دفترُ أشعارِكَ...

خلفَ المقطعِ والمقطعِ من كلِ قصيدهْ...

كان القيصرُ يرتجفُ من الرُعبْ..

ورقيبُ القيصرِ

يَقْلِبُ فوقَ المائدةِ حقائبَ أشعارِكَ

ويفتّشُ عن تلك القافيةِ السريهْ

قطرةُ حبرٍ صادقةٌ واحدةٌ تكفي

لتسمِّمَ تمساحا...

وجميعَ الرقباءِ السريينْ

والعلنيينْ

* * *

نحنُ الشعراءْ

قد لا نعرفُ شكلَ السيفِ أو الخنجرِ يا بوشكينْ...

إنّا لا نطرقُ فوق السندانِ قصائدنا،

لكن حينَ يحبُ الشاعرُ، ويدافعُ عن صوتِهْ

ضدَ الخنزيرِ البري

والكلبِ السري

يصبحُ يا بوشكين الموتُ،

هو الأملَ الرائعَ للإنسانْ

يصبحُ يا بوشكين هو الحبَ الأولَ

والحلمَ الأولَ

والموتَ الأولْ

موتُكَ كانَ دفاعاً عن أصواتِ جميعِ الشعراءْ

لكن موتك علّمنا أن الشعراءْ

عائلتانْ...

عائلةٌ تكتبُ بالحبر...

والعائلةُ الأخرى تَكتبُ بالدمْ

* * *

بوشكينْ...

ما زالَ هنالك في العالم

"دانتس" آخر...

"مارتينوف" آخر...

ما زالَ هنالك يا بوشكين، الشاعرُ

والقاتلْ...

الوردة والعصفور

لعبَ العصفورْ
(لعبتهُ الكُبرى)،
خَلقَ الوردةَ، صوَّرها، (في ستةِ أيامْ)
في اليومِ (السابعِ نامْ)
تَعبَ العصفورُ من الخَلقِ، من التصويرِ، فنامْ...

* * *

نامَ العصفورُ
(والوردةُ) راحت حولَ العصفورِ تدورْ
وتدورْ...
استيقظْ يا عصفورْ...
فالوردةُ تترنّحُ، توشكُ أن تَسقطَ في "بئرٍ"،
سمُوها – أنيةَ زهورْ –...
استيقظْ يا عصفورْ...

* * *

أو على ريشكِ قد دبَّ السوس إليه وطابورْ...
من نملٍ يتجمعُ فوقَ جَناحِك يوشكُ أن يسحَبَهُ،
يا عصفورْ...

والوردةُ (تترنحُ)، (تترنحُ)، (تترنحُ)،

وهي تدورْ

الدودُ على ساقِ الوردةِ، والدودُ على

وَرقِ الوردةِ، والوردةُ توشكُ أن تَسقطَ، يا عصفورْ

استيقظْ يا عصفورْ...

استيقظْ يا عصفورْ...

استيقظْ يا عصفورْ...

يُحاولونَ رسمَ شيءٍ ما، فيرسِمُون شيئاً
غيرَ قابلٍ للرسمِ،
إن الماءَ تكسرُ الأحجارُ وَجهَهُ،
دَوائراً... دَوائرا،
وبَعدها تسترجعُ المياهُ وجهَها،
تسترجعُ الأحجارُ وَجهها، مُربعاً، مُكعباً،
أو مُستطيلاً، ليسَ أيَ وجهٍ مستقيمٍ
ميزةً ولا كتابَ توصيهْ.
يُحاولونَ رسمَ شيءٍ غيرِ قابلٍ للرسمِ،
ليسَ إبرةً منقارُ طائرِ البجعْ
فلا يرقَعُ الجواربَ الممزّقهْ
يُحاولونَ أن يُبيضوا أيَ شيء، يشترونَ
نُطفةً. يحاولونَ أن يَقولوا أيَ شيءٍ،
يشترونَ جملةً مفيدةً. ويشترون شاعراً
قدْ تمَ ذبحُهُ على الطريقةِ الشرقيهْ
ويفتحونَ نخبَهُ، زجاجةً من المياهِ
المعدنيهْ...

ويأكلونَهُ على الطريقةِ الشرقيةْ...
أصابعُ الذينَ يكتبونَ في بلادنا،
كأنها "الزوائد الدوديةْ"...
يُحاولونَ. كلُ جُرحٍ عندهم موظفٌ في صيدليةْ
وكل نحلةٍ بريّةٍ يَرشُونها بقطعةٍ من سُكَرِ
لكي تسيرَ يومَ الانتخابِ، تُعطي صوتَها،
لعسكري
كيفَ استطعنا أن نَعيشَ العمرَ كلّهُ،
كسندبادٍ كاذبٍ مسافرٍ، ما بينَ أذنِ مخبرِ
وعينِ مخبرِ...؟

* * *

يُحاولونَ كسرَ شيءٍ ما، فيكسرونَ
شيئاً غير قابلٍ للكسرِ،
إن الماءَ
تَكسِرُ الأحجارُ وجهَهُ
دَوائراً... دَوائرا
وبعدها تسترجعُ المياهُ وجهَها،
تسترجعُ الأحجارُ وجهَها،
الماءُ لم يمتْ بالسلّ، والهواءُ
لم يمتْ بالسلّ، واسألوا الرئةْ...

* * *

فِي آخرِ انتخابٍ كان فِي بيروتَ،
لانتخابِ ملكة الهزيمهْ...
فُوجئَ السياحُ فِي الفنادقِ التي تؤجّرُ
الوطنْ...
لليلةٍ أو ساعةٍ، بأبخسِ الثمنْ...
بأن تلكَ الوردةَ المسلوقةَ المقشرهْ...
دجاجةٌ مزوّرهْ...

* * *

كيفَ استطعنا أن نعيشَ كلَّ هذا العمرِ،
نكتبُ الرسائلَ المزوّرهْ؟
ساعي البريد لم يكنْ سوى مهرّبٍ.
طوابع البريدِ كُلها مزوّره...
أطفالُنا مزوّرونَ، كل نُطفةٍ مزوّرهْ...

* * *

الشاعرُ الذي ما زالَ شاعراً، ما زالَ
يكسرُ الخطوطَ، ليس أيَ خطٍ مستقيمٍ
فِي الهواءِ، ذيلُ نجمةٍ إلى قصيدهْ...
الشاعرُ الذي ما زالَ شاعراً ولم
يحكّموهُ،
فِي انتخابِ ملكةِ الهزيمهْ...
تدعوهُ للمثولِ هيئةُ المحلفينَ، فِي إذاعةٍ

وفي جريدهْ...

وهيئةُ المحلفينَ، في المطاعمِ التي تُقدمُ

النساءَ والسمكْ...

وهيئةُ المحلفينَ في "الباراتِ" حيثُ

يمزجونَ

شاعراً بالماءِ، يضربونَ شاعراً بالثلجِ،

كي يُقدِّموا كأساً منَ العَرقْ...

للملكةِ الورقْ...

* * *

نَحنُ على هوامشِ الهواء، صوتٌ،

خارجٌ على الهواء...

– أوقفوا الإذاعةَ السريهْ.

– استأصلوا الحناجرَ، الأصابعَ، الزوائدَ

الدوديهْ.

نحنُ على موائدِ الجرائدِ التي تَذبَحُ،

كُلَ يومٍ شاعراً، على الطريقةِ الشرقيهْ.

ويأكلونَهُ على الطريقةِ الشرقيهْ.

نحنُ الذينَ كلما رآنا عسكريٌ،

تُغلَقُ الإشارةُ الضوئيهْ،

وتُرفعُ الحواجزُ... المكهْربهْ...

ويُنزِلونَ كلَ راكبٍ، يفتشونَهُ، ويسألونَهُ

عن "بُرجِهِ" وعن شهيدِهِ المُفَضَّلِ
وأي شاعرٍ يُحِبُ الآنَ – أو أحبَ –
في الزمانِ الأولِ...
يستجوبُونَهُ، ويأخذُونَ ألفَ بصمةٍ
لصوتِهِ، ويخلطونَهُ بالماءِ،
يضربونَهُ بالثلجِ، كي يُقدموا
كأساً من العَرقْ
للكةِ الورقْ...

* * *

مُكلَّفونَ باسمِ منْ؟–
بالنومِ في سَريرِنا، بالنومِ في عُيونِنا،
بالنومِ في آذانِنا،
مكلفونَ باسمِ منْ؟
مُكلفونَ باسمِ شرطةِ المرورِ، باسمِ
شُرطةِ القرَّاءِ، باسمِ البرلمانِ
والوطنْ؟
مُكلفونَ باحتلالِ العينِ والأذنْ؟

* * *

الآنَ من كُرسيِّهِ، يصيحُ عضو البرلمانِ،
عضوُ لجنةِ التحقيقِ:
احذفوا، من دفترِ التحقيقِ،

هذه القصيدةُ المباشرهْ...

واغلقوا الملفَّ،

قَيّدوا على حسابِ شاعرٍ،

فاتورةَ المؤامرهْ...

قصيدة على سيف البحتري

كانَ يدرّبُ القصائدْ...

كيفَ تبيعُ راسها على الوَسائدْ...

وكيفَ تحلبُ الثديينِ،

في نعليْ أميرْ،

كان مخبراً وشاعراً شرّيرا

وكانَ قلبُه دينارْ...

وكانَ سيفُهُ مسمارْ...

يسرِقهُ من حدوةٍ، أو من جدارْ...

لكي يَدُقّهُ في كأسِ كلِ شاعرٍ، لقاءَ ذلكَ الدينارْ...

وكان يغتسلْ...

ببولِ – كل جاريهْ –

وكان يكتحلْ...

ببصقةِ الأميرِ قد – تجمّدتْ على جبينهِ –،

لو ضلت الطريقَ للأمير – قافيهْ –

قد كانَ شاعراً سمسارا....

يضاجعُ الدينارَ... وهو واقفٌ،

أو وهو راكعٌ،

او وهو ينشدُ الأشعارا...

يحلمُ وهو ذلك المخصيُ،

ان يصيرَ – ماءُ الوجهِ – نطفةً –.،

في رحمِ الدينارْ،

تُعطيه بعدَ ليلةٍ دينارا...

كان ككلبِ الصيدِ، يتبعُ المحاربينَ،

يجمعُ الجِراحَ في – مِخلاته –

يَمجها – قصائدْ –...

كان يدرّبُ القصائدْ...

كيفَ تبيعُ راسَها على الوسائدْ...

وكان حينما تموتُ – تحتَ إبطهِ –

في جيبهِ السرّية الأوزان...

كان يبيعُها لقاء دن – ماءْ –

كان يعتّقُ الوحولَ في جراره،

يبيعُها في سوقهِ السوداءِ،

خمرةً،

ونحنُ لم تَعدْ تُسكِرُنا سِوى الوحولْ

واضيعةَ العنقودْ...

في حانةِ الكلابِ البيضِ،

والكلابِ السودْ...

البيانو

نَزلتِ من يدي قصيدهْ
للبحر آهِ يا سفينتي الجديدهْ
والبحرُ عاشقٌ قديمٌ كم تكسَرتْ على سريرِهِ المراكبْ
والبحرُ شاعرٌ قديمٌ كم تكسرتْ على سريرِهِ الكواكبْ
وأنتِ طولَ العمرِ تبحثينَ عن سفينةٍ وعن بطلْ.
يدي هي السفينةُ التي سترسمينَ ذاتَ ليلةٍ
رموشها الطويلهْ
قصيدتي قصيرهْ
الآن يصطادونَ بالصنارةِ الفراشةَ الأخيرهْ
وضربةُ المجدافِ ليست طعنةً، ولم تمتْ بالسيفِ موجةٌ
ولم تمتْ بالسلِّ نجمةٌ،
ولم يمتْ بالذبحةِ الصدريةِ القمرْ
فليمضِ هذا النهرُ في مجراهُ، هذا العمرُ في مداهْ
لا يدي غزالةٌ تمشي على يدكْ
ولا دمي فراشةٌ تطيرُ في دمكْ...
وأنتِ كلَّما اقتربتِ تأخذينَ شكلَ البحرِ
أيُّها البحارةُ المكررونَ في البحارِ والموانئِ المكررهْ

فيِ المراكبِ المكررهْ

فيِ الشواطئِ المكررهْ

فيِ المرآةِ المكررهْ

هذا هو اعترافُ الشعرِ بالمؤامرهْ

هذا هو اعترافُ الشعرِ باسمها

فليمضِ هذا النهرُ فيِ مجراهْ

إنهم يكررونَ الصوتَ لا صَدى

وإنهم يكررونَ الرملَ والأعشابَ والسفنْ

لا شاطئٌ ولا وطنْ

هذا هو اعترافُ الشعرِ باسمها

فنامي فيِ يدي

فجسمُكِ البيانو

فيِ انتظارِ لمسةٍ انفجارْ

قد حطَّ طائرُ السنونو فوقَهُ وطارْ

سمعتُ موسيقى دَمِكْ

تَبِعْتُها.. أتاني الصوتُ،

اصعد الجبلْ

وانت تبحثينَ عن سفينةٍ وعن بطلْ

حفيفُ كلُ هذهِ الغصونِ فيِ دَمي

يقودني للانتحارْ

سمعتُ مُوسيقى دمكْ

تَبِعتُها.. أتاني الصوتُ

حينَ تسقطُ الأمطارْ

تشهقُ الأشجارْ

أنك التي تعلَّمينَ النجمةَ الكتابهْ

وأنكِ السماءُ كلُ من قد مرَّ قبلَ أن أراكِ

لم يكنْ سوى سحابهْ

أنني أتيتُ لم تكن يدي قصيدةً،

ولم تكنْ يدي سفينةً

ولم أكنْ مقيماً أو مسافرا،

يدي على يدي

فمي على فمي...

سمعت مُوسيقى دَمكْ...

وكنتُ أولَ الذينَ قد رأوكِ،

كنتِ بين اللهِ والنبي أول النساءِ

كيف دارتْ كل هذهِ الخواتمِ المكرَّرهْ

في الأصابع المكررهْ

هذا هو اعترافُ الشعرِ بالمؤامرهْ

هذا هو اعترافي

الآنَ حاصروا يدي،

الآنَ يَصطادونَ بالصنارةِ الفراشةَ الأخيرهْ

قصيدتي قصيرهْ

فليمضِ هذا النهرُ في مجراهْ
يأكلُ البحّارةُ الجَوعى طُيورَ النورسِ الجَوعى
وتعلنُ الشواطئُ الإضرابْ
ويقرأُ العصفورُ في كتابْ
وانتِ من يدي إلى دمي قصيدةٌ مهرّبةْ
وانتِ من دمي للبحرِ تنزلينَ كل مرةٍ
سفينة مهرَّبةْ
وجسمك البيانو،
انتِ تبحثين عن يدٍ أو شمعدانْ
عن محارةٍ او صولجانْ
أنا المسافرُ الذي رآك آهْ
البحرُ قد تكلّمتْ يداهْ
لم يبنِ كوخَ ماءٍ طولَ عمرِهِ المطرْ
وما تزوّجَ المسافرونَ ذاتَ يومٍ الشجرْ

الكأس...

١٩٧٢

للذي بَعدي فلسطينُ: امرأهْ

وأنا لي الشهداءْ.

كلما تَنتابُني الحُمّى أُداوى بالدماءْ

الدمُ الداءُ وما منهُ شفاءْ.

للذي بعدي السمواتُ: امرأهْ

وأنا لي الأنبياءْ

آهِ ما أحلى السماءْ

حِينما يُطردُ منها الأنبياءْ

يا فلسطينُ اللصوصُ الرقباءْ

أينَ من كأسكِ أهربْ؟

كلُّ مَنْ مدّ يداً لك بالعنقودِ،

في زنزانةِ الخمرِ تعذّبْ...

اشربي لو مرّةً كأسي،

فطولَ العمرِ من كأسكِ اشربْ.

الذئـــب

لماذا تدقُ البرتقالهْ...

مثل ساعةِ الحائطِ،

والرسالهْ

تَسقطُ في يدِ العدوْ

جَربتني بالشعرْ

تَبعتُ صرخةَ الغزالهْ...

والنجمُ ذئبٌ والسماءُ عينُ ذئبْ...

اكتبي اعترافي: ما تَعبتُ... ما تعبتْ

لكنني رأيتْ...

وكنتُ أوَّلَ الذين بَشَّروا بالنجمْ

مُذ كانَ قطرةً من دمْ...

اكتبي اعترافي: ما تَعبتْ

لكنني رأيتْ

فحينما يصيرُ النهرُ عُنقَ مشنوقٍ.

وحينما تصيرُ البئرُ ذئبا،

كيفَ تشربُ الغزالهْ

تدورُ ألفَ دورةٍ تدورُ البرتقالهْ

وبعدَ دورتينِ تسقطُ الرسالةْ

في يدِ العدو...

* * *

أيها الوطنْ...

الشمعدانُ ليسَ ديكا،

إنَّ عينَ الشاعرِ الذي يُطاردونَ،

ليست خاتما،

أحبُ كلما ابتعدتْ

أُصابُ بالدوارِ كلما اقتربتْ

وكلما حرَّرتُ

كلما حَرَّرتُ

كلما حَرَّرتُ

فراشةً من شمعدانِ المرأةِ التي أحببتْ

يحتلُني شهيدْ...

بالزهرِ والرصاصِ والنشيدْ...

فرانك سيناترا

اعرفُ انَّ الشاعرَ يكتبُ
ومسدسُ احدِ القتلةِ خلفَ الراسْ
كالقبطانِ على طائرةٍ مخطوفهْ.
قد يهبطُ في احدِ مطاراتِ العالمْ.
لكنَّ الشاعرَ طائرةٌ مخطوفهْ
لا تَهبطُ في اي مطارْ
اعرفُ انَّ هنالكَ من يكتبُ
ومسدسُ احدِ القتلةِ خلفَ الراسْ.
لكنَّ هنالِكَ من جَعل حذاءَ الشرطيِّ
له محبرةً،
وهراوتَه فرشاةً، مضى يكتبْ
قدمُ الشرطيِّ المطبعةُ،
واصبعهُ الكاميرا...
الآنَ أُقدمُ لكمو:
فرانك سيناترا...
فرانك سيناترا...
من لا يعرفُ هذا الاسمْ

بَطلَ زُجاجاتِ الموسيقى
مَنْ قصَّ أصابعَنا أمشاطَ بيانو
من ألقى في بركتهِ بأصابعنا
تتلوّى سمكاً مذبوحا...
سمكاً يبتلعُ الماءَ ويغرقْ
وفرانك سيناترا يضحكْ
يفتحُ نخبَ الميسيسبي المقطوعِ الكفّينِ،
زجاجةَ موسيقى
أو علبةَ أغنيةٍ محفوظهْ

* * *

فرانك سيناترا...
ليس سوى صوتٍ واحدْ
في أوركسترا المافيا
ذات القبعة الذَهبيهْ
فرانك سيناترا ليسَ سِوى اسمٍ واحد
فهناك فرانك سيناترا "الشاعرْ"
وفرانك سيناترا "الثائرْ"...
لكن صبرنا نعرفُ كيف نفرّقُ
بين يدِ الشرطيِّ وبين العصفورْ...
بين حذاءِ اللصِّ وبينَ السمكهْ...

المحطة

اسافرُ او لا اسافرْ...

تفرّجتُ حتى بصقتُ جميعَ المناظرِ،

من شُرفاتِ المقابرْ...

مشيتُ بكلِ الجنازاتِ،

كانت على قدميَّ الجرائدْ...

تُباعُ، وتُشرَبُ اغلى الخمورْ،

وما كانَ لي غيرُ ماءِ القصائدْ...

وكنتُ اموتُ على حافةِ البئرِ،

موتي مناسبةٌ للرصاصِ،

مناسبةٌ لسُعاةِ البريدِ،

مناسبةٌ لهواةِ التقاطِ الصورْ...

فوقَ راسي قمرْ

تحتَ راسي حجرْ...

* * *

فليطمئنَّ المُغنّي...

فهذا أوانُ سُقوطِ الحجرْ

وهذا أوانُ سُقوطِ المطرْ

وها هو رأسي،

لقد فتحَ النهرُ فخذيهِ،

والأرضُ تمشي إليهِ

وهذي مناسبةٌ للرصاصِ

وهذي مناسبةٌ للزهورِ،

وهذي مناسبةٌ

كي تُضاجعَ غزةُ يافا،

وهذي مناسبةٌ للمغنّي...

وهذي مناسبةٌ للوطنْ...

يَبيعُ المجاديفَ فوقَ السفُنْ

قصيدة فلسطينية إلى لينين

(١)

كان لينينُ فكانَ الحزبْ
يا فرسَ البحرِ على الصخرةِ،
تلدُ ملائكةَ الشّعبْ
موسكو في القلبْ

(٢)

في نافذةٍ في أحدِ شوارعِ هذا العالمْ
كان لينينُ وكانت فوقَ أصابعهِ،
تتجمعُ كلُ الأشجارِ السريةِ والعلنيهْ
كانت لحظةَ إبداعِ العالمْ.
كانت لحظةَ إعطاء العالمْ.،
اسماً آخرْ.
والثورةُ شاعرْ.
كانت كلُّ أصابعنا - أمشاطَ بيانو -
والعالمُ يولدُ من لمسةِ إصبعْ.
من طلقةِ مدفعْ

(٣)

مليونُ كتابٍ، ألفُ جريدهْ...
وهنالكَ رجلٌ، يقرأُ فيِ المكتبةِ،
قطارٌ يطلقُ صفّارتَهُ، والقيصرُ يحتفلُ
بقصِ أصابعِ بوشكينْ،
وإطلاقِ النارِ على وجهِ قصيدهْ...
مليونُ كتابٍ، ألفُ جريدهْ...
وهنالك رجلٌ يكتبُ فيِ المطبعةِ،
ويخترعُ عصافيرَ جديدهْ...

(٤)

وَحدي الآنَ على مائدةِ الحزبْ
وَحدي الآنَ زُجاجةُ حبرٍ فوقَ المائدةِ،
وحزمةُ أوراقٍ،
آلةُ رونيو...
بدأت حَربُ الشعبْ

(٥)

يا كلَّ فراشاتِ الحبرِ السريةِ والعلنيةِ،
يا آلاتِ الرونيو اتَّحدي...
لكِ صوتُ يدي...

(٦)

الآنَ يجيئونَ...
الشعراءُ القَتلى، والشعراءُ الجَرحى،
والشعراءُ المُعتقلونْ...
شعراءُ الكونِ الخامسِ والعشرينْ...
في المؤتمرِ الخامسِ والعشرينْ...
– نخبَ لينينْ...
– نخبَ فلسطينْ...
– حتى آخرِ قافيةٍ في حوصلةِ الشاعر
ضد السكينْ...

(٧)

تُلقَى – الأشجارُ المقطوعةُ – في النهرِ،
ويسحبُها التيارْ...
والموجة مسمارْ...
ولينينُ يدقُّ الموجةَ، في الشجرِ،
مسامِيرَ، ويصنعُ للفقراءِ سفينهْ...
أعطيكَ ضفائرَ هذي الزيتونهْ
قبّعةً،
يا أولَ بحارْ،
يا أولَ قبطانْ...
يا أولَ من دقَّ الموجةَ مسماراً،
في عُنقِ القرصانْ...

إحدى عشرة فراشة
في دفتر الماء

(١)

ساقُكِ نافورةْ...

كيفَ ستَبني عُشاً فوقَ الماءِ العصفورةْ...؟

(٢)

أقطَعُكِ كنهرٍ فتحزُّ الموجةُ عُنقي،

أحملُ راسي فوقَ الماءِ وأسبحُ،

ضفَّتُكِ الأخرى أينْ...؟

(٣)

كلما تقتربُ الأرضُ أخافْ

كلما يقتربُ الشُباكُ من مشطٍ أخافْ

ذلك الثورُ بحقلِ القمحِ،

من قرّاءِ أشعاري: أخافْ

كل قُرائي على الحيطانِ،

قد صاروا صورْ...

(٤)

منذُ يد الإنسانِ صارتْ عاشقهْ
وكتبتْ لمن تُحبُّ أولَ الرسائلْ...
قد طَرَقَ الحدّادُ أولَ السلاسلْ
من يومِها أصبحتُ خارجاً على القانونْ

(٥)

يقتلونَ كل ليلةٍ فراشهْ،
ويكتبونَ عن رصاصهْ،
قد سافرتْ إلى القمرْ...

(٦)

جناحُها بريشِ كلِ طائرٍ
مرقَّعْ،
منقارُها مرقَّعْ
وصوتُها مرقَّعْ
ولم تزلْ تعومُ في بحيرةِ البارود
هذه الإوزّهْ...

(٧)

يظهرُ المطرْ...
كالطيفِ ثم يَختفي
قصيدةٌ مدفونةٌ تحتَ الترابْ
تقومُ بانقلابْ..

(٨)

نبحثُ عن لغهْ

نبحثُ عن بطلْ

وحينما تُحاصَرُ اللغهْ

يَهربُ البطلْ

نَذبحُ ألفَ حائطٍ،

لكي نُؤلفَ الجبلْ.

(٩)

حصانُ البحرِ ذُو القرنينِ قادمٌ يبحثُ عن فرس

أيتها العروسُ في مملكةِ العسسْ

(١٠)

الغزالةُ التي كانت على الصخرة

تُرضعُ السمكْ

تَسقُطُ في الشركْ

(١١)

تسافرينَ في كتابِ الماءْ

سورةَ اقرأْ

تَرجعينَ في كتابِ النارِ

سورةَ اكتُبْ

تكتُبينَ سورةَ المقاومهْ

والأرض قادمهْ...

رسالة في زجاجة إلى جمال عبد الناصر

(١)

سقط شهيداً

كي يستبدل احد الفقراء

رغيفاً بجريده

كي نكتب نحن الشعراء التعساء

قصيده...

(٢)

الاسم : وطنْ...

يمضي الزمن

ونحن نلقي زهرة على اسمه

وزهرة على الوطنْ...

(٣)

خبأت في أنية الزهور دمعتي

خبأتها في الماءْ...

فجاء بالشباك والصنَّارةْ

من فهم الإشاره...

(٤)

ووقف اللصوص كلهم في حضرة

الضريح...

ولم يصدقوا العين التي ترى...

فوضعوا على ضريحه اليدا

ولم يصدقوا اليدا...

فربما يصحو غدا

ووضعوا على ضريحه الإكليلْ...

وفي الزهورِ دسّوا، آلة التسجيل

(٥)

السندباد عاد، بعد رحلة العذاب

والضَّنى

قد عاد في يديه العشب والحصى

هاجمه القراصنهْ

السندباد والقراصنه

والمركب الغريق في المياه الآسنه

(٦)

رمال سيناء لم تزل معبأه

في الزجاجات، وفوق رف المكتبه

صورتك المذهَّبهْ...

(٧)

وفتشوا عن كنزه طويلاً
وفتشوا الدولاب
وكسروا الأبواب
وفتشوا فوق ضريحه الغمامه
واقفة تنوح كالحمامه
وكنزه أيتها الملاعق السوداء...
كنزه هناك في سيناء

(٨)

نحن كما ترى
والبحر هائج كما ترى...
وخلفنا المطاردون مثلما ترى
نحن بلا عصى
موسى، ولا أسطورهْ
وسائلوا العصفوره
نحاول السير بلا معجزة على الطريق
بكل ما في قدم الإنسانِ من بريق...

(٩)

ومر عام...
تاج العذاب زاد جوهره...

(١٠)

ومرَّ عام...
ولم يزل للماء جِلدهُ
للخبز لونهُ
وبدَّلت جلودها السلاحف العمياء
والحيتان
وخلعت جلودها الحيطان
وكان يا ما كان
وآه يا زمان...

(١١)

حملتُ مرة إلى ضريحك الأزهار
ومرَّ نعش قادم من – الأغوارْ –
وكان وجهك القديم
لا زهرة عليه أو نوَّارْ

(١٢)

سوف تظل طافيه
يدفعها التيار...
سمكُ القرش يحوم حولها
وسوف يأتي فوق لوحه بحّار
ينتشل الزجاجه
يَفُضُّ ختْمها في الضفة الأخرى من
القناة
ويقرأ الرساله...

آخر القراصنة من العصافير...

(١)

أَصبحتُ عاجزاً عن الكتابةْ
الآخرونَ كيفَ يكتبونْ
يجَرِّدُ العصفورُ من نيشانِهِ،
ويكتبونْ:
(زوّر أشعار امرئ القيس،
ونشرةَ الطقسِ،
ويكتبونْ...)
تُصادرُ الورودُ من هوامشِ الكتبْ
ويكتبونَ: (قد أصابها
الجربْ)
ويُجلدُ التمثالُ في الميدانِ
- عاريا -
ويكتبونَ: (حاول الهربْ)؟
أصبحتُ عاجزاً عن الكتابةْ...
تموتُ في المحبرة النحلةُ،
تكبرُ في المحبرة الذبابةْ...

أصبحتُ عاجزاً عن الكتابهْ...

قد سقطتْ أصابعي...

ألصقتُها بالصمغْ...

لكنني سأدفعُ الثمنْ...

اكتحلي حبيبتي سأدفعُ الثمنْ...

ليسَ قصيدةً عن المقاومهْ...

ليس قصيدةً عن الوطنْ...

لم يبقَ في محفظةِ

النقُودِ – غيرها –

خارطةُ الوطنْ.

اكتحلي حبيبتي واسرعي

قد سقطتْ أصابعي...

وَحطّمي الكأسينِ فوقَ المائدهْ

فسوفَ يبدأ الحصارُ تبدأُ المطاردهْ

(٢)

أبحثُ عن مغارةٍ جديدهْ،

عن قافيهْ...

غارُ حراءَ اينْ؟

عنكبوتُ هذا العصر واشيهْ

ثرثارةٌ،

وهذه اليمامةُ البيضاءُ،

ذاتُ الطوقِ والخلخالِ زانيةْ

تبيعُ بيضَها وعشَّها،

لقاءَ ملءِ حوصلهْ...

ومن يلومُهَا اليمامةُ

المطوّقهْ...

زنتْ...

اجل زنتْ

ولكن فوق حبل مشنقهْ.

(٣)

كَرِهتُ اسمَ السنبلهْ

كَرِهتُ اسمَ القنبلهْ

كَرِهتُ كُلَّ الكلماتِ السهلةِ

المرتجلهْ

كَرِهتُ هجرةَ الأسماءِ والمرايا والصور

من حائطٍ لحائطِ

وهجرةَ القصيدهْ...

من جريدة إلى جريدهْ...

كَرِهتُ هجرةَ الطيورِ من مصيدة

إلى قفصْ...

من قفصٍ لمصيدهْ...

كَرِهتُ هجرةَ الأجراسِ

من كنيسة إلى كنيسهْ،
كَرِهتُ هجرةَ المسيحِ بينَ
كأسِ الخل والصليبِ،
في طريق الجلجلهْ...
أيتها الرمَّانهْ...
كَرِهتُ هجرةَ البطانهْ
من قصرِ ملكٍ لقصرِ ملكٍ
كَرِهتُ هجرةَ العنقودْ
من خمّارةٍ إلى خمّارهْ

(٤)

أتَعْرفينني الآنَ بالصورةِ
والتهمةِ والاسمِ واللقبْ
حينَ الجميع انتسبوا،
رفضتُ أنتسبْ...
هذا أنا لا قاتلٌ ولا مقتولْ
هذا أنا لا سائلٌ ولا مسؤولْ...
ضدَّ الجرائدِ التي من المطاطْ
تكتبُ بالعصيِّ والسياطْ

(٥)

اعترفي بفمكِ المحشوِّ بالماءِ،
وأنتِ في القاعْ،

بأنه الغرقْ...

اعترفي بأنه الغرقْ...

لو اعترفتِ ربما ستُنقذينَ،

شيئاً ما،

ربما ستُنقذينَ مركباً من الورقْ

(٦)

تنطفئُ النساءُ مرةً واحدةً

في المدفأهْ...

تصعدُ من تحتِ الرمادِ كفُ امرأهْ

تُشعلُ النيرانَ في حبالِ المشنقهْ

يخرجُ حاجبُ السلطانِ،

يدعو الناسَ للجهادِ ضدَّ طفلٍ،

يكتبُ الأشعارَ فوقَ ساقِ زنبقهْ...

مشنقةٌ وزنبقهْ...

زنبقةٌ ومشنقهْ...

(٧)

هذا أنا...

أخرُ متراسٍ هوى

وأخرُ الأسرى أنا

وأخرُ الجرحى أنا

وأخرُ القتلى أنا،

وآخرُ القراصنهْ...

لكنَّ بعديَ البحارُ لن تكونَ آمنهْ...

علَمتُ موجةً صغيرةً هناك

في أعالي البحرِ

أن تكونَ عاصيهْ

لا تدفعُ الضريبهْ...

لحرسِ الشواطئْ

لحرس الموانئ

للحرسِ القديمِ والجديدْ

للحرسِ الذي سوف يجيءْ...

الآنَ خذي جسَدي كيساً

مِنْ رَمْـــل

كان يكتب ثم يشطب...

(إلى كمال ناصر)

حينما جاؤوا إليه كان يكتبْ
ثم يشطبْ
كان في دمّه يلعبْ...
كان ضدَّ البطل الملفوفِ بالأوراقِ
والجُرح المُعلَّبْ...
كان يَكتبْ...
ثم يَشطبْ...
كان في دمهِ يسبحْ
لم يكن عنترةَ العبسي أو قيس بن الملوّحْ...
أجملُ الأكباش يُذبحْ
فمهُ برعمُ نارٍ،
أطلقوا عشر رصاصاتٍ عليهِ
والفم البرعمُ فتّحْ...
حينما جاؤوا إليه كان يكتبْ
ثم يشطبْ.

من تُرى الآن سيكتبْ

ثم يشطبْ...؟

يا كمالْ...

أيّها الطفلُ الذي كان كعصفورٍ متوّجْ...

كنتَ شبّاكاً على وجه الشجرْ

ثم قد صرتَ حجرْ...

يا كمالْ...

ألفُ قرصانٍ تزوّجْ

فمك الدامي المتوّجْ

نُطفة الثورة في الجرحِ،

وآلافُ القصائدْ...

مثل آلافِ الموائدْ...

مثل آلاف الجرائدْ...

تولدُ – الآن – وليلى العامريهْ...

لم تزلْ تمشي على النهدينِ،

في هذي البلادِ العربيهْ

الهجرة رقم: ٤٠٥

سيعودونَ فما زالوا هنا.
أنتِ في قائمةِ القتلى، وفي قائمةِ القتلى أنا.
ما الذي تنتظرينْ؟
قدْ تركتُ الباب مفتوحاً لهم
جَسدي الأرضُ،
وهذا الوقتُ، وقتُ الحرثِ،
هذا وقتُ إلقاءِ البذورْ
ما الذي تنتظرينْ؟
نشرةَ الطقسِ؟؟ تركتُ البابَ
مفتوحاً لهمْ.
جسدي مشتلُ أنهارٍ، وهذي ليلةُ الطوفانِ،
تسَاقطُ في نيسانَ أمطارٌ غزيره.
ما الذي تنتظرينْ؟
نشرةَ الأخبارِ؟ في منتصفِ
الليلِ الجرائدْ.
في انتظار الصفحةِ الأولى، وعمالُ المطابعْ.
في انتظار الصفحةِ الأولى، وحيطانُ الشوارعْ

فيِ انتظارِ الملصقاتْ.

إنَّ نجاراً، يدقُّ الآنَ مسماراً، لكي يجمعَ لوحينِ معاً

وضعوا المنشارَ فيِ عُنْق الشجرْ،

زادت الليلةَ أسعارُ الخشبْ،

شجرُ الأرز على الأكتافِ محمولٌ، وباب المشرحهْ

فيِ انتظارِ السمكِ القادمِ من شطِ العرب.

قد تركتُ البابَ مفتوحاً لَهمْ.

كم أحب الثلجَ فيِ الكأس، وكم أكرهُ ثلجَ المشرحهْ.

إن نجاراً يدقُ الآنَ مسماراً،

لكي يجمّعَ كفّين معاً.

أنتِ من أعطيتني، فيِ ذلك اليومِ، حذاء ومسدس

أوَلا تجمعُنا الآنَ رصاصهْ؟؟

أوَلا تجمعُنا الآنَ سحابهْ؟؟

ما الذي تنتظرينْ؟؟

يصعدونَ الدرج الآن، دقيقهْ

بقيت لي، أنا أُعطيها لكِ الآنَ، الدقيقهْ.

مثلما أعطيتني فيِ ذلكَ اليوم، دقيقهْ.

ما الذي تنتظرينْ؟

جَسدي مشتلُ أنهار، ومنهُ

تقفزُ الآنَ، من الشباكِ، آلافُ الجداولْ

أصبحَ الرُعبُ: بحيرهْ.

يلصقونَ الآنَ، آلافَ الصورْ.

فوقَ حيطانِ الشوارعْ.

يقطعونَ الآن، آلافَ الشجرْ.

وأنا ألصقتُ وجهي بالسماءْ

آهِ يا لحمَ الفلسطينيِّ، يا خبزَ الجرائدْ!

يصعدونَ الدرجَ الآنَ، تركتُ البابَ مفتوحاً لهم

دودةُ القزِّ أنا

وأنا خيطُ الحريرْ.

جسدي في ثقب إبرهْ.

يصعدونَ الدرج الآن. تركتُ الباب مفتوحاً لكم

إن آلافَ الخيوطِ الآنَ، آلافَ الإبرْ

تصنعُ الآنَ قميصاً للشجرْ

ما الذي تنتظرينْ؟

إن آلافَ الجرائدْ،

تطلقُ الآنَ على راسي الرصاصْ

وأنا الخبرُ الأولُ، جثه،

في الجريدهْ

وأنا آخرُ أخبارِ الجريدهْ

حينما أكتبُ ضدَّ الثلجِ والموتِ، قصيدهْ...

وصلوا الآنَ، تركتُ البابَ مفتوحاً لهم.

ولَكمْ؟

انا لصٌّ وطنيّ انا عاشقْ.

اطلقوا، كل البنادقْ...

أو لو كنتِ معي الآنَ،

لَقاتَلْنا معا

ونسفناهم بشمعهْ...

برقية إلى تل الزعتر

"تل الزعتر"
صارَ جدارُك للشعراء جريدهْ
والقنبلةُ بكفكَ، تنفجرُ قصيدهْ
وضَفائرُ كل نساءِ الأرضْ
تَتمنّى أنْ تُصبحَ علماً لكْ
"تلَ الزعتر"
كلُ ينابيعِ وأشجارِ فلسطينَ دبابيسُ
بشعرِ نسائِكْ...
كُلُ شرايينِ الجنرالاتِ الرُكّعِ،
فوقَ خرائطِهمْ
أربطةٌ لحذائكْ
والطائرُ والثمرةُ والسمكةُ،
وجميعُ دواوينِ الشعرْ
تحلمُ أن تُصبحَ ألغاماً،
تحتَ تُرابكْ...
"تلَ الزعتر"
يا جُرحاً يتسعُ ويصبحُ،

هذا الوطنَ الأكبرْ

غنيتُ طويلاً للداليةِ على جبلِ "الكرملْ"

وكتبتُ كثيراً للزيتونةِ في جبلِ "القسطلْ"

وحملتكِ يا غزهْ

أو على غَزَّهْ

كان العنقُ يذوبُ كشمعهْ

والأطفالُ وراءَ المتراسِ "بتلِ الزعترِ"

في "جسرِ الباشا" و "النبعةْ"...

يخترعُونَ لطفلِ في "تلِ الزعترِ"،

وردهْ...

كانت كفُ الوطنِ على الحائطِ ملصقْ

كان الوطنُ قَميصي،

فوقَ شراييني،

كان الوطنُ مُعلقْ...

البسهُ يَلبُسني

اكتبهُ يكتُبني

أقتربُ فيقتلني

يقطعُ كَفي الوطنُ ويرسلِها للعالمِ برقيهْ...

ويُعلقني فوقَ الحائطِ ملصقْ

فوق شراييني كان الوطنُ معلَقْ...

والآنْ...

وذراعكَ ماسورةُ مدفعْ...

والنجمةُ تحلمُ أن تصبحَ،

فوقَ ذراعكَ شامةْ

الآن لكل حمامةْ

طارت من صدرك يا "تلَ الزعترْ"

الآنَ لكل فراشه

قاتلت الفولاذَ على جسر الباشا

الآن لتلك الشمعةْ

صارت إصبعَ بارودٍ في النبعةْ

أنا أقطعُ كفي

ارسلها لك يا "تلَ الزعترْ"،

برقيةْ

أكتب جسدي... كي تقرأ جسدك

اكتبُ لكْ
انتَ الآتي بعدي
وانا الآتي بعدكْ
جَسَدي في يدِكَ كتابٌ،
وانا اكتبُ جسدي
كي تقرأ جَسَدكْ
انتَ الصوتُ الآتي بعدي
وانا الصوتُ الآتي بعدكْ
اكتبُ لكْ
آثارُ جنازيرِ الدبّابةِ،
فوقَ الوَرَقةِ،
يعتقلونَ الآنْ
آلةَ رُونيو، برقياتِ القتلى،
شجرةَ رمّانْ.
وعصافيرُ دمشقَ
تُعبّئُ بالرملِ حواصلَها،
يا أولَ كيسٍ من رملٍ

يا أَولَ متراسْ.

أنا أعطي صوتي لكْ

أكتبُ لكْ

يا كرواناً في الشهرِ السادسِ،

في يدِ – إيفا –،

سقطَ وفي يدِهِ،

للجرحى في تلِّ الزعترِ،

شجرةُ قطنْ.

يا كروانَ الماءْ

الآنَ جميعُ الشهداءْ

سفنٌ "راسيةٌ" في تلِّ الزعترْ

أو فلسطينْ

الدم يركضُ من شجرِ الحبرِ،

إلى شجرِ الزيتونْ

حَذارِ فكلُّ الأوراقِ،

على شجرِ التينِ سكاكينْ.

اكتبُ لكْ.

والقنبلةُ الفارغةُ من البارودْ

محبرةٌ يسبحُ فيها الدودْ

انتحروا بزُجاجةِ حبرْ.

وبَيروت بعيدانِ الكبريتِ المحترقهْ،

تكتبُ لشبابيكِ المدنِ رسالهْ

الآن النافذةُ المكسورهْ،

تلدُ غزالهْ

تقتربُ من النافذةِ المكسورةِ

سمكةُ قرشْ.

بيروتُ وحيدهْ.

والجرحُ وحيدْ.

والشاعرُ يا بيروتُ وحيدْ.

عطشانُ – ابو عمر – بعيدْ.

وطيورُ النورسِ وفَراشاتُ البحرِ،

تُفتِّشُ عنهُ،

وزوارقهُمْ تسبحُ تحتَ المائدةِ،

وأيديهُمْ تسبحُ فوقَ المائدةِ،

و – إيفا –،

تَلِدُ لهُ في تلِّ الزعترِ،

زورقْ.

– إيفا –، الدمُ لنْ يغرقْ

أكتبُ لكْ

انت الآتي بعدي

وأنا الآتي بعدك

يا دَمنا الآتي،

من جُرحِ الماءِ شواطئْ.

يا دَمنا الذاهب،

في شبّاكِ الأرضِ موانئْ.

من يكتبْ

لا يهربْ.

الدَمُ لمْ يتعبْ

والدَمُ لنْ يهربْ

وسأبقى أكتبْ

الآن بتلِّ الزعترْ،

كيسٌ من رملٍ،

يتزوَجُ شجرهْ

أيَتها الثورهْ

لكِ جسدُ الأرضْ

مجنون تل الزعتر

ما دلّني أحَدْ.

عليهِ، كنتُ فوقَ التّلْ

ديوانُ شعرٍ فوقَ كيسِ رملْ.

وقد رأيتهُ،

مُرَصّعاً بالنارِ والجذورِ طارْ

مُرصّعاً بالقمحِ والأحجارِ دارَ

دارْ.

واستقرَّ في مدارِهِ الجسدْ

التلُّ قد صَعَدْ

والتقى النهرانْ

الدمُ العريانُ والفمُ العريانْ

والدَوريةُ التي مضتْ،

إلى نافورةِ النيرانْ

تعودُ يا سلمانْ

سلمان يا سلمانْ

شاهدٌ عليّ أنتَ، شاهدٌ أنا عليك.

شاهدٌ على يديَّ شاهدٌ على يديكْ

والتلُّ شاهدٌ علينا
أنا الذي تعلمتْ يداي النطقَ من كتابِ
طفلْ،
مُعَلَّقٍ على ذراعِ التلْ
أنا الذي رأى
ومَا رأى
أنا الذي كتبْ
وما كتبْ.
سلمان من هربْ
قد هربْ.
والتّلُ فوقَ كلِّ هذهِ المرايا والقبورْ
كوكبٌ يدورْ.
شاهدٌ عليٍّ يا سلمانْ
شاهدٌ عليٍّ "صالح".
شاهدٌ عليٍّ "أدهم".
شاهدٌ عليٍّ الدمْ
شاهدٌ عليٍّ كلّ فمْ
شاهدٌ عليٍّ كلّ اسمٍ لم أرَهْ
شاهدٌ عليٍّ لم أركْ
يا صالحُ الذي أرى على فمي فمكْ.
يا أدهمُ الذي أرى على دمي دمكْ.

فيِ التّلِ صارت بئرَ ماءٍ،

كلُّ بندقيةٍ وكلُّ امرأهْ،

وكانت الأنهارُ نائمهْ.

فوقَ فخذِ كلِّ عاصمهْ

فيِ التلِّ صارت بئرَ ماءٍ،

كلُّ امرأهْ.

أوِ على خيطٍ من الهواءْ.

من دُخانِ التلِّ،

فيِ الرئهْ،

شاهدٌ عليَّ التلُّ واليدُ التي بلا لغهْ

والشامُ شاهدهْ

أيتها القصائدُ المحايدهْ

كيفَ يشطبونَ من سمائِهِمْ سحابَ التلْ؟

كيفَ يشطبونَ من هوائِهِمْ دخانَ التّلْ؟

كيفَ يشطبونَ من عيونِهِمْ نساءَ التّلْ؟

سحابه لَنْ يترك السماءْ.

دخانهُ لن يترك الهواءْ.

التلُّ سوفَ يبقى فيِ عيونِهِم يقيمُ،

حتى ينفجرْ.

لمْ تنفجرْ.

من المحيطِ للخليجِ، لا يدٌ ولا حجرْ

أيها التلُّ العظيم هذي لحظةُ انتصارِنا

فكلّما تسافرُ السكّينُ في رقابنا

تخرجُ الأشجارُ من أجسادنا

وتخرجُ النساءُ والأنهارُ من أحجارِنا

وتسقطُ القصائدُ، الجرائدُ، العواصمُ، الخواتمُ المُجَفّفه

على كراسي الأرصفهْ

نحن ما قُتلنا

نحنُ قدْ زُرعنا

لمْ يدلّني أحدْ

عليهِ، كنتُ فوقَ التّلْ

ديوانَ شعرٍ فوق كيسِ رملْ

وقد رأيتهُ،

رأيتُ التلْ

مُرصّعاً بالنارِ والجذورِ طارْ

مُرصّعاً بالقمحِ والأحجارِ دارْ

واستقرَّ في مدارِهِ الجسدْ

التّلُ قد صَعَدْ.

التّلُ قد صَعَدْ.

التّلُ قد صَعَدْ.

غزال صنين

الكورس:

استشهدَ الماءُ ولمْ يزلْ يقاتلُ الندى

استشهدَ الصوتُ ولمْ يزلْ يقاتلُ الصدى

وانتَ بينَ الماءِ والندى

وانتَ بينَ الصوتِ والصدى

فراشةٌ تطيرُ حتى آخرِ المدى.

يذهبُ للخندقْ

يتركُ دَمَهُ،

ويعودُ إلى الحائطِ ملصقْ.

يذهبُ للخندقْ

بالصَدَفِ وبالعشبِ مُزوّقْ

تنتظرُ الصورةُ في النافذَةِ،

وتنتظرُ المطبعةُ الصورةَ،

قصّوا الورقَ وعَجَنوا الألوانْ

الصورةُ في المطبعةِ الآنْ

غزالٌ محمولٌ من صنّينِ،

إلى الحائطِ ملصقْ.

يذهبُ للخندقْ.
بالزلفِ والزنبقْ.
الكفُّ مزوّقةٌ والصدرُ مُزوّقْ.
والاسمُ: أبو خالد.
ذهبَ وفي يدِهِ لونٌ واحدْ.
ذهبَ وفي فمِهِ صوتٌ واحدْ.
فلماذا طبعوهُ بالألوانِ الآنْ؟؟
الآنَ.
أبو خالدْ.
قتلوا شجرةَ أبنَوسٍ في السودانْ.
الآنَ غزال في بطنِ امرأةٍ
في تلِّ الزعترْ
شقَّ بكفَّيهِ البطنْ
وانكسرَ على قطرةِ ماء
الآنْ
كفُّ جنوبيٍّ صارتْ ورقةَ تبغْ
تنادي عيدانَ الكبريتْ.

مَنْ دمُهُ في فمهِ فليتكلمْ

من دَمُهُ في فمِهِ فليتكلّمْ
صارَ الشهداءُ همُ الشعراءْ
يذهبُ للماءْ.
غزالُ الماءْ.
يذهبُ يذهبُ يتركُ يدَهُ فوقَ الماءْ
زجاجهْ
ويعودُ إلى الحائطِ مُلصقْ

يذهبُ للخندقْ
ها هُم فتحوا في الأرضِ سريرا
والنجّارُ يدقُّ أصابعَنا،
في الصندوقِ مساميرا
ومكبّرُ صوتٍ ينتظرُ على العربهْ
خرجَ غزالٌ محمولٌ فوقَ الخشبهْ
صفارة عربةٍ إسعافْ
خرجَ المجدافْ
محمولاً فوقَ الأكتافْ
نزلَ الموكبْ.
انْطلقَ الموكبْ.
كانَ له لونٌ واحدْ
كانَ لهُ صوتٌ واحدْ

فلماذا طبعوهُ بالألوانِ الآنْ؟

يذهبُ للخندقْ.
ضيفٌ آخر يا بيتَ الشهداءْ
الشهداءُ الجددُ، على مائدةِ الشهداءِ القدماءْ
الملصقُ فوقَ الملصقِ،
فوقَ الملصقِ،
فوقَ الملصقْ،
لو أحرقت الصورهْ
سوفَ تصيرُ قديماً فوقَ الحائطْ
فالآنَ المطبعةُ تدورْ
وغزالٌ آخرْ.
يمشي والألوانُ تغطيهِ،
إلى الحائطِ ملصقْ.

الكورس:
استشهدَ الماءُ ولمْ يزلْ يُقاتلُ الندَى
استشهدَ الصوتُ ولمْ يزلْ يُقاتلُ الصدَى
وانتَ بينَ الماءِ والنَدى
وانتَ بينَ الصوتِ والصدَى
غزالةٌ تطيرُ حتّى آخرِ المدى.

بيروت أصبحت بعيدة...

"الشاعرُ السعيدُ" في المطار.

"القارئُ السعيدُ" في المطارْ.

والطريقُ للمطارِ آمنهْ

والطائرهْ

لم تكنْ مواطنهْ

وليسَ كيس الرملِ وحدهُ...

هو البطلْ؟

وهذه بيروتْ

لا تَحيا ولا تموتْ

بين جثتينِ تكتبُ الجريدهْ

وبين جثتينِ تطبع الجريدهْ

وبين جثتينِ تقرأ الجريدهْ

- والشاعرُ السعيدُ - في انتظارِ الطائرهْ

- والقارئُ السعيدُ - في انتظارِ الباخرهْ

- وليس كيسُ الرملِ وحدهُ،

هو البطلْ؟

وهذو بير وتْ

وراءَ حائطٍ تحيا،
وراءَ حائطٍ تموتْ...

أيتها المدينةُ السحابةُ الرصاصةُ الرغيفْ
أيتها الزجاجةُ السفينةُ المكسورةُ التي تضاجعُ
البحارةَ القتلى على الرصيفْ...
ها أنتِ مثل الله،
في يديهِ السلسلهْ...
لا أنتِ سنبلهْ...
لا أنتِ قنبلهْ...
وبين كل جثتينِ أنتِ نقطةٌ،
وبين كل جثتينِ أنتِ فاصلهْ...
وحائطُ الإعدام،
مثلُ حائطِ الإعلانِ،
تسقطُ الأمطارُ فوقَ الملصقاتِ،
اجمعي مياهَكِ الملوَّنهْ
ما زالَ فوقَ "امشاطِ البيانو،
- طائرُ السنونو -...
- والشاعرُ السعيدُ - في المطارْ،
- القارئُ السعيدُ -، في المطارْ
والطريقُ للمطارِ أمنهْ

والطائرهْ...

لم تكنْ مواطنهْ

– وليسَ كيسُ الرملِ وحدَهُ،

هو البطل –؟

وهذه بيروتْ

لا تحيا ولا تموتْ

في المساءِ يكتبُ الجرحى الجريدهْ

وفي الصباحِ يقرأ القتلى الجريدهْ

والشاعرُ السَعيدُ

القارئُ السعيدُ في المطارْ

والمضيفةُ السعيدةُ السعيدهْ

توزعُ الأقلامَ والأوراقَ والجريدهْ

على ارتفاع ألفِ مترِ اكتبوا،

بيروتُ تبتَعدْ...

على ارتفاع ألفِ مترِ اقرأوا،

بيروتُ تبتعدْ...

كتابةٌ سعيدهْ...

قراءةٌ سعيدهْ...

بيروتُ أصبحتْ بعيدهْ...

بيروتُ أصبحتْ بعيدهْ...

قصيدة إلى جدران بيروت

هُنا...
متراسُنا هُنا
وهذهِ الطيورُ في سمائِكمْ،
أطفالُكم، أطفالُنا...
رفاقنا:
نقسّمُ الرصاصَ في حواصلِ الطيورِ،
بينكم وبيننا...
حبّاتِ قمحٍ
حبّةٌ لكم، وحبّةٌ لنا...
متراسُنا هُنا
نقصُّ بالأصابعِ المنديلَ فوقَ جُرْحِنَا
قطعة لجُرحِكم.
وقطعة لجُرحِنا
أطفالُنا،
سيحملونَ كيسَ رملِكمْ،
أطفالُكم،
سيحملونَ كيسَ رَملِنا

رفاقَنا:

شرِيانُكم على شرِيانِنا

جناحُكم على جَناحِنَا

وفوقَ كلِ حائطٍ: شعِارُنا

هُنا... هُنا.... هُنا

متراسُنا هُنا

ولن يمروا من هُنا

بيروتُ، إننا هُنا

تعلّمتْ أصابعي على جدرانكِ الكتابهْ

عَلَّمْتُكِ الكتابهْ...

دَمي على أصابعي يسيلُ،

ضدَّ كلِ من قدْ لوّنوا الوحولَ،

في عُروقِهمْ،

وتوّجوا المؤامرهْ...

ملكةً على السماسرهْ

نحنُ الدمُ الذي يعلّم القراءهْ

نحنُ الدمُ الذي يعلّمُ الكتابهْ

نحنُ السؤالُ والجوابُ والإعلانُ

والبلاغُ الأولُ

عن الذي سيُقبِلُ،

الإعصار مُقبلُ

الإعصار مُقبلُ

مُقبلُ

هُنا... هُنا... هُنا

متراسُنا هنا

ولن يمرّ مِن هنا القراصنهْ

هنا...

على جباهِنا

نعلّمُ الفقيرَ حرفَ الباءِ والألفْ

وأنّ كل هذه العجولِ الراكعهْ

للذبحِ،

من خزفْ...

وأنّ بينَ قُرصِ الشمسِ والرغيفْ

قصيدةً،

مكتوبةً على الرصيفْ

وبندقيةً، تعلّمُ الأطفالَ

في مخيّماتنا

هنا.. هنا.. هنا..

وفوق كل حائطٍ شعارُنا

رفاقنا:

شريانكم، على شرياننا

جَناحُكمْ، على جناحنا

جُذورَكم، على جذورنا

ملتفّةٌ، اغصانُكم، على اغصانِنا

وهذهِ الطيورُ فيِ سمائِكم

اطفالكم، أطفالنا

نقسّمُ الرصاصَ فيِ حواصلِ الطيورِ،

بينكم، وبيننا...

حبّاتِ قمحٍ،

حبّةً لكم، وحبّةً لنا...

بيروت إنّنا هنا

متراسُنا هنا

والكهرباءُ فيِ الشوارعْ

دماؤُنا التي تسيلُ فوقَ هذهِ الجُدران،

فوقَ هذهِ الأصابعْ...

وكل إصبعٍ، قد صارَ فيِ يدي

قلمْ

ضدَّهم،

وكل قطرةٍ من دمْ

صارت قطرةً من حبرْ

ضدَّهم،

ضدّ الذين لوّنوا الوحولَ،

في عروقِهم،

وتوّجوا المؤامرهْ

مَلكةً، على السماسرهْ

ضدَكم،

بإصبعي على الإسفلَتِ،

ضدكمْ،

بإصبعي على الحيطانِ،

ضدكمْ،

هنا... هنا... هنا

متراسُنا هنا

أطفالُنا،

سيَحملونَ، كيسَ رملِكم،

أطفالُكم

سيحملونَ كيسَ رَملِنا

ولن يمرّ من هُنا، القراصنهْ

غزلان تركض نحو الشمس

(١)

فنجانُ القهوةِ ساخنْ
والقَتَلَةُ يصحُونَ على الحبرِ الساخنِ،
والورقِ الساخنْ
"ها أرتسُ"، "الأهرامُ"، "العملُ"،
ثلاث جرائدْ...
تكتبُ بلغاتِ ثلاثِ رصاصاتْ...
وثلاثةُ اطفالٍ، كانوا يمشونَ،
جَرائدُهم في أيديهمْ،
كانت بيروتُ بأيديهمْ،
تنفجرُ ثلاثَ سنابلَ،
وثلاثَ قَصائدْ...
للآلاتِ الكاتبةِ، وللأيدي المكتوبةِ،
صوتٌ واحدْ...
"هاأرتسُ"، الأهرامُ"، "العملُ"،
ثلاثُ جرائدْ...
تُطبعُ بلغاتِ ثلاثِ بنادقْ...

(٢)

من قنّاصٍ "في القاهرة"،

إلى قناصٍ في بيروتْ.

السابعةَ مساءً، تسقطُ بيروتْ...

امرأةٌ تذبحُ بالمشطِ،

وتبتلعُ المرآةُ أصابعَها،

غزلانٌ تركضُ نحو الشمسِ،

الشبَّاكُ يخبئُ فَمهُ،

الماءُ يخبئُ دمَهُ،

اللهُ،

الراديو،

الكرسيُّ،

الكأسُ،

الباخرةُ،

الطائرةُ،

البنكُ حقيبتهُ في يدهِ،

الإسمنتُ،

هنا القاهرةُ،

هنا بيروتْ...

وحرائقُ في ورقِ الموزْ...

شجرةُ مطاطٍ، تعطي رقمَ التليفونِ.

إلى شجرة أرزْ...

من قنّاصٍ في بيروتَ،

إلى قنّاصٍ في القاهرةِ،

العاشرةَ صباحاً، تسقطُ بيروتْ

السمكةُ تخبزُ فوقَ الموجِ الصدفَ،

وتُطعمُ أطفالَ الحمّالين،

بمرفأ بيروتْ...

لم تسقطْ بيروتْ...

الخامسةَ مساءً، تسقطُ بيروتْ

الرابعةَ،

الثالثةَ،

الثانيةَ،

الواحدةَ،

وما زالت بيروتْ

تلدُ رغيفاً من يدها،

وزجاجةَ حبرٍ، وجريدةَ حائطْ...

(٢)

الآن تعالَوا،

من كل خطوطِ الطولِ،

ومن كل خطوطِ العرضِ...

الآن تعالَوا،

من كل جهاتِ الأرضْ...

من "تلِ الزعترِ"، من "سنِ الفيلِ"،

من "النبعةِ والدكوانةِ"...

من "فرنِ الشباكِ"، من "الشياحِ"،

ومن "عينِ الرمانةْ"...

الآن تعالوا، وبلا أسماءْ...

هذي هي "روزا"،

هذا هو "يونسْ"

لا أسلاكٌ شائكةٌ، تفصلُ بينهما،

لا كيسٌ من رملٍ...

لا خط للطول،

ولا خطٌ للعرضْ...

هذي هي "روزا"،

هذا هو "يونس"

هو ذا خيطُ الدمْ

يصلُ الفمَ بالفمْ...

للشعراءْ.

لونُ الشعرِ، وللشهداءْ.

لونُ فراشِ البحرِ،

وللعشّاقِ الباكينَ على قطرةِ ماءْ

لونُ طيورِ الماءْ،

وللقَتَلةِ لونُ الخوذاتِ البيضاءِ،

ولونُ الأحذيةِ البيضاءِ،

ولونُ الدباباتِ البيضاءْ،

يا – أمَّ عليٍّ –

يا أمّ ثلاثةِ شهداءْ.

ماذا تفعلُ شجرةُ وردٍ حمراءْ

في زمنِ الجدرانِ البيضاءْ؟

يا – أمَّ عليٍّ –،

ما زالَ على الحائطِ حجرٌ

تكتبهُ شجرةُ وردٍ حمراءْ.

أيتها العذراءْ.

كلُّ القوّادينَ اجتمعوا،
فوقَ سريرِ فراشةِ ماءْ.
كلُّ القوّادينَ اجتمعوا،
فوقَ قبورِ الشهداءْ
يا زمنَ القوّادينْ،
حيثُ يُجرُّ المتراسُ ويُلقى،
كالتمثالِ المكسورْ،
وينوحُ عليه العصفورْ،
يا زمنَ القوّادينْ.
أصفرُ... أصفرُ... لونُ السنبلةِ،
رماديٌّ لونُ الطاحونْ
وأبيضُ... ابيضُ... أبيضُ،
لونُ السكّينْ.

يا أمّ عليٍّ والمتراسُ الشباك الرابعُ
في صدركِ،
سأشقُّ الصدرَ، أخبئُ كيسَ الرملِ،
"فلوركا"،
قتلوهُ منذُ سنينْ
قرأ كتاباً فأحبَّ،
وحين رأى عينيها،

كتبَ كتابين.

يا زمنَ القوّادينْ.

ماتَ يدافعُ عن وجهِ امرأةٍ

بوشكينْ.

طفلٌ يكتبُ فوقَ جدارْ

طفلٌ نبتتْ بينِ أصابعهِ النارْ

أيتها الخوذاتُ البيضاءُ حذارْ

من طفلٍ نبتتْ بين أصابعهِ النارْ...

من طفلٍ يكتبُ فوقَ جدارْ

يكتبُ بعضَ الأحجارِ،

وبعضَ الأشجارِ

وبعضَ الأشعارْ.

الكرملُ سافرَ

والقسطلُ سافرْ

يا عبدَ القادر يا عبدَ القادرْ.

يسقطُ آلافُ الشهداءِ

لكي يكتبَ حجرٌ أو طائرْ

إنَّ الأرضَ هي الضيفُ،

على مائدةِ الشاعرْ.

يا – أمَّ عليٍّ –

لو تبقى فوقَ الجدرانِ البيضاءْ.

لو تبقى فوقَ الأرصفةِ

قصيدةُ ماءْ.

لو تبقى أسماءُ ثلاثةِ شهداءْ.

فوقَ الحائطِ،

لا بدَّ وأن تنسفَ كلَ الأسماءْ،

فوقَ سريرِ جميع الأنظمةِ البيضاءْ.

الخنازير تهاجم ... والعصافير تقاوم ...

ما الذي يكتبهُ الشاعرُ في الأرضِ الخرابْ
آهِ يا عصرَ الكلابْ
كلما تحبلُ كفي بمناديلِ الترابْ
الجواسيسُ الكبارْ
سلّموني للجواسيسِ الصغارْ
يا دمي المفتوحَ كالشبَّاكِ في كلِ جدارْ
أيها الكيسُ من الرملِ حذارْ
المتاريس التي أحبَبْتَ،
صارتْ ملصقاتْ.
أَبعدي عن وجهيَ الشمعةَ
ذابَ الشمعُ غطّاني
وما غطّى فمي
أَبعدي عن وجهيَ الموجةَ،
ذابَ الموجُ غطّاني
وما غطّى دمي
آهِ أعطيني قطرةَ حبرٍ واتركيني
للسكاكينِ التي تعرفُ عنوانَ عيوني

آه أعطيني قطرةَ حبرٍ واقتليني
جَبيني أيها المركبُ ميناؤك قد كان وما زال...
أيها المركبُ فوقَ الجفنِ واقفْ
أنا ما خَبّأتُ كفي بينَ أوراقِ كتابْ
أنا لم أدفنْ شهيداً في السحابْ
وأنا الشاعرُ... ديواني الترابْ
آهِ لو كنتمْ معي
كانت الزهرةُ شَقّتْ أضلعي
وكبُرنا في المتاريسِ،
وصِرنا شمعدانَ السنبلهْ
وغَدونا المرحلهْ
إنني أعرفُ جدرانَ العواصمْ
أيها العصفورُ في الإصبعِ،
يا آخرَ خاتمْ
الخنازيرُ تهاجمْ
والعصافيرُ تقاومْ.

اتبعيني يا قبورَ الشهداءْ
اتبعيني يا قوافي الشعراءْ
اتبعيني كالطوابعْ
اتبعيني كالمطابعْ

اتبعيني لم أزلْ أحفرُ في كفي الخنادقْ
إنَّ آلافَ الحرائقْ
سوف تبني الشمعدانْ
وسيأتي حاملاً وجهي على كفيهِ،
طفلٌ من بلادي
انظري وجهَ بلادي
إنَّ كفي صارَ قلبي
وأنا قلبُ الجدارْ
والجواسيسُ الكبارْ
سلّموني للجواسيسِ الصغارْ
كلما أوشكتِ الكفّ بأن تُصبحَ منديلَ ترابْ
الجواسيسُ الذئابْ
سلّموني للجواسيسِ الكلابْ

ما الذي تفعلُهُ الأرضُ
إذا غابَ المُغنّي؟
يذهبُ العصفورُ من غصنٍ لغصنٍ
تاركاً عوداً من القشِّ وتبقى الكلماتْ
آه يا عصر المتاريسِ
وعصرَ الملصقاتْ

أيها الآتي من الشمعةِ،

ذابَ الشمعُ لم يُغلقْ فمي.

أيها الآتي من الموجةِ،

ذاب الموجُ لم يُغلق دمي

جَسدي أصبحَ شمعةْ

صارتِ النجمةُ فوقَ الخدِ دمعةْ

حجرٌ يحبلُ يُعطيني جدارْ

أيها الدارُ... ولا دارٌ،

سوى النافذةِ الحُبلى بمتراسٍ جديدْ

وأنا الجرحُ الوحيدْ،

أو أعطيني قافية القتلى،

بآلافِ القصائدْ

وخذي كلَّ الجرائدْ

الجواسيسُ يبيعونَ حذاءَ المرحلةْ

من تُرى يَمشي ويستقبلُ وجهَ المقصلةْ

من تُرى يرفعُ أمواجَ البحارِ المقبلةْ؟

الثلجُ غَطّى كُلَّ شيءْ...
الليلُ في قصرِ الشتاءِ غَطّى كُلَّ ضوءْ
"كيرنسكي" يصرخُ في القبعهْ
الرغيفُ البولشفيُّ فوقَه توقيعُ "لينين"،
مرصعٌ بالحبرِ
خارجٌ من مطبعَهْ.
وبتروغراد واقِفَهْ
في يدها سيفُ الشتاءْ
الليلُ ابيضُ
القمحُ أبيضُ
الذئبُ أبيضُ
الثورةُ لا تلعبُ بالألوانْ
والحزبُ لا يلعبُ بالمكانِ والزمانْ
والذئابُ في قصرِ الشتاءِ خائفهْ
ورجلٌ في العاصفهْ
مدججٌ بالقمح مثل سنبلهْ
على كتفيهِ طيورُ البَجَعِ المقاتلهْ

إلى الأمامِ يا بنادقَ البلاشفهْ
إلى الأمامِ يا بنادقَ البلاشفهْ
مايا كوفسكي،
يا رفيقي في السلاح والقصيدهْ
يجيء الآن ألفُ انتهازيٍّ مُزركَشٍ
وألفُ كذّابٍ مرقّعٍ،
وألفُ راسبوتينْ
أين كانوا
حينما كان الشيوعي اسمهُ الشهيدْ
والشيوعيةُ اسمها الشهيدهْ
نحن مَنْ حملنا في زمان القحط والجرادْ
في ليالي الارتدادْ
في جهنم الزنزانة القديمةِ الجديدهْ
بطاقة الثورة والحزب والقصيدهْ
تُنكِرُنا العواصمُ
تخوننا الخواتمُ
إلى مساومٍ،
يبيعُنا مساومُ.
وأنتِ يا حبيبةَ الثوراتِ
يا عاصمةَ الحياةِ
يا مقبرةَ الغزاةِ

يا موسكو

تبقينَ شامةً على ذراع القدسْ

والدبكة التي يرقصها الفلاحُ في نابلسْ

والمنشور في ضلوع الحزبْ

في غزة التي على متراسها يصلي الربْ

لينينُ...

باسمك ألقي الآن قفّازي

واختارُ شاهدي

واستَلُّ سيفي

وفي الساحة الحمراء،

حيث ستون نجمة على فمي

أصيح هذا دمي

يا قيصر الشتاءْ

لا خطوةٌ إلى الوراء

لا خطوةٌ إلى الوراء

الأرض ...

تفاجئني الأرضُ، إن الشجرْ
يخبئ أسلحةً، والقمرْ
يقومُ بطبعِ المناشيرِ،
يا نجمةً في الجليلِ،
ويا تينةً في الخليل،
تخبئ "باجس" بين الفروعِ،
تخبئ مطبعةً في ضلوعي،
ويا شجرَ السروِ في القدسِ
تمشي المناشيرُ،
تمشي العصافيرُ،
تمشي الشوارعُ،
تمشي المطابعُ،
تمشي النوافذ فوقَ جفوني،
حروفاً جديدهْ،
وبيني وبينَ اريحا قصيدهْ...
ونابلس تطبعُ كفي جريدهْ...

تفاجئني الأرضُ، إنَّ الحجارهْ
تقاتلُ والأنظمهْ
بنادقها ملجمهْ...
تفاجئني الأرضُ،
إنَّ أكفَّ الصبايا
مرايا
وكفَّ الشهيدِ، بحجم السماءْ

تفاجئني الأرضُ،
يا وردةً في كتابْ
سلام الترابْ،
معلمة الأنبياء القراءهْ
معلمة الأنبياء الكتابهْ
سلام الترابِ، سلام السحابهْ
تمرّ طيورُ الليالي
ويبقى فراش الدوالي
ولا يضرمُ النار في الذاكرهْ
وتبقى المتاريسُ في الناصرهْ...

تفاجئني الأرضُ
هذي أصابعُ كفي
اقلام مدرسة في رفحْ

وألوانُ طفلٍ، على شط غَزَّة،
يرسم عكا،
ويرسم في كفه الكرملا
ويرسمُ في كفيَّ القسطلا
ويعلن إضرابه الأوَّلا...
تفاجئني الأرضُ،
هذي أصابع كفيَّ
فرشاة طفل بعمان،
يشطبُ وجه الملكْ...
ويرسمُ وجه فلسطيننا المقبلهْ
تفاجئني الأرضُ،
هذي أصابع كفيَّ
أقلامُ مدرسةٍ في الجنوب،
وأقلامُ مدرسةٍ في الجبلْ...
ولبنانُ يكتبُ،
لبنانُ يرسم،
لبنان في يده السنبلهْ
ولبنانُ في يده القنبلهْ
ولبنانُ يطحنُ قمحاً جديداً...
ولبنانُ يعجنُ خبزاً جديداً...
ولبنانُ يطعمُ اريحا قصيده...
ونابلس تطبع كفَي جريدهْ...

تفاجئني الأرضُ،
طفلٌ على كفّ غَزّة
يرسمُ أرزهْ...
ويا شجر السروِ في القدسِ،
تمشي العصافيرُ فوقَ الغصونِ،
وتعلن إضرابها الأوّلا
وتمشي المناشيرُ فوق الجفون،
وتعلن إضرابها الأوّلا
وامشي...
احملُ كتبي وامشي،
احملُ اقلامَ طفلي وامشي،
احملُ صورة امي وامشي،
احملُ صورة بيتي وامشي
وامشي...
وأمشي...
وامشي...
واتلو بلاغَ الشجرهْ...
واتلو بلاغَ الحجرْ...
واتلو بلاغَ القمرْ...
واتلو بلاغَ المتاريسِ،
في كلّ شارعْ...

نفرتيتي

يصعدُ الآن حصانُ البحر حاملاً في جناحهِ
خوذةَ جنديٍّ
يلقي بها على الشط تصيرُ زورقاً
الهرمُ الأكبرُ ليس فندقاً
وأبو الهول لا يذيع نشرةَ الطقس والأخبارِ
ليس شاعراً مرتزقاً
والنيل طالبٌ في الجامعهْ
وجسدي مطبعهْ
وانا ساعةُ الحائط صرتُ طائراً
يلقي المناشيرَ على القاهرهْ
نفرتيتي عضوةٌ في حزبها الشيوعي

فسافري في ضلوعي
وعودي بقلب مصرَ ياسمينهْ
عَرَّشَتْ على سفينهْ
أنا الشجرُ القادمُ من شواطئ المحرقهْ
أنا المطرُ القادمُ من موانئ المشنقهْ

أنا المجدافُ صرتُ وَرَقَةْ

وجسدي مطبعةْ

فكوني معي الآنَ أو كوني معهْ

يا طائرَ السنونو

تكونُ أو لا تكونُ

يصعدُ الآنَ طائرُ النورسِ

من زهرة اللوتسِ

يحملُ في منقاره خواتما

يلقي بها على مراكبِ المقاومةْ

عمالُ حلوانَ وبحارةُ بور سعيد

والغزالةُ التي على الشاطئ ترضعُ الإسكندريهْ

وعرائسُ النيل في المراكبِ السريهْ

يصنعن القنابلَ اليدويهْ

يصعدُ الآنَ من ضريحه الناصريُّ

والنيلُ يصيرُ بندقيهْ

وكل شباكٍ يصيرُ منشوراً

وقلبُ مصرَ ساعةُ حائطِ الزمنْ

عقرباها ذراعان يضمان الوطنْ

يخرجُ الآنَ من آنية الزهور

من حواصلِ الطيورِ

من مدرسةِ القبورِ

جنودُ مصرَ

أيها المظليّونَ

هذا قصرُ عابدينْ

يلتفُّ حولهُ النيلُ

فاهبطوا مراكبا

شجرُ القطن متاريسُ والجرحى مرايا

ووجهي يصعدُ الكواكبا

مسافرٌ ونفرتيتي في دمي مسافرهْ

أنا الآن في شوارع القاهرهْ

هذا الشارع الذي يصهل فيه الذئبُ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع أصابعَ الأطفالِ

عيدانَ ثقابٍ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيعُ الصحفَ التي تكتبها الشرطةُ

بالعصيّ والأسنانِ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع في خان الخليليّ

قلبَ مصرَ خلخالاً من النّحاس

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيعُ عنقوداً
من الدموعِ أضلعي
ليس شارعي
يا مصرُ أنا يوسف الفلسطيني في البئر
وانتِ في البئرِ نخلتي
وانتِ نافورتي
جَدَّلتُها حبلاً
ايها النيل الذي يطفو على وجهي سيفا
آه ما أبعدَ حيفا
آه ما أقربَ حيفا
اعطني كفّك مرآةً
ارى البرقَ على جرحي تجمَّدْ
وارى البرقَ على صوتي تجمّدْ
وارى البرقَ على اسمي تجمّدْ
ثم اصعدْ
ثم اصعدْ
إنني كليمُ مصرَ فوقَ صخرةِ المقاومةْ
فنادني باسمي الذي ينتظرُ المحاكمةْ
والنيلُ طولَ العمرِ يجري فوق ظهره الأهرامُ
والملوكُ والنبيّ والإلهْ
والنيل يجري لا يقول آهْ

والنيلُ قال ليست هذه جرائدي

وجرائدُ الحيطانْ

وزهرةُ اللوتسِ

التي ترضعُ طائرَ النورسِ

والعصفور

وشجرُ الكافورْ

وألف قريةٍ سريّهْ

وألف خليّهْ

وكلّ مجدافٍ وخاتمٍ وصيدليهْ

وورقُ البرديّ في انتظار قصيدةٍ مصريهْ

تكتبها بندقيهْ

الأمير الفلسطيني

- إلى علي حسن سلامه -

آه يا حبيبي.
شَمعدانٌ يرتدي قميصهُ البنَفسجيَّ
يلفُّ نافورةً حولَ عنقهِ،
ويَمضي في تمامِ الساعةِ الرابعهْ.
كانتِ الشبابيكُ تَرتدي الأقنعهْ.
لم تكنْ أصابعُ كفّيهِ
ينابيعَ،
كما كان في الساعةِ الرابعهْ.
لم يكنْ – ابن أبيه –

قطار منشورات منتصف الليل...

هَذوِ خمّارةُ – صاحبِ الزنجِ –

وهذي يَدُهُ،

على بابها مُعَلقهْ

من أينَ جئتَ أيّها العصفورُ

بقلمٍ وورقهْ؟

الشبابيكُ مغلقَهْ

وكأسُ – صاحبِ الزنجِ – تضربُها الريحُ،

– تَدُقَ –

يا ساعةَ – حائطِ العصافيرِ –

مَنْ عَلَّمَ المسافرينَ – في قطارِ منشوراتِ منتصفِ الليلِ –

أنْ يُؤجِّروا نوافذَ القطارِ،

للعصافيرِ،

والجيارِ الهاربهْ

كيفَ يقتلُ الصاحبُ – في قصيدةِ الدخانِ –

صاحِبَهُ؟...

كان صاحبي.

وكان يمشي في حقائبي...
وكنتُ امشي في حقائبِهْ...
كيفَ يَمْسَحُ – صاحبٌ – عَنْ حاجبِ عينهِ،
اسمَ صاحبِهْ...
كيفَ يَذْبَحُ صاحبٌ – في حانةِ صاحبِ الزنجِ –
كأسَ صاحبِهْ
أو – يا ساعةَ حائطِ العصافيرِ –
امرأةٌ ونهرٌ على السريرِ،
والأصدقاءُ الذين جَرُّوا العَرَبَهْ
سقطوا في المحطّاتِ،
والمسافرُ الأخيرُ، باعَ العَرَبَهْ...
وانتَ وحدكَ الآنَ،
في المطرْ
ضاعَ صاحبي،
ضاع طوقيَ الأبيضُ في المطرْ.
منْ اينَ جئتَ أيُّها العصفورُ
بجوازِ السفرْ؟
تَركْتُه – بينَ قصيدتينِ –
كانَ على حاجبِ عَينِه
– اسمي –
واسمُه كَتبتهُ على وَتَرْ

كلّما يسطعُ النسيمُ فيهِ،
يسقطُ المطرْ.
آهِ أيّها الطفلُ الذي رمى حجرْ.
ها هو الآنَ يَصِلُ القمرْ
لنُقْسِمِ الآنَ على عجلاتِ القطارِ
على رأسِ غزالةِ النّارِ
أنت تطلقُ الرصاصَ أولاً ثمّ تنتحرْ...
كلُّ هذهِ العصافيرِ من الرملِ
عن نوافذِ القطارِ
- تَرْتَدُّ -
فهل أقولُ الوداع يا - طَشْقَنْدُ -
والقطارُ - وتيمورلنكُ -
- ولودا - تُطعمُ الفيلَ برتقالةً،
- ويفتوشنكو - يلقي قصيدة - الطبل -
آه يا - لودا -
- وماشا - زيتونةٌ صبيّةٌ،
وصاحبي طائرٌ قديمْ

- ريتا - تعودُ الآن - من مانيلاَ...
كان صاحبي يرتدي - رسائلَ ريتا -
جريدةً، ويمضي...

شَبّتِ النارُ في النسيمِ
– جانا – تكسرُ الآنَ رمّانةً
وتبكي على الكأسِ التي لن تَجيءْ...
تنطفئُ الآنَ – جَانا –
– وألما آتا – تُضيءْ.

لماذا تذهبُ الآنَ بعيداً...،
ها هو الغزالُ يرعى حشائشَ المرايا،
وها هوَ النحلُ يصعدُ الآنَ من قلبِ صاحبي الزنجيِّ
هذه خمّارةُ – صاحبِ الزنجِ –
وهذا مجدافُهُ على بابها مُعَلّقُ
كيف تبيعُ زورقاً
أيّها الخندقُ...؟

مَنْ يصرخُ الآنَ في الدخانِ
هذا حصاني
وهذا شمعداني
وهذا قطارُ منشورات منتصفِ الليلِ والمسافرونَ،
يؤجّرونَ شبابيكَ القطارِ،
للعصافيرِ والجيادِ الهارِبهْ.
كيفَ يقتلُ الصاحبُ في قصيدةِ الدخانِ
صاحِبَهْ

قبل أن تذهب النخلة بأصابع الطباشير إلى المدرسة

في أول الفجر
قبل أن يذهب الرغيفُ إلى النار
وقبلَ أن يَنسكب الحليبُ من فمِ القطارِ
وجريدة الصباحِ توقظ ساعة الجدارِ
والتمثالُ يقضم وردةً بأسنانه المعدنيهْ
في أوّلِ الفجرِ قبل أن تراجع العصافيرُ
برنامج يومها المدرسيَ
قبل أن تكتب الفراشات لوناً جديداً
في كراسة النارِ
في أول الفجر قبلَ أن يذهب شجرُ الورد بمرابيله الحمراءِ
قبل أن تذهب الأسماكُ وافواهُها مليئة بالدبابيسِ
قبل أن يذهب النخلُ بأصابعِ الطباشير إلى المدرسه
في أول الفجر استيقظ الرماةُ
كانت لأجسادهم رائحة الجراد
بالوا في خوذاتِهمْ
وبصقوا على المرايا المسوّسةْ

تناولوا من حبل الغسيل – إصبع طفل –
جفّ في الهواء ودخّنوهُ
شربوا الشاي الذي جاء من الصينِ
وضعوا في خوذة قبضةً من الأسنان والعيونِ
تناولوا من تحت السرير كتباً واشعلوا النارَ
حفظوا أسماءهم عن ظهر قلب نظروا إلى البنادقْ
كان بعضُ النساء المتشحاتِ بسعف النخل
يدرنَ حول الرماة في دائرةٍ من الحرائق
كان البخار يأتي من الخوذة
كان للبخار رائحة الكستناء
تختفي فيه النساء المتشحاتُ بالماء
ينظرن للرماة.
كان الرماة يغطونَ بالملابس العسكريهْ
وجهَ نخلةٍ وينكحونها.
كانت الجرائد في أول الفجر تبيع للرماة
أعضاءها التناسليَّهْ
كان للغيوم رائحةُ – الكمّون –
وكان للموت رائحة اللّيمون
يقرعُ ديكٌ فوق مكنسةْ
جرسَ المدرسةْ

يخرجون الآنَ من زنازينهم
عيونهم معصوبةٌ بسعف النخل.
أيديهمو مشدودةٌ وراء ظهورهم
بمناديل أمهاتهم.
وجوههم تملأها البراعمْ
ساعي البريد يمضي يوزّع الخواتمْ

النساءُ المتّشحات بالدخان
فوقَ رؤوسهنَّ جرارُ الزيتِ
يدرن بالكعك والبيضِ
حول الذين خرجوا من زنازينهم،
ينثرنَ سكّراً على الذين خرجوا من زنازينهمْ
والجرائدُ التي في فمها الورقْ
واتحاداتُ الكتّابِ
وقبائلُ الذبابِ
والشعراءُ الذين يغسلون ويكوون الملابس العسكريهْ
يفتحون الآن صيدليهْ

نخلةٌ تذهبُ الآن بإصبعِ الطباشيرِ إلى المدرسهْ
كلّ ما تعلّموه كان رسمَ
خرائطِ حائطِ الإعدام في كلية الهندسهْ

الآن يصطفون تحت حائطِ الإعدامِ

والرماةُ يصطفونَ

لا شيء يعكّر الآن صفوَ الماءِ

لا شيء يعكّر الآنَ

صمتَ الهواء

الرغيف يخرجُ الآن من النارِ

والحليب ينسكبُ الآن من فم القطارِ

وساعةُ الحائطِ تجلس الآنَ على الكرسيِّ

تشربُ قهوةَ الصباحِ

لا شيء يعكّر الآن صفوَ جرائد الصباحِ

مقاولُ حائطِ الإعدامِ

يحصي الذين انكسرتْ رؤوسهمْ على أكتافهمْ

بكفّه المعدنيهْ

يلفّهم بالبطاطين التي قد خرجتْ – طازجة –

من المخابز العسكريهْ

سورة يوسف سلمان

دخلتُ زنزانةَ يوسفَ سلمانَ
كانتْ إلى جواره
غزالةٌ حبلى وضعتْ رأسها
على ركبتهِ
كان يوسف سلمانُ
قد شقَ فلذةً من قميصه
يبلّها في بقيّةٍ من رذاذ البرق
في كفّهِ
ويمسح وجهَ الغزالهْ
قلتُ: السلامُ على النبيّ والرسالهْ
وانحنيتُ وقبّلتُ بطنها
ورسمتُ على البطنِ شامهْ
رأيتُ سفينةً ترسو على سُرَّتها
رأيتُ رفاقي البحارةَ القدامى
صاح يوسفُ سلمانُ:
هذه هي العلامهْ
ناولني يوسفُ سلمانُ رغيفا،

كان الرغيفُ ملفوفاً بالحبالِ
كان على الرغيف توقيع يوسف سلمانَ
قال هذا هو الرغيفُ الأخيرُ
تاجُ هذه الغزالهْ
وكسرَ الرغيفَ قمراً
أعطى نصفهُ لي
وأعطى نصفهُ الآخرَ للغزالهْ
قال امضِ معها
وبلّغا الرساله
فراشةٌ تُحلّقُ الآنَ بعيداً في الفضاءِ
وتختفي في سحابه
يا شجر الكيلوبتسِ العالي
في اديس ابابا
إوزةٌ من العراقِ حطتْ فوق رأسي
وملأتْ بالحبر كأسي
وشقّتِ الحوصلهْ
أخرجتْ رمّانةً كسرتها بجناحها
انتثرتْ أسماء رفاقي
اه أيتها السنبلةُ الحُبلى بالعصافيرِ
أيّتها السنبلهْ
تفوحُ رائحةُ الزنبقِ البرّيَ

من المقصلةْ
أيتها الإوَزةُ العراقيَّةْ
رأيت في بغداد مليكة الفلسطينيةْ
وسهرتُ في البصرةِ
كنت ضيفَ يوسفَ سلمان
قال نذهب الآنَ إلى سفينةٍ تنزلُ الماءَ
للمرة الأولى
كانت السفينةُ التي دعاني إليها:
مطبعةْ
أيّتها البَجَعَةْ
ضعي بيضك الآن في هذه المطبعةْ

يوسفُ سلمانُ في البئرِ
يوسفُ الجميلُ
يوسفُ الذي يشقّ قمصانهْ
على يديه النخيلُ
لمنْ كلُّ هذه النخلاتِ
على شطّ دجلة الآن تميلُ
يوسفُ في البئرِ
وأنا على حافةِ البئرِ
والغزالةْ

تلدُ الآن على حافة البئرِ
برتقالهْ

هل قرأتَ كلَّ ما هو مكتوبٌ؟
قرأتُ
هل رأيتَ كلَّ ما هو مرسومٌ؟
رأيتُ
هل جاءك الصوتُ؟
جاءني الصوتُ
الصمتُ
الصمتُ
الصمتُ
صرختُ
رأيتُ
في ساحة السجن حراس الزنازين
يطعمونَ الكلابَ لُقماً من الذهبْ
فتركضُ الجرائدُ الخشبْ
يصرخُ الآن شجر البُنِّ في عدنْ
جريدة حائط الإوَّزِ العراقي
من يكتبها الآن من؟

الحصانُ المرسومُ في الهواءِ
يصلُ الآن للماء
هل تذهب الآنَ
يا يوسفُ سلمانُ
كان يوسفُ سلمانُ
كالسفينة التي تشمّ البحرَ
للمرة الأولى
سأذهبُ الآن
كلّ واحدٍ يذهبُ الآن
في انتظاري نخلةٌ
يجرها سمكُ القرشِ
اذهبِ الآنَ
نظرتُ
كانتِ الزنازين تمتدّ
كأنّها إلى آخر الأرضِ تمتدّ
صرختُ
هل كل هذه البيوتِ
يا يوسف سلمانُ لنا؟
كان سعفُ النخلِ
يلتفّ على صوتهِ
كان سمك القرش يجر نخلةً

إلى ساحةِ السجنِ
كان حراس الزنازينِ
يطعمون الكلابَ مفاتيحَ الزنازينِ
ولقماً من الذهب
فتركضُ الجرائدُ الخشَبْ

إوزّةٌ من العراقِ حطّتْ فوق راسي
وملأتْ بالحبر كأسي
ضعي على راسك الرغيفَ
تاجَ يوسفَ سلمانَ
ولنمضِ
أيتها الغزالهْ
يدُ يوسف سلمانَ
تطفو على النهرِ رغيفاً وصولجانا
مَنْ يوقّع الآنَ على رغيفٍ
يوسف سلمانَ مَنْ
لِمَنْ؟
لِمَنْ؟
لِمَنْ؟
سوف نمضي نبلّغُ الرسالهْ؟
أيّتها الغزالهْ

فهرس الكتاب